

محمد لطفى جمعة

ميراث الترجمة

مائدة أفلاطون كلام فى الحب

تصدير ودراسة: مجدى عبد الحافظ

الطبعة الثانية



المشروع القومي للترجمة

مائدة أفلاطون
(كلام في الحب)

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: ٨١٧ / ٢

- مائدة أفلاطون: كلام في الحب

- أفلاطون

- محمد لطفى جمعة

- مجدى عبد الحافظ

- ٢٠٠٩

هذه ترجمة:

مائدة أفلاطون

تأليف الحكيم اليونانى

فسرها باللغة العربية محمد لطفى جمعة

مصر ١٩٠٨ - جنيف ١٩١٢

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة.

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Ghabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

مائدة أفلاطون

كلام فى الحب

تأليف: أفلاطون

ترجمة: محمد لطفى جمعة

تصدير ودراسة: مجدى عبد الحافظ



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١١٥٢٨ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي: 3 - 379 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر عن ضرورة عن رأي المركز.

تصدير

فى إطار سلسلة ميراث الترجمة التى تصدر فى إطار المشروع القومى للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، يسرنا أن نضع بين يدى القارئ العربى ترجمة لمحاورة المائدة "مائدة أفلاطون" التى قام بترجمتها محمد لطفى جمعة (١٨٨٦-١٩٥٣)، أحد الكُتّاب المتميزين فى بداية القرن العشرين. ربما لم يأخذ حقه فى الشهرة، وإن بدأ يجذب إليه اليوم كثيراً من الدارسين الأكاديميين الذين أخذوا ينكبون على تراثه الأدبى الرفيع الذى خلفه، مما انعكس أثره على الساحة الأدبية فى صورة دراسات معمقة حوله، أو تجميع لكتابات - وما أكثرها - وتقديمها للقارئ المعاصر. وما أصعبها مهمة، إذ بلغت مؤلفاته المطبوعة، والتى نفدت أغلبها - فيما عدا ما أعيد طبعه حديثاً - حوالى ستة وثلاثين كتاباً فى مجالات التأليف الأدبى والفنى، والترجمات، وأدب الرحلات، والقانون، دون ذكر ما لم يتم طبعه حتى الآن وهو أيضاً كثير.

ولا تكمن أهمية إعادة طبع هذا الكتاب فى تقديم إحدى الترجمات الأولى لأهم محاورات أفلاطون فحسب، ولكن هى محاولة من جانب آخر لقراءة ذلك العصر الذى تمت فيه هذه الترجمة، خاصة وأن كاتبينا يقدم للترجمة التى تقع فى سبعين صفحة بمائتين وست صفحات. وهى محاولة من جانبه ليؤطر بها تلك الترجمة التى يوظفها فى مشروع فكرى حضارى يهدف أولاً وأخيراً إلى إنهاض الأمة والدفع بها إلى مصاف الأمم المتقدمة. ولطفى جمعة فى ذلك لا يُعتبر خروجاً عن المؤلف فى الحركة الفكرية لبداية القرن العشرين؛ إذ ينتمى إلى رجالات الفكر والفن والثقافة فى ذلك العصر الذى كان يغلى بأفكار التحرر والاستقلال فى إطار النزعة المصرية الوطنية التى بلغت أوجها فى ثورة ١٩١٩. كان لطفى جمعة ينتمى لفصيل من المثقفين ساعده الحظ فى أن يكمل

تعليمه العالي في أوروبا، وعلى الأخص في فرنسا؛ حيث درس القانون في مدينة ليون في مطلع القرن، ولم يمنعه هذا من حضور محاضرات جويلو، أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية، بكلية الآداب جامعة ليون عام ١٩٠٩ كما يصرح بنفسه. وحاول بكل ما أوتي من قوة استثمار وجوده في قلب العالم الحديث للاطلاع على الآداب والفلسفات الغربية في المكتبات الجامعية والعامة. أكثر من ذلك أنه بدأ الكتابة والتأليف في الآونة نفسها، وهو ما نعرشه من خلال ما يقوله بنفسه عن كتابه "تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب" الذي نشره في عام ١٩٧٢: "ترجع فكرة تأليف هذا الكتاب إلى نحو عشرين عاماً مضت، منذ كنت ألتقى العلم في مدرسة ليون الجامعة، وفي تلك المدينة المطمئنة، دونت أوائل تلك الفصول...". وهو ما يقوله نفسه هنا أيضاً عن ترجمته للمأدبة التي بدأ في ترجمتها بليون أيضاً عام ١٩٠٨ وأتمها عام ١٩١٢ بمدينة جنيف. وربما تكون ترجمته تلك - على حد علمنا - أولى الترجمات العربية لهذه المحاور المهمة التي حظيت بأكثر من ترجمة؛ حيث ترجمها د. علي سامي النشار وآخرون ضمن ترجماتهم لمحاورات أفلاطون مع دراسات حولها، إضافة إلى الترجمة التي قدمها وليم الميري في عام ١٩٧٠. ومحاورة المأدبة (مائدة أفلاطون) تعتبر من أشهر محاورات أفلاطون التي أنجزها في سنوات نضجه، لذا نجدها مترجمة إلى أكثر لغات العالم.

ولا يفوتني في نهاية هذا التصدير أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور حسين عبد القادر الذي أمدني مشكوراً ببعض الكتابات حول محمد لطفى جمعة، وإلى الأستاذ الدكتور مصطفى النشار الذي تحدثت معه حول ترجمات محاورة "المأدبة" في اللغة العربية، وهو ما أفادني في كتابة تصدير ومقدمة هذه الطبعة الجديدة من المأدبة (مائدة أفلاطون).

على مائدة أفلاطون

بقلم : مجدى عبد الحافظ

لم يكن الهدف من ترجمة المأدبة (مائدة أفلاطون) هو تقديم عمل علمي أكاديمي، موجه للمتخصصين من دارسى الفلسفة، فهذا ما لم يدر بخلد محمد لطفى جمعة حين هم بترجمته تلك. فهو خارج إطار تخصصه وهو رجل القانون. لكنه الأديب والمثقف الواعى والكاتب الذى لا يشق له غبار. ملأ الدنيا بالمقالات والدراسات فى سائر المعارف والفنون فى موسوعية يحسد عليها. كان يقوم بدور المثقف المنور لأبناء وطنه والذى عليه مسئولية لا بد من أن يضطلع بها. كان لديه إحساس يملأ نفسه ويغمرها بالواجب إزاء هذا الوطن يدفعه إلى النهضة حتى يأخذ إخوانه حظهم فى التقدم والازدهار، ومساواة الأمم الغربية. ولعل هذا ما يعلل أن يقوم بتقديم ترجمة ثم تعد صفحاتها السبعين بمقدمة تعدت مائتى صفحة.

وهو ما يبرر أيضاً حكمنا على الكتاب بأنه ليس عملاً أكاديمياً صرفاً لأسباب يمكن أن نقدمها على النحو التالى:

(١) ينعدم فى التقديم وجود منهج معين أو خطوات الدراسة الأكاديمية الذى تسير عليه الموضوعات التى تعرض لها، وهى عن تاريخ الفلسفة اليونانية، إذ نجدها تتداعى تداعياً حراً وسريعاً يعتريها فى أحيان كثيرة التكرار والإلحاح على نفس الأفكار، وهو ما لا يتفق وأصول التأليف العلمى فى الفلسفة.

(٢) عدم الاهتمام - إلا فى النادر - بتوثيق مصادره ومراجعته، وإن قام بذلك فليس من أجل استكمال الشكل العلمى أو حرصاً عليه، ولكن لانخراطه فى التداعى الحر الذى تحدثنا عنه.

(٣) عدم الاهتمام بالإشارة بدقة - إلا في النادر - إلى ما إذا كان التاريخ الذي يسجله قبل الميلاد أو بعده.

(٤) عدم اهتمامه بالتدقيق في الأسماء التي تتكرر باستمرار داخل مقدمته؛ فهو يكتبها مرة بطريقة ثم نجدها مرة أخرى بطريقة مختلفة مثل أفلاطون التي نجدها أحياناً أفلاطن (كما كان يكتبها العرب) أو صولون الذي يكتبه مرة بالصاد ومرات بالسین (ص ٧٤). أو هوميروس الذي ينطقه تبعاً للنطق الفرنسي ويكتبه "أوميروس"، وكذلك فعل مع طاليس الذي يكتبه تاليس، أو هيراقليطس الذي يكتبه هيراقليت، أو مع الفلاسفة الذريين الذين أطلق عليهم تسمية قام بتعريبها وهي الفلاسفة الأتوميست، وكذلك أيضاً مع الشُّكَّاء الذين أطلق عليهم تارة السبتيك وتارة أخرى المشككون أو المرتابون ... إلخ.

(٥) عدم مراجعته لمقدمته حتى يتخلص مما أسلفنا أو يوحد بين مصطلحاته وأسمائه أو حتى أخيراً يتفادى بعض ما من شأنه أن يعطل المعنى من قبيل - على سبيل المثال - لماذا خلق الله العلم؟ وصحتها: لماذا خلق الله العالم؟ (ص ٦٣)، أو عندما يقول "إن الإغريق أخذوا عن اليونان" (ص ١٤٠ وغيرها).

ونحن لا نتصيد لهذا الرجل العملاق صاحب الرسالة أخطاء، ولكن أردنا فقط أن نبرهن على أن الكتاب الذي نحن بصدده ليس أكاديمياً، ولم يرد مؤلفه أن يكون كذلك كما أسلفنا. ومع ذلك لا بد لكل دارس نزيه ألا يغض الطرف عما بذله ذلك الرائد في هذا الوقت المبكر^(١) من جهود حثيثة في نحت مفاهيم جديدة، حاول أن يعمل فيها فكره عندما تعرض للنصوص الفرنسية لأول مرة وهي كثيرة، نجح في بعضها أن يعطى معنى سليماً، وفشل في البعض الآخر؛ ففي مجال المعاني التي نحتنا وإن كنا نعرفها اليوم بمصطلحات أخرى: "اجتماع المعاني"، وهو المصطلح المعروف اليوم بـ "تداعي الأفكار" (ص ١٠٤)، و"الافتطار" وهو المعروف لدينا اليوم بـ "الحدس" (ص ١٠٣، ص ١٠٦)،

(١) نُشر الكتاب عام ١٩٢٠، لكنه - حسبما يقول الكاتب نفسه - بدأ تحرير صفحات الكتاب عام ١٩٠٨ وانتهى عام ١٩١٢.

وكتاب كانط "نقد العقل المحض" الذي ترجمه بـ "نقد العقل القائم بذاته" (ص ٥-١٠)، وما ترجمه بـ "العراك" ذلك المصطلح الشهير بيننا اليوم بـ "الجدل" أو "الديالكتيك" (ص ١٩)، وإن كان ترجمه مرة واحدة بالجدل. كما نجده يترجم ما نعرفه لدى سقراط اليوم بـ "التهكم" بمصطلح "الهزة" (ص ٢٩)، ويترجم "فلسفة اللذة" بـ "فلسفة الملاذ" (ص ١٢٨)، و"الكليين" يُعربها بـ "السينيك" وإن كان يذكر مصدرها في اليونانية "الكلب". ونجده يترجم مصطلح "الأوبتيمزم" مرة بتركه هكذا مُعرباً، ومرة أخرى بـ "الاستيشار" (ص ١١٨، ١١٩) وهو المعروف لدينا اليوم بـ "التفائل". ومع أنه ترك بعض المصطلحات كما هي عندما عربها مثل "إيدياليسيت" ليُعبر عما نعرفه اليوم بـ "المثالي"، أو "رياليسيت" ليُعبر عما نعرفه اليوم بـ "الواقعي" (ص ٩٤)، أو "الاجزتان" (ص ١٣٨) لكي يترجم "النشوة"، مع ذلك فإننا نجده ينحت مصطلحاً لـ "الإتراكسيا" عندما يطلق عليها مصطلح "خلو البال" (ص ١٢٨). ويمكن متابعة تطور المصطلحات العربية عندما يُستخدم للمعنى الواحد أكثر من مصطلح مثل "نظرية التطور" التي يُطلق عليها تارة "النشوء والترقي"، وتارة "التطور والترقي" (ص ١١٦)، ثم نظرية التطور فيما بعد (ص ١٠١).

هكذا لم يكن هذا الكتاب خاوياً من جهد ومثابرة ودراسة جادة لمحاولة التعامل مع مصطلحات كانت في وقتها جديدة ليعطى لها معانى غير مسبقة، ولعل ما أداه هنا هو ما استفاد به من جاءوا بعده ليترجموا، حتى وإن قاموا بتغيير كثير من المصطلحات التي وضعها، إذ يكفي فخراً أنه أول من تعامل معها وقدمها لقراء العربية.

نستطيع أن نؤكد إذن أن الكتاب ليس موجهاً للقارئ المتخصص، لكنه موجه لأي قارئ، وخاصة القارئ العادي الذي يعول عليه كاتبنا في بناء النهضة، ولطفى جمعة ذاته يؤكد على هذا عندما يعلن أنه يتوجه "لقارئ خالي الذهن" (ص ١٤٠)، ولذا يعرف تماماً أن مهمته تنحصر في الشرح، وهو ما تفهمه عندما يصنف نفسه لما يقوم بتقديمه في هذا الكتاب "كشارح وليس ناقداً" (ص ١٠٥). وباعتبار المتوجه إليه قارئاً خالي الذهن، نجد كاتبنا يعلم ما يشد ويجذب هذا القارئ لكتاب كهذا عندما يقول "نقلنا ونسقنا الملخص على طريقة حديثة ليكون لذيذاً في مطالعته".

المهمة الحضارية للفلسفة اليونانية في النهضة :

الكتاب الذي يسرته لطفى جمعة إذن لقارئه كتاب ذو رسالة، كتاب يمكن تصنيفه إلى جانب تلك الكتب الذهضوية. والسؤال الذي يفرض نفسه: إذا كان ذلك كذلك، فلم تكس كتاباً عن الفلسفة اليونانية بالذات؟

الإجابة ليست صعبة، بل يمكننا أن نستقيها من خلال مؤلفه نفسه، بل ومن خلال التيارات الفكرية التي كانت منتشرة في بدايات القرن العشرين، حيث كان الحديث على أشده عن أن أوروبا لكي تنهض كان لابد من أن تستلهم الحضارة والفلسفة اليونانية، ومن ثم إذا أرادت مصر أن تنهض فلا بد أن تسير على الدرب نفسه، ومن هنا كانت دعوة لطفى السيد أستاذ الجيل، التي وجدت صدى لدى المثقفين الجدد الذين عادوا لتوهم من أوروبا بعد أن أنهوا دراساتهم العليا في جامعاتها ومنهم محمد لطفى جمعة، رحمه الله لطفى السيد هو الذي التزم أكثر من غيره في الترجمة من اليونان حتى تعدت ترجماته الشيء الكثير. لكن لطفى جمعة يؤمن بالفكرة نفسها ويردها في مؤلفه هذا كثيراً؛ إذ كان مقتنعاً تمام الاقتناع بها ويربط بين تقدم الغرب ونقلهم عن اليونان، ويعنى على أن هذا لم يتم بعد في اللغة العربية: "وقد عني الإفرنج بنقل ما وراء الطبيعة لأرسطو عناية تامة ولكنه لم يُنقل برمته إلى اللغة العربية ولا فائدة في نظرنا للنهضة التي لا تبدأ بنقل مؤلفات اليونان إلى اللغة العربية ودرسها وتمحيصها..." (ص ١٠٢)، وذلك لإيمان محمد لطفى جمعة بثمرات عقول حكماء اليونان التي "لو جُمعت ونُظمت ودرُست على حقيقتها لكانت كافية لتتوير الإنسانية وتقدمها إلى آخر الدهر؛ ودليلي على ذلك أن هؤلاء الحكماء الأوائل لا يزالون وإن يزالوا المصدر الأول لكل من يريد أن يستقي الحكمة من منبعها، ولا يزال كل من يجهل آثارهم لا يعد داخلاً في زمرة العلماء والمفكرين" (ص ١٩٩). من أجل تحقيق هذا الهدف نجده يقترح نقل جميع مؤلفات فلاسفة اليونان إلى اللغة العربية ولا أرى وسيلة لتقدمنا العقلي بغير هذا. (ص ٢٠٣ - الهامش).

هذه المهمة الحضارية التي يرجوها كاتبنا للفلسفة اليونانية في واقعنا الحضارى فى مصر، لا ينساها عندما يقدمها، ولهذا نجده يقوم بالتركيز فيها على ربط الفلسفة بالواقع، بحيث تصبح الفلسفة لديه فلسفة عملية، وعندها سيسود النظام والتناسب والانسجام. ومن هنا نجده مهتما بتحول اهتمام الفلسفة من الطبيعة إلى المنطق، ومن النظر فى الكون إلى النظر فى ذاته. عندما تكون الفلسفة معنية بحياة وسعادة الإنسان. ولهذا لا يتباطأ فى الربط بين الفلسفة اليونانية والحديثة (ص ٢٢). من هنا أيضاً لا نستغرب من أن نجد بين دفتى هذا الكتاب - وهو مكرس عن الفلسفة اليونانية ومحاورة المأدبة (مائدة أفلاطون) - أسماء فلاسفة معاصرين نطالعهم كلما استغرقنا فى الكتاب مثل: ديكارت، وأوجست كونت، ووليم جيمس، وبرجسون، والفرد فوييه، ورييو، وكانط، وستيوارت مل، وهربرت سبنسر، وچان چاك روسو (الذى يطلق عليه أستاذى وحبيبى)، ونيتشه، وليبنتز، وفولتير، وبنتام، والمؤرخ الإنجليزى چييون، وشارل ليل، وباسكال، وإرنست هيكل، وغيرهم .. ولهذا نتفهم مغزى عبارته من أن "الثورة ضد الدين هى الفلسفة الأولى".

الفلسفة اليونانية لديه إذن وسيلة وليست هدفاً فى ذاته، وسيلة لتربية نواتنا لنقوم بوظائفنا المفترض أن نقوم بها فى واقعنا، ومن ثم سنستظل بالعدل الذى نرجوه، ولم لا؟ وقد أكد فلاسفة اليونان من قبل أن اتفاق النفس وذاتها أى "عندما يقوم كل جزء من النفس بوظيفته فتطبع الشهوات الشجاعة وتطبع الشجاعة العقل، حينئذ يولد العدل" (ص ٦٥).

نقده للكُتّاب العرب من الناقلين :

ومحمد لطفى جمعة الذى أخذ على عاتقه تحقيق مهمته من خلال الفلسفة اليونانية، لا يتوانى عن إكالة النقد اللاذع لما نقله العرب قديماً عن اليونان وشأبته شوائب الخطأ والتحريف عما كتبوه عن أفلاطون (ص ٧١)، وما كتبوه من المشائبة (ص ٧٢)، ولم يشعر بأية غضاضة عندما يقرر إن "كتاب العرب لا يكلمون أنفسهم

تجقيق شئ، أو عندما يقول "لم نجد لهذه الخرافة أصلاً" (ص ٧٦)، أو "انظر إلى هذا الخلط وقارن كل الحوادث" (ص ٧٧)، أو "هذا خطأ وقع فيه القفطى كغيره .." (ص ٨٤)، بل يكيل له النقد القاسى لإساعته فهم فلسفة ديوجين وكتابته عنها بغير علم .. (ص ١٦٢-١٦٤)، ويقول عنهم فيما يتعلق بفيثاغورث "ونسبوا إليه ثمانين كتاباً وقالوا مائتين وثمانين كتاباً" (هذا إحصاء كتاب العرب) ولا يخفى على القارئ أن معظم ما رواه العرب عن فيثاغورث هو من قبيل الأساطير الموضوعة كما أنهم لم يدركوا أو لم يشاءوا ذكر الحقيقة" (ص ١٤٧). ويضيف "ذهبت (أفكار دعامتهم) البعث وتقمص الأرواح وحلولهما. فى أجسام غير أجسامهما عند فيثاغورث) ذهبت بذهاب القائل بهما إلا من أعمال المشعوذين من العرب الذين تمسكوا بأسرار الأعداد وسحرها إلى وقتنا هذا، ومن العجيب أن العرب ذكروا بالتفصيل مآكل فيثاغورث ومشربه ولم يذكروا تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته" (ص ١٤٨). والحقيقة أن هذا النقد اللاذع الذى يوجهه كاتبنا موجه أصلاً إلى الطريقة التى يتم بها التعامل مع التراث اليونانى، خاصة عندما ينصب الاهتمام على ما لا يحقق غرض النهضة، مثل اهتمام العرب قديماً ببعض موضوعات الشعوذة، وعدم تحريرهم الدقة العلمية التى تتبع أصلاً من المنهج العلمى الذى يعتمد على العقلانية. وهو ما نفهمه عندما يقول: "نحن لا نريد الغض من قدر هؤلاء الكتاب ولكن الذى يدهشنا منهم إلقاء القول على عواهنه وعدم التحقق من معنى الاسم أو السن أو تاريخ الميلاد والوفاة؛ فإن كانت هذه حالهم فى بسائط الأمور فكيف حالهم فى جليلها؟" (ص ١١٢-١١٣).

ما كان يوده لطفى جمعة أن توضع الأفكار التى يُشتَم فيها رائحة الخرافة موضع التفسير العلمى، أو قراءتها فى ضوء العلم، وهو ما يقوم به نفسه عندما يعلل ظاهرة فيثاغورث عندما يقول: "وعندى أن هذا التخيل بعيد المدى الذى جعله يشهد العالم بحسه وحده ويسمع حفيف الكواكب إنما هو نوع من الانجذاب اللطيف الذى يعلله العلم الحديث بأنه غيبوبة مغنطيسية فتخيل إليه أثناءه أنه صعد إلى السماء وحادث الملائكة إلى آخر ما روى عن فيثاغورث وأمثاله. وهذه "الحالة الانجذابية" هى التى تجعل لذويها أتباعاً وأنصاراً يفدونهم بحياتهم ونحن لا نريد تكذيبها أو نحضها إنما

نحاول تعليلها تعليلاً علمياً لتفسيرها وإدراك حقيقتها" (ص ١٤٩-١٥٠). إذن لم يكن الرجل على الإطلاق متيناً لموقف استشراقي ضد العرب، أو أنه يريد أقوال بعض المستشرقين المتعصبين ضدهم، بل على العكس تماماً "ونحن لا ننتقص هؤلاء فهم أجدادنا وأسائرتنا وبلغتهم نكتب ومن فضلهم تتغذى عقولنا، وقد غدوا أوروبا ذاتها بلبان العلم والحكمة منذ آلاف السنين" (ص ١٥٦). ينصب النقد إذن عندما لا يقرأ العرب التراث اليوناني قراءة معرفية يمكن الاستفادة بها في واقعهم المعيش، ومن هنا نفهم مغزى نقده لهم عندما لم ينفذوا إلى المغزى الحقيقي لمحاكمة سقراط، "لم يفقه العرب معنى تهمة الثورة التي نسبت إلى سقراط ولا طريقة المحاكمة ولا تنفيذ الحكم ولا دفاع سقراط (...). لعدم إدراك الأنظمة الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في اليونان، ومن اهتمامهم بالقصص والأحاديث الطلية وانصرافهم عن خلاصة الفكر الحقيقي وعلى الخصوص لاكتفائهم بالرواية عن بعضهم فإن ما تجده في كتاب تجده في عشرة غيره مع تحريف بسيط بحيث لا يدري الإنسان أى المؤلفين نقل عن غيره لأنهم سامحهم الله يأنفون ذكر المصادر (رغم باعهم الطويل في هذا)" (ص ١٥٧-١٥٨). هنا نفهم منطلقات نقده الذي انصب على طريقتهم في مقارنة وفهم أفكار الفلاسفة اليونان، ولهذا نجد محمد لطفي جمعة لا يتوانى دائماً عن التذكير بفضلهم وإجلاله لهم حتى لا يفهم نوايا الأحكام المتسارعة عكس ذلك "على أننا لا نريد الانتقاص من قدر كتاب العرب، فإننا نجلهم ونمجد ذكرهم لأن لهم علينا وعلى الإنسانية فضلاً لا يُقدر" (ص ١٥٩).

ولكى نؤكد على ما ذكرنا، ونبعد عن كاتبنا شبح تهمة التغرّب أو التحدث بلسان الغرب وتبنى أفكاره بصورة عمياء، يمكننا إبراز تلك العقلية النقدية التي اتسم بها، ولم تكن حكراً على ما كتبه عن بنى جلدته من العرب فقط، فهذا هو يوجه نقده أيضاً إلى أقطاب الفلسفة اليونانية عندما يقول فيما اتصل بمفهوم العدل لدى أرسطو: "ونحن نخالف أرسطو في هذا الرأي وننقضه ونقول أنه يؤدي إلى أسوأ النتائج وأنه لا يوجد نظام أفضل من العدل والمساواة في حكومة الأمم" (ص ١٠٧)، أو عندما ينقد الجميع عندما يرى أن العرب أخذوا عن أرسطو اهتمامه بالقلب وجعله مركز الحواس والذاكرة

والمخيلة والذوق المعنوي لذا جعلوه في أشعارهم مركز الشجاعة والحب والاخلاص وهذا أيضاً شائع عند الإفرنج ولكنه رأى فاسدًا (ص ١٠٤). ولا يسلم أفلاطون من نقده عندما يقول عنه إنه كان يعاقب في جمهوريته الإلحاد؛ حيث نظم محكمة لمعاقبة الملحدين أفضح من محاكم التفتيش ولكن (الله) سلم (ص ١٦٦).

نخلص مما تقدم أن لطفي جمعة تصدى لكل الأفكار التي وجد فيها ما لا يتفق والعقل أو العدل، وهو ما جعله أحياناً يعطى بعض التعليقات على ما يذكره من مثل طرد الإمبراطور دوميتان عام ٩٠ بعد الميلاد إبيكت مع جميع الفلاسفة؛ لأنهم ضايقوه بمبادئهم التي تقاوم ظلمه، نجد كاتبنا يعلق على الواقعة بعبارة «العفو يا صاحب الجلالة» (ص ١٩١).

معالجته للتوفيقية :

مقاربة التراث اليوناني باعتبارها مهمة يحملها محمد لطفي جمعة تكمن إذن في الكيفية التي يمكن الاستفادة بها في واقعنا العربي المعيش، ومن هنا نجد تركيزه الأكبر ينصب على التوفيقية وهي سمة الفكر العربي في عصره وحتى اليوم، وهي رؤية واعية ناضجة مُسلمة بكل العناصر الممكنة في تلك القضية القديمة الحديثة والتي لم نقل فيها كلمة فصل بعد إلى اليوم. وعرض كاتبنا للقضية ينم عن معرفة دقيقة بطبيعة المجتمع اليوناني الذي لم يكن في طريق الفلسفة فيه عائق يعوقها، فالأمة اليونانية كما يرى أمة دون عقيدة إذ لم تكن خاضعة لأنظمة دينية أو لسلطة خفية تعمل على خنقها من وراء ستار مثل ما وقع في أوروبا القرون الوسطى ولابن رشد (ص ٩٨)؛ لذا لم يكونوا في حاجة إلى التوفيق الذي يعتبره محمد لطفي جمعة رياءً لم يكن الفلاسفة اليونان في حاجة للرياء والنفاق لكي يوفقوا بين الحكمة والدين كما هو شأن الحكماء في البيئات المتدينة (ص ٨٩-٩٠)؛ إذ يرى كاتبنا هؤلاء الحكماء بين نارين: ما تمليه الحكمة والعلم عليهم وفيهما ما لا يتفق مع العقائد الدينية تمام الاتفاق، وإما السعي

إلى التوفيق بين الفلسفة والدين وفى هذا ما فيه من الخروج على الحكمة والدين معاً .. (ص ٩٠). وهكذا نشأت الفلسفة اليونانية كما يقول "عن عراك الدين والعقل فليس فى آرائهم نضال بين الفكر الحر الطليق والتقاليد الموضوعية المصطنعة". ويستطرد بأن الأقدار قد شاعت بأن "يُخلق (الفكر) فى سماء الحكمة بغير قيد ولا شرط، لأنه لم يكن لدى الأمم اليونانية كتب مقدسة تنص على أمور معينة وتحدد أصل الخلق وتشرح تاريخ الإنسان والطبيعة على طريقة معينة" (ص ٩٠). هذه الوضعية الخاصة بالمجتمع اليونانى هى التى جعلت الفلسفة اليونانية تقضى "اثنى عشر قرناً متمتعة بالعقل الإنسانى وقضى العقل هذا الحين من الدهر متمتعة بالحرية ولم يجرؤ أحد على إلحاق الأذى بالعقل بتقييده ولم يجرؤ أحد على إرغام العقل على القول بأراء لا يؤمن بها" (ص ٩١). لكن السؤال هل من الممكن أن نسير نحن أيضاً فى العالم العربى على ما سار عليه اليونان؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب فكيف نتصرف فى الدين إذن؟

يعطينا محمد لطفى جمعة الإجابة أولاً برصد خطأ بعض فلاسفة العرب "إذ حاول (بعضهم) التوفيق بين الدين والفلسفة، ولست أدري لماذا كان ميل حكماء العرب للتوفيق شديداً وقد حداهم مراراً إلى الوقوع فى الخطأ .." (ص ٩٢). التوجه الذى يحبذه كاتبنا هنا ويبحثنا عليه هو الفصل بين الحكمة (الفلسفة) والدين، حيث لكلاهما طريقه ومجاله، فميزان الاعتدال يقضى بهذا حتى لا تصبح الحكمة معادية للشريعة ولا تصبح الشريعة معادية للحكمة كما نجده لدى القائمين عليهما "ولعمري إن الحكمة بريئة من العداء والدين كذلك برىء من الاضطهاد وإن لكل منهما طريقاً يسلكها ودرجاً يسير عليه، ولكن القائمين بالاثنتين معاً هم الذين فقدوا ميزان الاعتدال فخلطوا بينهما باسم التوفيق وألحقوا الأذى بهما باسم الحق. وما كانوا يعملون إلا باطلاً" (ص ٩١).

أثر الحضارة المصرية على اليونان :

والفلسفة اليونانية التى يحتفى بها كاتبنا ليست إلا قبساً من نور حضارتنا المصرية القديمة، وهذا ما يراه ويؤكد عليه لكى يغذى أحاسيس الوطنية لدى مواطنيه من المصريين، بل ويدفعهم نحو الأخذ والاستفادة بتراث هذه الحضارة التى كنا فى

سالف الأزمان معلّمها ومقصد فلاسفتها، وهذا المعنى يُشاع فى الكتاب ويكرر ويتم التركيز عليه^(٢). "يزداد عجبنا وخسرتنا وأسفنا على جهلنا إذا علمنا أن الفلسفة اليونانية (...) ليست إلا شعاعاً من النور الذى انبثق من مصر؛ فقد رحل إليها تاليس وفيثاغورث وأفلاطون وكل عظيم من فلاسفتهم لم يخط حرفاً لم يكن تلقى أصله من مصر العظيمة، فانتظر أيها المصرى وقارن وتأمل" (ص ١١٦-١١٧). ولعلنا نرصد هنا تلك الحرارة الوطنية التى يتحدث بها محمد لطفى جمعة عن مصر والأثر الذى أحدثته منذ آلاف السنين ليس على الحضارة اليونانية فحسب ولكن على العالم أجمع، حيث "بلغت علومها (مصر) وفنونها وأدائها منذ أربعين أو خمسين قرناً مبلغاً لا تزال آثاره ظاهرة للعيان فى آثارها ونقوشها وصحفها". ومن هنا كان فضلها على اليونان "فيكفينا فى التدليل على قدر مصر أن هياكلها المقدسة كانت مدارس لفلاسفة اليونان أمثال من ذكرنا، وفيثاغورث نفسه أقام عدة سنين يتلقى العلم على الكهنة فى معابد ثيبة وهليوبوليس". إن ذكر كاتبنا لفضل مصر على اليونان الذى يعمل على الاستفادة من تراثها، هو كما قلنا محاولة لدفع مواطنيه إلى استلهاهم تاريخهم المضى، والسير ببلائهم على خطى أجدادهم الذين أقاموا الحضارة وأشاعوها على بلدان الدنيا. لذا نجده يتساعل ويقارن بين هذا المجد التليد وذلك الحاضر المتراجع، "فأين هذا كله الآن؟ وهل ترى فى مصر وقد زادت خصبها وزكا زرعها وفاض نيلها وتضاعف عدد سكانها جزءاً من مليون من علوم مصر العظيمة التى فنيت؟ هل أشرق فى سماء مصر شعاع واحد من تلك الأشعة التى انبعثت فى فجر المدنية فأضاعت اليونان أولاً والعالم كله ثانياً؟" (ص ٢٠٠).

(٢) انظر صفحات ١٠٥، ١٤٠، ١٤٦، ٢٠٠، ١١٦، ١١٧، وغيرها من الصفحات؛ حيث تتكرر الفكرة كثيراً وهو ما وجدناه اليوم فى مؤلفات عربية وأجنبية متعددة، وهو ما كان كاتبنا سباقاً إليه.

دور الخاصة فى تقدم المجتمع :

إن استعانة محمد لطفى جمعة بالفلسفة اليونانية - كما أسلفنا - هى محاولة لتوظيفها فى إحداث النهضة فى مجتمعه، وهو يعلم تمام العلم "أن النهضة لن تتحقق إلا عن طريق الخاصة الذين ينشرون العلم والفكر دائماً، وهم الطليعة التى تتقدم دائماً جمهور العامة. وهذا التفكير كان منتشرأ على مدى واسع فى هذه الآونة نتيجة لتفشى أفكار المادية الميكانيكية التى تعطى مساحة لدور أكبر للخاصة من المثقفين والمفكرين، بحيث إنهم الذين يأخذون دائماً بيد العامة. ومن هنا كان تركيز كاتبنا على حياة سقراط النضالية، وعلى الأخص موقفه فى مجتمعه، وهو ما رأيناه عندما وجه نقده إلى العرب لأنهم لم يفهموا معنى تهمة الثورة التى نسبت لسقراط، ولا الظروف التى أحاطت بمحاكمته وموته. إن سقراط يمثل لكاتبنا دور الخاصة فى مواجهة العامة فى أى مجتمع كان، لذا نجده يؤكد : "الحقيقة أن موت سقراط كان ضرورياً لختام حياته الجميلة ليكون رمزاً دائماً فى تاريخ البشر على جهل الجمهور وغباوة الأغلبية ودليلاً على شجاعة الحكماء وقوة روح البذل والتضحية" (ص ٩٧). وما حدث فى اليونان يمكن أن يحدث فى أى بقعة من العالم حيث إن الطبيعة الإنسانية واحدة، والبشر لا يختلفون فى طبائعهم عندما يتربصون بخاصتهم من العباقرة الذين يسبقونهم علماً وفكراً. "الطبيعة الإنسانية هى فى كل زمان ومكان وكل عبقري أو نابغ يكون فى الحقيقة غريباً فى وطنه ووحيداً بين أبناء عصره لأنه يسبقهم بفكره مراحل وأجيالاً، ولهذا لا يتردد كاتبنا فى استنكار هذا السلوك المشين الذى يودى بحياة العلماء والمفكرين فى كل زمان ومكان، "وإننا نستهن الآن إحراق فيثاغورث وقتل سقراط ومحاولة اغتيال أفلاطون وأرسطو، وهذا الاستهجان ليس إلا غشاً وخداعاً منا لأنفسنا ولغيرنا لأننا إذا رأينا الآن بين ظهرانينا نابغاً أو ممتازاً فلا نلبث أن نكرهه ونحتقره ثم نضايقه لنخمد أنفاسه، وإذا استطعنا قتله فإننا لا نتردد، وإلا فكيف نفسر تعذيب العظماء والحكماء فى القرون الوسطى والقرون الحديثة؟" (ص ١٩٨). من هنا فإن استنكار التعرض لقادة الفكر قديماً أو حديثاً عمل لا بد من مساندته حتى تتخطى

ـهلنا لنـدرك الحـقيقة، ومن ثم يمكن بناء النهضة التى يدعو إليها كاتبننا، حيث إن صـبية الإنسانـية ليست فى عـجزها عن إدراك الحـقيقة. ولكنها فى طمس معالم الحـقيقة لما ظهرت، ودفنـها تحت أكوام مكـدسة من تراب الجهـل" (ص ١٩٨).

صادر ومراجع مقدمة محمد لطفى جمعة:

ويمكن أن نشير إلى المصادر والمراجع التى اعتمد عليها محمد لطفى جمعة فى قدمته الطويلة لترجمة المخاورة، وهو ما لم يحرص على إثباته فى نهاية بحثه، ولكن يمكن الإلمام به من خلال ما أشار إليه بنفسه فى المقدمة، وهى على النحو التالى:

ـ محاضرات جوبلو، أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية بكلية الآداب، جامعة ليون، ١٩٠.

ـ زيلر، تاريخ أقطاب الفكر فى بلاد اليونان.

ـ و. بن، تاريخ الفلسفة القديمة.

ـ كتاب تاريخ تاسيت.

ـ إليزابيث كارتر، كتاب عن إبيكت فى ستة أجزاء.

ـ چون لوبوك، كتاب سعادة الحياة.

ـ چون لوبوك، كتاب منافع الحياة.

ـ مارك أوريل، الكتاب الذهبى.

ـ إرنست رينان، تاريخ الفلسفة المسيحية، المجلد السابع، ١٨٨٢.

إضافة إلى المراجع العربية التى يذكر منها: القفطى، والشهرستانى، وشبلى ميل فى كتابه مذهب النشوء والارتقاء.

ترجمته للمحاضرة ١

أشرنا في البداية إلى أن الترجمة الصحيحة، وهي المعروفة الآن لهذه المحاضرة، هي "المأدبة" وليس "مائدة أفلاطون" كما ترجمها محمد لطفى جمعة. ولعله نفسه قد تيقن من ذلك بعد حين، ففي عام ١٩٣٠ وبعد عشر سنوات من نشر ترجمته نجده يقول: "وفي مصر أديب قام في سنة ١٩٢٠ بنقل مائدة أفلاطون إلى اللغة العربية (وهو يقصد نفسه)، ويحسن في نظرنا الآن أن نعدل الاسم من المائدة إلى المأدبة فنقول "مأدبة أفلاطون" لأنها أقرب في نقل كلمة Banquet، أما المائدة فهي الأثاث التي تُصَف عليها أصناف الطعام، ويجلس حولها الأضياف، وهي ما يسميها العرب "الخوان" ويطلق عليها العوام في مصر كلمة "طبلية" مُحرفة من كلمة Table الفرنسية. أما كلمة مأدبة فتشمل الخوان والطعام والأضياف ومكان الضيافة وزمانها، وهذا بالفعل ما قصد إليه أفلاطون بكتابه، لأنه عبارة عن حوار فلسفي جميل حدث بين فلاسفة وأدباء ومتكلمين في مأدبة أقامها أحدهم"^(٢)، وعلى كل فالاسم الذي عدله كاتبنا بنفسه هو الاسم الذي عُرِفَت به تلك المحاضرة فيما بعد في اللغة العربية. إلا أن العنوان القرعى لها، وهو ما ترجمه بـ "كلام في الحب"، وهو ما ترجمه مترجم آخر بـ "فلسفة الحب"^(٤)، هو في حقيقة الأمر Discours وهو ما تترجمه بخطابات أو (خُطَب) في الحب، إلا أن تعبير الخطاب لم يكن معروفاً في تلك الآونة.

وتُعتبر "المأدبة" المحاضرة الثانية بعد محاضرة فيديون التي افتتحت لديه محاورات النضج، وهي الموازية لإبداع الأكاديمية، والتي تظهر فيها الأفكار الفلسفية الأساسية لفلسفة أفلاطون، حيث تقف محاورات النضج بين المحاورات السقراطية الأولى من جهة ومحاورات الشيخوخة من جهة أخرى. و"المأدبة" هي الأكثر شهرة بين المحاورات،

(٢) محمد لطفى جمعة، في الأدب والنقد، إعداد ومراجعة: رابع لطفى جمعة، عالم الكتب، ط١، عام ٢٠٠٠، ص ٨١٦-٨١٧.

(٤) المأدبة، فلسفة الحب، ترجمة ونيم الميرى، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠.

تتابع فيها الخطابات التي تقوم بمدح الحب. وكما يصفها مؤرخو الفلسفة اليونانية غربيون، فإنها تجمع بين الجدة والجلال، وتتواصل فيها الكوميديا حتى الهزل، كما جمع بين النظر والشعرية والمسرحية. ومع ذلك فهي نص أساسي في الفلسفة لأن موضوع الذي تتم مقارنته هنا هو الحب. والفلسفة التي نقوم بتعريفها تقول بأنها حبة الحكمة وليس امتلاكها. يشكل أطراف المحاورة أشخاص معاصرون لأفلاطون الذي يعمل من خلال الحوار بينهم إلى الوصول إلى إبراز ما يتمتع به سقراط من حكمة. والحب الذي يتحدثون عنه بداية هو الإيروس Eros ، بينما تجسّد أفروديت الحب بين الرجال والنساء. يقوم كل خطاب بالعمل تبعاً للقواعد الكلاسيكية التي تميز خطابة في المجتمع اليوناني. ودون الدخول في تفاصيل المحاورة، سنجد أن كل فاهيم الأفلاطونية تتقاطع فيما بينها داخل النص، وكما يرى بعض مؤرخي الفلسفة في هذه المحاورة أنها تمنع أن تظهر مثالية أفلاطون في صورة العقلانية الباردة، مؤكدين أن الفلسفة هي أصلاً حياة وتطلع نحو رغبة، أي هي الحب. إضافة إلى ما لمنا إياه تلك المحاورة حول العلاقة الغرامية ومشاعر الحب، وهو ما دفع جان چاك بيسو إلى القول إن فلسفة المحبين الحقيقية هي فلسفة أفلاطون^(٥).

ورغم الجهد المبذول في الترجمة، ومحاولة إيجاد تعبيرات يمكن أن توصل المعاني التي كان يتعامل لطفى جمعة معها لأول مرة في لغته العربية، فإن كاتبنا يسقط من ترجمته التي أنجزها في ١٩٢٠ من خطاب أريستوفان ما قاله بخصوص العلاقات لثية، والتي أشارت إليها ترجمة أخرى في ١٩٧٠ حيث تقول "النساء اللواتي انشطرن ن أنثى يعشقن بنات جنسهن ولا يأبهن بالرجال، أما الأشطار الذكور... فيميلون إلى ذكور دون سواهم ويسرهم القرب منهم والاتصال بهم، وهؤلاء خير من لذاتهم منذ ذاثتهم تتوافر فيهم خصال الرجال أكثر من غيرهم ويرميهم البعض بالوقاحة لصفاقة، ولكنهم جد مخطئين فليست الصفاقة هي التي تدفعهم إلى أعمالهم،

(٥) انظر: L. Robin, La Théorie Platonicienne de L'amour, P.U.F., 1964

ولكنها الفتوة وروح الرجولة العالية القوية"^(٦)، وتُعتبر تلك الصيغة تلخيصاً مخففاً لما جاء بالمحاورة^(٧). لكنها تُعبر في حقيقة الأمر عن حرص المترجم العربي دائماً على ألا يخرج عن مألوف العادات والتقاليد في مجتمعه حتى لا يؤلب عليه أحدًا. لكن يظل السؤال إلى أي مدى يصبح هذا التصرف مقبولاً، خاصة إذا كنا نحرص على أمانة الترجمة ووضعها في صورتها الأصلية كما كانت في اللغة التي يتم الترجمة عنها؟

ولعل الترجمة بمقدمتها الطويلة تُعبر عن رأي كاتبنا في ضرورة الجمع بين التأليف والنقل في عصره الذي كان يعتبره فترة انتقال، مع تفضيله لترجمة العلوم الدقيقة أو ما كان يُسميه بـ "العلوم الحقة".

نتمنى أن نكون قد وفقنا في أن نُسهل على القارئ الكريم الطريق في تناول هذا العمل الجاد، الذي وضعه صاحبه في بداية القرن الماضي ليُجيب به عن أسئلة واقع الملح في النهضة والتحرر والوصول لمصاف الدول المتقدمة، وترى هل تغيرت الأسئلة التي نطرحها اليوم على أنفسنا؟ ما أشبه أمس البعيد باليوم !

(٦) المأثبة ، فلسفة الحب ، مرجع سابق .

(٧) انظر: Platon, Le Banquet, trad. Notices et notes par Emile Chambry, Garnier-

Flammarion, Paris, 1964, pp.51-53.

مراجع المقدمة

(أ) المراجع العربية :

- محمد لطفى جمعة، مائدة أفلاطون، كلام فى الحب، مكتبة ومطبعة التأليف شارع عبد العزيز، القاهرة.
- محمد لطفى جمعة، فى الأدب والنقد، إعداد ومراجعة رابح لطفى جمعة، عالم لكتب، القاهرة ٢٠٠٠.
- محمد لطفى جمعة، مباحث فى الفولكلور، مراجعة رابح لطفى جمعة، لهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩.
- محمد لطفى جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب، دار المعارف، لقاهرة، ١٩٢٧.
- أفلاطون، المأدبة، فلسفة الحب، ترجمة وليم الميرى، دار المعارف، ١٩٧٢، القاهرة.

(ب) المراجع الأجنبية :

- Platon, Le Banquet, trad. notices et notes par Emile Chambry, Garnier - Flammarion, Paris, 1964.
- L. Robin, La Théorie Platonicienne de L'amour, P.U.F, 1964.
- E. Clément, Pratique de la Philosophie, Hatier, Paris, 1994, (en collaboration).

مائدة أفلاطون كلام في الحب

منقول عن الحكيم اليوناني

بقلم

محمّد لطيف بن جعفر

تاريخ الفلسفة اليونانية

- ١ -

أصول الفلسفة اليونانية — مدينة يونان — الشعر بعد
الطريق للفلسفة

لم تولد الفلسفة في بلاد يونان ذاتها إنما ولدت بين
ظهراني الأغريق الذين كانوا يعيشون على شواطئ آسيا
الصغرى وفي جزر بحر ايجية وكان ظهورها في الوقت المناسب
بعد أن مهدت لها الطريق الأشعار الطويلة والأعياد الدينية
والحروب الداخلية وبعد أن بدأ الشعراء الحكماء يدونون
خواطرهم وتأملاتهم ، وبعد أن ولد علم الكائنات وترعرع
في القرن السابع ق . م

ملاً هؤلاء الأغريق البعيدون عن وطنهم البحار
يسفونهم وطافوا اتحماً الأرض في سبيل التجارة . وأسسوا
مدنية وهذه المدنية الراقية وعلاقاتها بالأمم المختلفة وسياحات
أربابها في المحيط والتطورات التي اقتضتها أعدت الأفكار
للفلسفة .

وكل المدن التي كانت منتشرة على الشواطئ، فضلت
حريتها واستقلالها على الانضمام لبعضها البعض لتكوين
وحدة سياسية. ولم تتم تلك الوحدة إلا لمحاربة الفرس. إنما
كانت علاقاتها ببعضها البعض مستمرة

وكانت تنطلق في كل أربع سنين من كل المدن والجزائر
السفن الكبرى مملوءة بالهدايا والقربان والرجال والنساء
مزينين ومزينات للاحتفال بعيد أيونيا في جزيرة ديوس،
وقد امتزجت بهذا العيد الديني الألعاب الرياضية والرقص،
وهذان أعدا فن النحت بأعداد الأبدان الحية، وفي ساحة
كبرى كان الشعراء يتشدون قصائدهم والمنشدون قصائد
غيرهم وفي الساحة العامة كانت تنصب سوق تتبادل فيها
التاجر فيحضر الاثني بفخاره والميليزي بصوفه وأهل أيونيا
بزيوتهم الطيبة وعطور جزيرة العرب وتبر القوقاز (قولشيت)
والاحجار الكريمة والأقمشة الغالية كل من مصدره

وكانت كل مدينة منشقة على ذاتها. وقد استبدلت
الملكية البطريقية (سيادة الوالد) التي كانت في زمن
هومبروس بنظام أوليجاركي ثم اختفى هذا النظام وقد

اقتضت هذه الاحوال وضع قوانين جديدة . عامة وخاصة
وكان التشريع صعبا في هذه المدن القوية لارتباك الحياة
ونموها لذا قام الشراء الأقدمون وأوائل الفلاسفة بأعباء
السياسة واشتغلوا بها باعتبار أفضليتهم

وفي شهر هوميروس لا يختلف التعليم الأدبي عن
الحقائق ونتائجها ثم بدأ التفكير ضعيفا عند هزيرود وذلك
لهما لاقته بمواطني الشراء . يذكر هزيرود خلافة مع أخيه
بيرسيه عند ما يكتب فيقول « المراك نوعان الأول مذموم
ومخيف وهو الخصاص والدعوى والثاني شريف وعظيم وهو
منارة المتفنيين وأرباب الصنائع » وقد أوحى اليه ما قاساه
من ظلم الملوك ديوان « البلبل والباشق » ونما جاء فيه :

« لتجارب الحيوانات المتوحشة والاسماك والطيور
ولتقن بعضها بعضا لأنه ليس بينها عدل ، أما البشر فقد
أعطاهم زفس العدل وهو أحسن الأشياء » . وفي قصيدة
« العمل والايام » : السعادة في العمل والفضيلة وبهما يحصل
الإنسان على بركة الرب ورضى « المشتري » وبهما يتقن
شرب الكذب والظلم

هذا أول أشكال الفلسفة العملية وليس لدينا إلا نبتة
من النثر والشعر الموضوعين في القرون الثلاثة ٩ — ٦ قبل
المسيح ثم ظهر الحزن (وهو علامة الأمم المتعبة المفكرة) في
شعر ممزم الأزميري الذي ولد عام ٦٣٢ ق م وهو
يتغنى بذكر الشباب ويتحسر على الشيخوخة وتيونين
دى ميجار الذي ولد عام ٥٨٠ يقول « أفضل شيء لأهل
الدنيا أن لا يولدوا ولا يروا أشعة الشمس المشرقة ولكن
إذا ولدوا فالأفضل الخروج الى عالم الخفاء بأسرع فرصة
وأن يرقدوا تحت الأرض ».

ومن حكماء هذا العصر الحكماء السبعة الذين لم
تعرف أسماؤهم وحاولوا أن ينشروا الأفكار الأدبية في
جمل قصيرة بدون تطويل وجملهم عبارة عن حقائق مفرغة
في قالب سهل وهي إما ثابتة بذاتها أو قائمة على سلطة دينية
وكذلك الشعراء صولون وفوسيلت وتيوجينس عبروا
في شعرهم عن نتيجة الخبرة الانسانية وخطر العنف وضرورة
الاعتدال في الحياتين الخاصة والعامة وفي الوقت نفسه
كانت السريرة الادبية تتطهر ثم ظهرت فكرة الله

يتاجي أرشيلوك الشاعر الرب زفس « زفس أيها
الأب الأعلى يا من تحكم من أعلى السماء وتري ما يفعله الناس
من خير وشر أنت تعلم ما هو عدل وما هو ظلم في عالم
الحيوان إذا كان زفس صاحب القدرة كلها فكيف يسود الظلم »
ومثله يقول تيوجنيس « من ذا الذي يرى الظلم في العالم
ثم يحترم الأرباب زفس أيها الأب الأعلى انصر العدل »
هذه الثورة ضد الدين هي الفلسفة الأولى

ان قصيدة الاعمال والايام هي أقدم تعبير للفلسفة
العملية وقصيدة التيوجوين التي تنسب الى هيزود هي أول
شكل من أشكال الفلسفة النظرية واسم هيزود أول الأسماء
وفي القرن السادس ظهر نوع الأورفزم من الاناشيد
فان أونوماقريط أحد العلماء الذين كانوا محيطين ببسات
نشر أغاني مقدسة باسم أورفيه ٥٢٠ — ٥٤٠ ق م وقد
استنزل فيها الوحي من الاساطير القديمة ومن الافكار التي
كانت دائمة ومنسوبة الى الشعراء الاقدمين وكل ما نعرفه عن
الأورفين وصل الينا من « الاسكندرانيين » الذين شوخوا

تلك الاغانى بأن جعلوها خليطا من سائر الافكار وأعطوها
صبغة مقدسة بأن نسبوها الى الحكماء الاول

ومن الاغانى التى استمدت من الاساطير فكرتها
أغنية جميلة على الليل والزمان اللذين يلدان الحب
ذي الجناحين المذهبين (ايروس) فيضمو ويكبر
وينحى فيكون ظهره السماء بنجومها ومن نور عينه يخرج
القمر والشمس ومن دموعه يخرج الجنس الانسانى البائس
وابتهامته تخرج شعب الالهة المقدس

وفى القرن السادس أيضا كتب فيرسيد بالثر عن
الطبيعة والارباب ومادونه من الكوزمولوجيا لا يزال مرتبطا
ارتباطا شديدا بالتيجونا ولكنه يفوق مادونه هيسود
ويعتاز فيرسيد بامرئ الاول أنه ميز المواد اليابسة
(الارض) عن غيرها كالمواد الجوية وفرق بين المادة والقوة
التي تدبرها.

ويلاحظ المطلع على تلك الفترة من تاريخ الفلسفة أن
فكرة واحدة كانت سائدة وهي فكرة النظام والتناسب
والانسجام فهى الفكرة السائدة فى ما يدونه الحكماء

والمشترعون وغيرهم ممن يريدون أن يسودا الانسجام

تقسيم الفلسفة اليونانية - بيان عن الفلسفة السابقة لسقراط -

تقسيم الفلاسفة السابقين

يمكن تقسيم الفلسفة اليونانية التي تتصل بها الفلسفة

اللاتينية الى ثلاثة أقسام أو فترات

القسم الاول يبدأ بتأليس عام ٦٠٠ ق.م وينتهي مع

سقراط والفلسفة في هذا القسم هي عبارة عن علم البكائيات

الشامل لسائر عناصر الوجود وفي القسم الثاني فتح سقراط

للفلسفة بابا جديدا فرقع المنطق والاخلاق على الطبيعيات

والقسم الثالث يبدأ بإراء المحدثين من أتباع فيثاغورس واضعي

(نيوفيثاغورزم) ويمتد الى نهاية الفلسفة القديمة ويمتاز

هذا القسم بامتزاج الفلسفة اليونانية بالروح الشرقي وتقوم

الحكمة الالهية والتصوف

كان للفلاسفة الايونيون (اليونان الاقدمون) تأليس

وانا كسينا مدرود يوجين دابولوتي والفيثاغوريون والاليات

كلهم يبحثون عن مادة الاشياء

وفي عهد هيراقليت أصبح السؤال المهم هو معرفة
قواعد صيرورة الاشياء وما يطرأ عليها من التطور وطريقة
النظر الى المادة الاولى التي يتكون منها الشيء وعليها يتوقفه
فهم قواعد الصيرورة والتغير . ثم ان امبيدوكل والفلاسفة
الاتوميست وانا كنا جور تأثروا بآراء بارمينيد ضد التحول
والتعدد فقالوا بانه ليس هناك صيرورة ولا هلاك بمعنى
الكلمة ويفسرون سائر المظاهر الطبيعية باتفاق واختلاف
العناصر الاولى (التجاذب والتنافر)

رأينا في اليونان ان الشعراء يسبقون الفلاسفة ولذا
كانت المسائل التي حلها للشعراء الحكماء جمة مهمة فهم
يتساءلون عن معرفة تكوين الارض وظهور الانسان
وقد قبل الفلاسفة مبراث الشعراء أي أنهم اهتموا بما
اهتم به أولئك ولا يزال مجال بحثهم لماديا أي أصل
الارض وأهل الانسان ولكن طريقة البحث تغيرت وتغير
طريقة البحث أدى الى صعوبة الاهتمام الى حلول تلك
المسائل غير المحدودة فانه لا يمكن تحليل الاشياء بتحول مادة
أولية كما انه لم يكن ممكنا تحليلها بتاريخ الارباب ولذا

عرضت صعوبات جمة فتقوى العقل البشرى بطول البحث
وساد المنطق شيئا فشيئا على علم الكون وساد البحث في
الانتقال من الواحد الى المتعدد وامكان التحول والصيرورة
والذى يهم الباحث هو هذا الانتقال الفكرى من الطبيعى
الى المنطقى ومن النظر فى الكون الى النظر فى ذاته.

٣ - آراء الفلاسفة الاول

أتاليس أول الفلاسفة الايونيون كان من أهل
مilet ومن معاصرى كريسوس وصولون. ويفرض ميلاده
عام ٦٤٠ ق.م ويقول ارسطو فى كتابه « ما وراء الطبيعة »
جزء ١ قسم ٣ / ٩٨٣ ب ٢٠ ان تاليس لم يقل بشيء سوى
استبدال المحيط وما عبر عنه علماء التيولوجيا بالعنصر الرطب
وهذا التغير قد أحدث ثورة فى الافكار ويشير ارسطو
الى ان العلم الذى كان متعلقا باهداب الشعر قد بدأ ينقصل
عنه وأصبح القول بالآراء الشخصية من أهم الامور كذلك
الدفاع عنها بالجدل وطرق البحث العقلى ولم يكن ذلك مبنيًا
على الأساطير المقدسة انما على مراقبة الطبيعة بالذات . قال
تاليس « ان كل الموجودات مملوءة بالارباب » ومن المرجح فى

رأى أرسطو أن تاليس تمثل المادة الأولى حية وهذا رأى
الاقدمين في الكاوس (الفوضى الأولى) ولها قدرة على
توليد الأشياء بذاتها

انكسيمندر وهو من أهل ميلث ولد ٦١١ ق م أخذ
أول مبدأ لذاته الانهائية وقد تخيل الانهائية مادة غير محدودة
مؤلفة من اختلاط عدة مواد موجودة في جثان أو جرم
لا يمكن تمييزه

ثم تلاه اناكسين من ميلث أيضا وأصغر سنا من
انكسيمندر وقد يكون تلميذه اتخذ الهواء بداية
لكل شيء ويعتقد انه لا نهاية له وانه حي وانه يعتق العالم
بأسره وانه يحركه مستمرة يولد الموجودات وكل شيء ينتج
عنه بالتكثيف والتخلخل

ثم تلتها قبرة وقعت فيها حروب الفرس وجاء ديوجين
دايولوني وهو أصغر من اناكساجور (وعاش ٤٥٠ —
٤٨٠) ولا ريب انه اجتمع به باثينا التي صارت عاصمة الفلسفة
بو قد قال بأن الكائن الاول ينبغي أن يكون مادة كسائر
الاشياء وينبغي أن يكون متمما بالفكر فانه ان لم تصدر

الاشياء كلها عن مادة واحدة لا يمكن تعليل أثرها في بعضها البعض سلبا وإيجابا وأن قياس الكون وترتيبه حيث كل شيء سائر في طريق الخير يظهر أن بوضوح ذكاء المبدأ الأول وهذا المبدأ هو الهواء المفكر الذي يحكم الاشياء ويسودها جميعا لانه يخرقها جميعا لانه مادتها.

ان المعروف عن فيثاغورس وتلاميذه قليل والتغويل في القول عنهم هو على كتب ارسطو وعلى بعض نبد دتارة من مؤلفات فيثولاوس

ولد فيثاغورس في ساموس نحو ٥٨٨ وكتب زينوفان وهيراقليت كلاما عنه ومن الراجح انه ظهر اولاً في وطنه ثم انتشر اسمه في اغريقية الايونية . وتصعب معرفة حقيقة الاساطير التي نسبت اليه السياحة الى مصر واشورينا وكلدانيا وبلاد الفرس والهند والمؤكد انه سافر حوالى عام ٥٤٠ الى ايطاليا واستوطن كروتون وتوفي عام ٥٠٠ بمتابوته ولا يعلم أن كان موته قبل ثورة مدن الاغريق الكبرى ضد النظام الذى وضعه والجمعية التى فيها أو بعدها ولم يكن فيثاغورس فيلسوفا فقط بل كان مصلحا سياسيا ودينا

وقد ألف فيثاغورس جمعية دينية سياسية علمية انتشرت
من كروتون الى سائر مدن أغريقية الكبرى وكان يشترط
للدخول فيها مدة يقضيها العضو من قبيل التجربة قبل الانضمام
النهائي . وكان الاعضاء يتعارفون بأشارات سرية وكان
مفروضاً عليهم التعاون ومساعدة بعضهم بعضاً وواجبهم
نحو الرئيس الطاعة المطلقة وأشهر فلاسفة هذه المدرسة
الفيثاغورية : — فيلولاوس أحد معاصري سقراط
وديموقريط وقد جاء الى طيبة وتعلم عليه سيبيس وسمياس
وتيميدي لوفر والشاعر الهزلي أيسام وارخنياس
دمارنت ونورد رأي أرسطو — في أتباع فيثاغورس
تقلاً عن كتاب ما وراء الطبيعة قسم ٥٠١ قال أنهم
تعذوا ببيان الرياضيات وتأثروا بشدة الشبه بين الارقام
والموجودات فظنوا أن عناصر الاعداد هي عناصر سائر
الموجودات وان السماء كلها انسجام واحد ورقم واحد
فكان العدد هو المادة والشكل بل ان الاعداد هي الاشياء
بمعناها وينتقد عليهم أرسطو أنهم يخلطون الى هذا الحد بين
الاجسام الطبيعية وبين الارقام الحسابية أي بين الاشياء

ذات الثقل والخفة وبين الأشياء التي لا ثقل لها ولا خفة
يقول الفيثاغوريون ان العدد الذي هو مادة الأشياء

له في ذاته عناصر (عناصران) هما الزوج والفرد فالزوج
هو اللانهاية والفرد هو النهاية وكل شيء مركب من النهاية
ومن اللانهاية . كل شيء هو عدد وانسجام وما العدد
الا انسجام الزوج والفرد انسجام النهاية واللانهاية .
فالانسجام لا ينفصل عن العدد بل هو العدد ذاته .
فاذا كان النظام سائدا في العالم فهذا لان عناصر الأشياء أي
الاعداد هي القاعدة والنظام بل هي موسيقى ذلك الانسجام
وهنا ترى فكرة الترتيب والقياس والانسجام سائدة
على سائر آراء فيثاغورس واتباعه

وغاية تعليم فيثاغورس هي البحث عن السكائن والحقيقة
في العدد وليس هناك غاية للتمييز بين ما هو محسوس وما هو
معقول بل امتزج عندهم التعقل والخيال والشعر والدين
والعلم والسياسة وكل حالات النفس وأصناف الفؤاد وصور
الفكر ممزجة عندهم في وحدة محسوسة مرتبة .

أشهر فلاسفة مدرسة ايليات هم : زينوفان وبارمنيد
وزيفون الايلي

ولد زينوفان دي كلفون عام ٥٦٩ وساح من بلاد الى بلاد يكسب
قوته بنشيد شعره ولجأ أخيراً الى ايلية وهي مستعمرة أسسها
الآبقون من الفرس عام ٥٤٤ وبدأ زينوفان تعليمه بهجات
شعواء على أرباب العامة في التبتين ٦ و ٧ من مؤلفاته
ما يأتي

« لو كان للثيران والاسود أباد لصنعت لنفسها آلهة
على شكل أبدانها أن هو ميروس وهزيود نسباً للارباب
كل ما يشين البشر ويقتل من أقدارهم » ثم ختم قوله بتوحيد الله
وهو يقول في وصفه : أنه رب لا يتعب ويدبر الموجودات
كلها بقوة فكره . يقول اربسطو ولم يفصل زينوفان الله عن
العالم انما نظر في السماء بمجموعها ثم قال أن الواحد هو الله
وقد خلط الكون بالله وقرر أن الواحد لا يتحول ولا يتغير
ثم كان ينبغي لزينوفان ان ينفي التغير والتحول عن العالم كما
نقاهما عن الله ولكنه لم يصل الى ذلك بل قال بان العالم
لا يتحول في مادته وقد يتحول في شكله

بارمنيذ

أما بارمنيذ الذي يدعوهُ أفلاطون بالعظيم فقد كان
أكثر شجاعة وإقداماً . فإنه تعالى في تقرير مبدأ زينوفان
فأنكر بتاتا التغير والصيرورة والتعدد ولا يعترف بسوى الحقيقة
الواحدة أو الكائن الواحد الأبدى الذى لا يتغير

زينون

كان زينون صديق بارمنيذ وتلميذه وقد ولد بإيليه فى
أوائل القرن الخامس حوالى ٤٩٠ . ولعب دورا سياسيا مهما كما
فعل أستاذه . ونسب اليه أرسطو فضل وضع المنطق ثم انه
قام بتأييد مذهب بارمنيذ

شأن مدرسة ايلية

وكان لمدرسة ايلية أثر مهم فى تكوين الفلسفة السابئة
لسقراط . فوافق امبيدوكل والأتومست واناكساجور بارمنيذ
على القول بأن الكائن الحقيقى هو أبدي غيرها لك وقد نشأ
عن القول بهذا الفكر رأى جديد فى الحياة والطبيعة

الطبيعيون المحدثون - أولهم هيراقليط ولد عام ٥٠٤
ان هيراقليط أخذ يعلم الهيلوز ويسم (١) *Hylozoisme*
ولكنه كان يهتم بتحول الاشياء وتغيرها أكثر من اهتمامه بمادتها
فلذا هو يخالف بارمنيد الذي كان معاصراً له . وهكذا يمكن
فصل هيراقليط عن الفلاسفة الاقدمين الذين كانوا يهتمون
بالمادة ووضعه في طبيعة الحركة الفلسفية التي كان هو من أوائل
رجالها ومن أهم تلاميذه كراتيل الذي كان من أساتذة أفلاطون
وقد اشتغل هيراقليط بالسياسة وحارب الديموقراطية وكان
غامض العبارة حتى أنهم لقبوه بهيراقليط الغامض

وكان هيراقليط هذا يقول بأن الكل يتحرك والكل
يسيل والكل يصير الكل والكل هو الكل ومن قوله :
النهار والليل والنوم واليقظة والشباب والشيخوخة كلها
أشياء واحدة والطين الذي تصنع منه سائر الموجودات هو
مادة واحدة تتشكل بأشكال مختلفة . ان العالم محتاج الى
التحريك لئلا يترده الفساد . لا شيء موجود الكل هو الوجود

(١) مبدأ لا يعترف أصحابه بالوجود الا للمادة والكون و ينكرون
ماعدا ذلك

الكل يشمل المتناقضات وقانون الصيرورة يعود الى قانون اتفاق الاضداد أى كون الاضداد هي الاشياء بذاتها وكل الاشياء تولد من هذا العراك .

وهيراقليط يبحث في هذه الفوضى عن الانسجام لانه لا يقول بالمصادقات ويحدث الاشياء اتفاقاً وعرضاً ومن قوله أن النفوس الجافية لا تعرف أن الخير والشر يجتمعان في أثر واحد كما يجتمع في الانسجام العود والقيثار وكل له أنعام مخالفة لأنعام الآخر وهذا الانسجام هو القانون الالهي
امبدوكل

أمبدوكل من أغرب وأعجب هؤلاء الفلاسفة الاقدمين فهو شاعر وخطيب سياسى ونبي مظهر فيقوم بالمعجزات ويحيي الموتى ويوقف الاوبئة ويطوف شوارع اجريجثيه محزما ومتوجا بتيجان خضراء ومعبوداً كأنه بعض الارباب وقد انتحل من الفيثاغوريين تعاليمهم الدينية والادبية وعلم الكائنات الذى قال به هو توفيق بين بارمنيد وهيراقليط فهو يعترف بوجود بعض المواد التى لا تخلق ولا تهلك وينسب كل تغير وتحول الى انفصال وارتباط تلك المواد . لا شىء يعدم ولا

شيء يُخلق فليس هناك الا اتصال وارتباط العناصر والعناصر
أربعة الارض والماء والهواء والنار والقوى المحركة هي الحب
وهو مبدأ الاختلاط والاتحاد والبغض وهو مبدأ الاتصال
والانحلال

ليوسيب

لا يعرف عنه شيء تقريباً ولا يمكن تمييزه عن تلميذه
وصديقه ديموقريط (٤٦٠) وكان غنياً جداً ووقف أمواله
على السياحة والابحاث العلمية وقضى خمس سنين يجاور
علماء الهندسة المصريين ولا يعلم عن تاريخ سفره الى أثينا شيء
وهو كامبد وكل يريد التوفيق بين التعدد والصيرورة أي
التجربة . والحل الذي لجأ اليه ديموقريط هو القول بالجوهر
الفرد (اتوميزم) فقال ان الكائن ليس هو الواحد كما ظن
بارمنيد انما هو مكون من عدد غير محدود من الذرات
والوحدات الابدية غير المنقسمة متشابهة متحركة على الدوام
في الفراغ غير المحدود . فبقاء الكائن أمر يمكن التوفيق بينه وبين
التحول . لا شيء يأتي من العدم ولا يمكن هلاك شيء من
الموجودات انما الميلاد والنمو والموت يمكن تفسيرها بارتباط
وانفصال الذرات الاولى المتحركة في الفراغ وتغير الصفة يرجع
الى تغير الوضع في الفراغ ويعمل ديموقريط هذه الحركة بحركة
سابقة لها وهكذا ينسب الحركة السابقة الى حركة أسبق من
الاولى

وقد انتقد ارسطو هذا الرأي وقال كان الاولى به ان يقول بأن هذا السؤال لا جواب عليه لان الاشياء كانت على ما هي عليه أبدا وأنه لا مجال للبحث عن قاعدة أو قانون أناكساجور

من أهل كلازومينيس ولد عام ٥٠٠ وتوفي عام ٤٢٨ أحد الفلاسفة الايونيين جاء أثينا وأقام بها ثلاثين عاما وبها تلقى عليه العلم ايرييد وشاهد تشييد البارثينون وعرف فيدياس : وصادق بريكليس وحظي بحديث اسبازيا

وقد حاول مثل امبدوكل وديموقريط أن يوفق بين رأي بارمنيد وبين التجربة فقال ان اليونانيين يسيئون القول عند ما يتكلمون عن الميلاد والهلاك لأنه لا شيء يولد ولا شيء يهلك انما الاشياء موجودة تتألف وتتحد ثم تنفصل وان التغيير في الاشياء ناشيء عن تحول موضعها في الفراغ وهو يقول بأن عناصر الاشياء وجدت منذ الازل وأن كل شيء يمكن تقسيمه الى اللانهاية الى أجزاء متشابهة ذات صفات مختلفة والعشب الذي يأكله الثور يتحول الى دم وعظم وعضل لانه يشمل الدم والعظم والعضل وبعبارة أخرى كان رأى

أنا كساجور هو الذى قال به بعد ذلك جور دنانو وباسكال ولينتز
رأيه فى أصل العالم

فى أول الوجود كان الخلق مضطربا مرتبكا فلاجل
خروج العالم من تلك الفوضى اقتضى ذلك تداخل قوة محرّكة
مديرة. أمرة مرتبة. وهذه القوة هي العقل والذى يمتاز به
العقل هو البساطة والقوة والعلم ولكن لم يكن لانا كساجور
رأى واضح فى الفرق بين الروح والمادة فهو يتكلم عن
العقل بعض الاحيان كما يتكلم ديوجين دابولوين عن الهواء
المفكر ويقول عنه أنه أخف وانقى الاشياء وأن كل الكائنات
المفردة تحتوى على اجزاء منه وان أرواحها تقرب الى الكمال
يقدر ما تحتوى من مادته ويرى من ذلك ان انا كساجور هو
أول من ادخل فى الفلسفة فكرة قانون روحانى يرتب العالم
وينظمه . ان انا كساجور لفت نظر العقل الانسانى نحو ذاته
وبذا أعد فلسفة جديدة وهي فلسفة السفسة التى اشتغلت
بالفكر عن الموجودات

أصول السفسطائية — السفسطائيون المشهورون —
وآثارهم في تكوين الفلسفة

كانت الفلسفة اليونانية في أول أمرها غزيرة بالآراء
وأنظمة الفكر وطرق البحث فقد وضع هيراقليط أكبر قواعد
علم الحوارق عند ما قال أن كل شيء يتغير إلا قانون التغير ذاته
كذلك بارمنيد ينكر الصيرورة (التجربة) ولا يعترف بتغير
حقيقة واحدة وهي حقيقة الواحد المتحد بذاته الأبدى وقد
اكتشف ديموقريط في المادة سيادة الروح على الموجودات .
ولكن كل قاعدة كان يقول عنها صاحبها أنها عبارة عن الحقيقة
ذاتها فإذا كان العالم باق كما هو والمعضلة المطلوب حلها لا تتغير
فلماذا تتعدد الحلول هذا هو الذي دعا الفكر إلى التنبيه والحذر
من خطأه وكانت حال بلاد اليونان السياسية والاجتماعية
تقتضى وجود خطباء حاذقين يلعبون بالافكار ويهمهم الفوز
على الجمهور أكثر مما يهمهم قول الحق لذا نشأ فريق السفسطائيين
ولم يؤلف السفسطائيون مدرسة فلسفية بالمعنى الصحيح وكانوا
ينكرون الحق والخير المطلقين ولم يكن لهم غاية سوى الانتفاع
بالأشياء وسنأتي على آراء أشهرهم

أشهرهم بروتاجوراس وجورجياس وبروديكوس
وتراسيك وابونيديم

أما بروتاجوراس فقد اتخذ نظام هيراقليط بداية
لتعليمه ولكنه اغفل ذكر العقل العام الذي قال عنه
هيراقليط أنه سبب الانسجام ووحدة الذات في المتناقضات
اذن لا يبق سوى حوادث خارقة للعاده وحركة مستمرة .
وليس يوجد باب للمعرفة الا الحواس الخمس فالانسان أصبح
مقياس الاشياء وكل معرفة نسبية بالنسبة للروح التي تعرف .
فلا يخرج الانسان من ذاته . والحكيم كطيب النفس لا
يمكنه أن يخلق فيها أفكاراً أصبح وأصدق من الافكار
الموجودة بها ولكنه يمكنه أن يوجد بها أفكاراً أنفع وأجل
فالحكمة هي صنعة الاسعاد

وجورجياس ولد عام ٤٢٧ وجاء الى اثينا سفيراً لمدينة
ليوتيم وهي وطنه بصقلية وقد اتخذ تعريف بارمنيد للكائن
وطبق هذا التعريف على الكائنات الحساسة ويستنتج ان
الكائن ليس في مكان ما لانه لا شيء يوافق تعريف الوجود
وجملة تعليمه في ثلاثة آراء الاول ان لا شيء موجود وأنه لو

وجد شيء فلا يمكن معرفته ولو فرضنا وجود السكائن وأمكن معرفته فلا يمكن له أن يعرفه لغيره . قال بروتاجوراس أن كل حكم يصدره الانسان حق وقال جورجياس أن لا حكم حق : يقول لو كان كل حكم حقاً فهو قاصر على التعبير عن الظاهر وإذا كان كل حكم غير حق فمعنى هذا أننا لا نستطيع الا فهم الظواهر يقول السفسطائيون الذين انتقدهم أفلاطون وسقراط انتقاداً مراً أنه ليس هناك علم إنما هناك آراء وليس هناك حقيقة إنما هناك ما يشبهها وأن الخير نسي كالحق وروح الادب هي فن الفوز ومن أقوالهم ان الارباب اخترعها واضعو القوانين ليرهبوا البشر وأنه ليس هناك عدل ولا ظلم ولا حق ولا باطل وان القوانين ما وضعت الا للضعاف الذين لا يستطيعون مخالفتها وأن الخير هو القوة وهو فرج السيادة على الاشياء والفوز على الموجودات وكون القانون الوحيد الذي يقيد الرجل هو ارادته

وظهور السفسطة دليل على اضمحلال الفلسفة اليونانية القديمة وبداية تقدم في الفكر وأول عهد للبحث في مسائل معضلة لم تخطر للاقدمين على بال

(سقراط العظيم والفلسفة السقراطية)

لم يكن سقراط فيلسوفا فقط بل كان فيه من صفات الرسل والانبياء وكان يعتقد أنه تسلم من الارباب رسالته ففرغ تلك الرسالة وكانت نفسه تحده باصلاح وطنه اصلاحا أدبيا ودينيا وأنه ما كان يستطيع أن يرد لبلاذالاغريق مجدها بدون أن يستردوا فضيلتهم. فنشر طريقة جديدة للاهتداء الى الحقيقة واخراجها واحدة ثابتة من كل المظاهر المتعددة قليلة الثبات. وكل ما يحبه في الحق هو الخير الذي هو الشرط الاول للحق. والمنطق مرتبط في نظره بالآداب لانه اداتها ولد سقراط في اثينا عام ٤٧٠ واشتغل بصنع التماثيل كأبيه ثم تركه واشتغل بالحكمة والوعظ وكان قوى البدن شجاعا يقابل الاخطار بصدر رحب وكان يعتقد أنه يوحى اليه بما يقول وكلز يعادى سائر الطبقات فاتهم الشعراء بانهم يقولون ما لا يعلمون واتهم رجال السياسة بانهم ضيعوا مجد الوطن واتهم السفستائيين بفساد الاخلاق. وقد ذهبت به شجاعته الى هلاكه فاتهموه بالثورة ونسبوا اليه السخط على نظام حكومة وطنه وقد اتهمه ملىوس وليكون وانيتوس وأرادوا عقابه

يالموت ليكون مثلاً فيتقوي الدين الوطني ويظهر مبدأ
الديموقراطية على غيره من المذاهب ويراجع دفاعه عن نفسه
أمام القضاة في محادثات افلاطون (ابولوجى - كريتون -
فيدون) فانه من أجل وابلغ ما نطق به الانسان

ولم يكتب سقراط شيئاً انما عرف تعاليمه بالنقل عن تلاميذه
ومن قرأوا عليه على اثنائنا نجد في محادثات افلاطون نظريات
افلاطون ذاته وضعها على لسان معلمه اما زينوفون في «الباقيات»
و«المائدة» فهو يشرح بدقة أتم آراء سقراط ويهتم بما يهمه
ويلزله من علم الاخلاق وقواعده العلمية فافلاطون فيلسوف
متغال وزينوفون ليس كذلك فينبغي لنا والحال هذه المقارنة
بينهما والرجوع الى ما كتبه ارسطو في هذا المعنى . ان
الفلاسفة الاول ارادوا ان يعرفوا كل شيء فلم يقدرُوا واعطوا
الناس حلولاً متناقضة . اما سقراط فقد كان أكثر منهم تواضعاً
وبديلاً من أن يلفت الانسان الى الاشياء يكفيه أن يلفته
الى ذاته . فأول قاعدة من الطريقة السقراطية هي أن يعرف
الانسان نفسه لان الحقيقة ليست بعيدة عنا انما هي فينا ومنا
وعلى كل فانه في نفوسنا يمكن وجود الطريق المنطقية الكافية

للوصول إلى الحقيقة. كان السفسطائيون ينكرون العلم ومع ذلك كانوا يجذبون لكل مسألة جواباً. أما سقراط فكان يقول كل ما أعرفه. هو أنني لا أعرف شيئاً ومعرفة جهل الإنسان صفة كبيرة لأنها عبارة عن الإلمام بالعلم وعرفان حدوده والاعتدال على التمييز بين الحق والباطل وقد اكتشف سقراط طريقين للوصول إلى الحقيقة الأولى سلبية وهي الهزء وهي تنجي من الخطأ وتطهر وتسهل لنا التمكن من الحقيقة والآخرى إيجابية وهي الميوطيقي أو التوليد وهي تمكّننا من الحقيقة التي لا يمكن أن نكتشفها إلا فينا والخلاص من الغلط واكتشاف الحقيقة شكلاً من عرفان النفس

ولم يكن سقراط يقصد تثبيط هم الناس بالهزل إنما يريد تحليلهم من الغلط ويعدّهم للوصول إلى الحقيقة فأن اكتشاف الإنسان جهله هو بداية عرفانه ذاته إنما المعلم لا يسلم زمام الحقيقة لتلميذه ولكنه يساعد على استخراجها. قال سقراط « أن صنعتي كصناعة المولدة ولكنني أولد الرجال لا النساء واعتني بالنفوس لا بالأجسام » فالمعلم لا يسلم قيادته ولا يوهب إنما هو حاضر في النفس البشرية التي لا تملكه إلا إذا تركته

يفيض منها والعلم يكمل المعرفة التي يصل اليها الانسان اذا عرف ذاته فعمل الاستاذ هو مزاولة الموطيقي أو التوليد أى صنعة معاونه النفوس على «وضع الحقائق» التي لا تحتاج الا لأن تولد فهاهى أذن الطرق المنطقية التي تسهل توليد الحقيقة اجاب ارسطو على هذا السؤال ان هناك امرين ينسبان الى سقراط الأول المقالات القياسية (الاستدلالية) والثانى التعريفات العامة فكان سقراط بطريقته يظهر غرور الفصاحة السفسطائية بتعيين معانى الالفاظ تعيينا دقيقا ووضع تعريفات تعبر عن طبائع الأشياء وتمكن النفس من الحقيقة التي تستخرجها بعمليات منطقية تشبه الاعضاء الطبيعية للذكاء الانسانى ولاجل الوقوف على حقيقة فكر سقراط نرجع الى ما جاء فى محادثة فيدون التي وضعها افلاطون قال سقراط فى هذه المحادثة (ن ٩٦) «واخيرا سمعت واحدا يقرأ فى كتاب قال عنه انه كتاب انا كساجور (ان الذكاء هو قاعدة وقانون سائر الاشياء فالشرح صدرى لأنني فطنت الى حسن تلك القضية فقلت فى نفسي اذا كان الأمر كذلك فأن الذكاء سيعحول الاشياء الى الخير العام فاذا أراد الانسان ان يجد

سبب كل شيء وكيف يولد وكيف يموت وكيف يوجد فما
عليه ألا أن يبحث عن احسن حال يكون عليها الشيء)
اداب سقراط - القوانين الالهية - علم الفضيلة

نظريات دينية

يقول سقراط ان القانون هو العقل وأن العقل هو
الطبيعة ذاتها وأن القوانين الحقيقية هي غير المكتوبة بل التي
سطرتها الارباب في قلوب البشر أن من لا يطيع القوانين
الانسانية قد يسلم من العقاب ولكن من يستخف بالقوانين
الالهية لا يسلم من العقاب والعقاب يتلوا الزلة فتنتظم الحال
ويعود الترتيب بالتكفير عن الذنب . اذا كان الخير هو الحقيقة
ذاتها وأذا كان من الخطأ يخرج العقاب بضرورة طبيعته فمن
المستحيل ان الانسان يعمل الشر بإرادته لان الانسان يريد
الخير لذاته على الدوام فإذا كان الخير هو الحقيقة بعينها بخير
الفرد لا يمكن فصله عن خير المجموع . اذن فالانسان عندما
يخطئ إنما هو يخطئ لذاته أو يجنى على نفسه وحيث أنه
لا يريد الا الخير فهو كلما يفعل الشر يكون مخطئاً وكل خطيئة
ادبية هي غلطة ولا يمكن اتقاد البشر من الخطايا الا بتعليمهم

ولا لزوم للتمييز بين النظرية والعمل لان من يملك علم الخير يرى وحدة ذاته مع السعادة ولا يمكنه ألا ان يعمل الخير فالإنسان يعمل كما يفكر فالفضيلة هي اذن علم . فالحكيم هو الذي يفكر في الخير ويعمل الخير فاذا كانت الفضيلة علما فيمكن تعلمها والحق انه لا يوجد ألا حقيقة واحدة هي الحكمة انما تعددت اسمائها بحسبما تكون علاقة الانسان مع ذاته ومع امثاله أو مع الله واذا نظرنا الى الحكمة وعلاقتها بالارادة تصير هي الشجاعة والشجاعة هي علم الاشياء التي تخشى والاعتدال علم السرور والعدل هو علم ما يستحقه كل انسان والصالح هو علم واجباتنا نحو الارباب

وهنا نشير الى اراء سقراط في الصداقة وارائه في العمل وقوله في المرأة التي يريد جعلها رفيقة الرجل ومساوية له (راجع كتاب أيكوتوميكوس تأليف زينوفون ١ و ٣ و ٧ و ٩) أما أراؤه في السياسة فهو يميل الى الارستوقراطية ويريد حكومة أصلح الرجال وأحكمهم وحاجة المدينة الى العلم كحاجة الفرد فلا تحصل على الخير المطلق الا من طريق العلم وقد أعطى سقراط دليلين على وجود الاله الاول بالعلم

الفعالة والثاني بالعلل النهائية والدليل الاول هو القول بأن ما فينا ينبغي أن يوجد في العلة التي خلقت العالم . قال سقراط «أحط العلم كله بفكرك تستطع ولكن بدئك ليس الاجزاء ضئيلا من الارض وأقول كذلك عن الرطوبة وغيرها من العناصر التي تتكون منها الارض كلها عظمة مهولة ولكن من كل عنصر منها يدخل بدئك جزء يسير وانت تظن انك وحدك امتزت بالعقل» وسقراط يظهر اعجابه بترتيب العالم والنظام السائد وهو معجب باعداد كل عضو في بدن الانسان لما يخلق له ثم ينتقل من المصنوع الى الصانع أي من المخلوق الى الخالق أي من العالم الى الله ويرتفع الى فكرة الله أكبر من سائر الالهة ويقول ان الالهة الاخرى التي تمنينا الخيرات انما تمنينا اياها دون ان نراها اما الذي يرتب العالم بما فيه من اشياء جميلة وخيرة ويحكمه باسرع من الفكر يعمل امامنا أعظم الاشياء ولكن بدون ان يمكننا من رؤيته قرب سقراط هو العين التي ترى كل شيء وتسمع كل شيء وهو حاضر في كل مكان وساهر على كل ما في الوجود

ألم يكن هذا دليلاً على وجود الله في نفس الفيلسوف كما
كان يقول أنه يسمع في نفسه صوت الله وقد قال سقراط
بخلود النفس تبعاً للعدل الإلهي فإن النفس خالدة لأنها منفصلة
عن البدن وسائدة عليه ولأن لها حياة خاصة بها وإن الإنسان
يرى البدن ينحل ويفسد والروح لا يراها أحد بعد الموت ولا
في الحياة ولأنها أقدس ما فينا ولذا ترجع إلى الله . كن ذا أمل
في الموت ولا تفكر إلا في حقيقة واحدة وهي أن الشر
لا يلحق برجل الخير أثناء حياته ولا بعد مماته لأن الأرباب
لا تتخلى عنه مطلقاً

ما كتبه العرب عن سقراط

أسمه - معنى سقراط باليونانية المعتصم بالعدل وهو ابن
سنقر وقسقس ومولده ومنشأه وميته باتينة

وصفه الطبيعي - كان سقراط رجلاً أبيض اشقر أزرق
جيد العظام قبيح الوجه ضيق ما بين المنكبين بطيء الحركة
سريع الجواب شعث اللحية غير طويل. إذا سئل أطرق حيناً
ثم يجيب بالقاط مقنعة كثير التوحيد قليل الأكل والشرب
شديد التعب يكثر ذكر الموت قليل الأسفار يجد الرياضة بدنه
خسيس اللبس مهيباً حسن المنطق لا يوجد فيه خلل مات بالسم
وله مائة سنة وبضع سنين

عائلته - خلف من الولد ثلاثة ذكور ولما لزم التزويج
على عاداتهم الجارية في الزام الأفاضل بالتزويج ليقى نسله بينهم
طلب تزويج المرأة السفينة التي لم يكن في بلده أسلط منها ليعتاد
جهلها والصبر على سوء خلقها ليقدر أن يحتمل جهل العامة
والخاصة

ملخص تاريخه - قال القاضي صاعد في كتاب طبقات
الأمم أن سقراط كان من تلاميذ فيثاغورس اقتصر من الفلسفة

علي العلوم الالهية وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وأعلن
بمخالفته اليونانيين في عبادتهم الاصنام وقابل رؤساءهم بالحجاج
والإدلة فشوروا العامة عليه واضطروا ملكهم الى قتله فأودعه
الملك الحبس تحمداً اليهم ثم سقاه السم تفادياً من شرهم وله
مناظرات جرت مع الملك محفوظة

طريقة تعليمه - بلغ سقراط من تعظيمه الحكمة مبلغاً أضر
بمن بعده من محبي الحكمة لانه كان من رأيه أن لا يستودع
الحكمة الصحف والقراطيس تنزيهاً لها عن ذلك ويقول أن
الحكمة ظاهرة مقدسة غير فاسدة ولا دنسة فلا ينبغي لنا ان
نستودعها الا الانفس الحية ونزهرها عن الجلود الميتة ونصونها
عن القلوب المتمردة ولم يصنف كتاباً ولا أملي علي أحد من
تلاميذه ما أثبتته في قرطاس وانما كان يلقيهم علمه تلقيناً لا غير
وتدلم ذلك عن استاذه طيماتاوس فانه قال في صباه لم تدعني
أدون ما أسمع منك من الحكمة فقال له ما وثقت بجلود البهائم
الميتة وازهدك في الخواطر الحية هب أن انساناً لقيك في
طريق فسألك عن شيء من العلم هل كان يحسن أن تحيله علي
الرجوع الى منزلك والنظر في كتبك فإن كان لا يحسن فالزم

الحفظ فلزمه سقراط .

سبب محاكمته — ولما اكثرت سقراط على اهل بلده الموعدة
وردهم الى الالتزام بما تقضيه الحكمة السياسية ونهاهم عن
الخيالات الشعرية وجشهم على الامتناع عن اتباع الشعراء عز
ذلك على اكابرهم وذوى الرئاسة منهم واجتمع على اذاه عند
الملك والاغراء به احد عشر من القضاة — فى ذلك الزمن
فتكلموا فيه بما افسد عليه قلب الملك وزينوا له قتله والراحة منه
وخيّلوا له انه ان بقى فى دولته افسدها وربما يخرج الملك بأقواله
عن يده فقال الملك أن قتله ظاهراً ساءت سمعتى واستجھانى
أهل مملكى والمجاورون لى فإن قدر الرجل لديهم كبير
وذكره فى الآفاق سائر فقالوا تحيل له فى سم نسقيه فأسجنه
أياماً فأمر بسجنه

مدة حبسه

لما حبس الملك سقراط بقى فى الحبس أشهراً بعد فتيا
قضاة مدينة اثلينس بقتله وسبب ذلك أن المركب الذى كان
يبيع به فى كل سنة الى الهيكل المرسوم بهيكل ابولون وهو
الذى تحمل فيه الهدايا فى كل سنة الى ذلك الهيكل

لا تتلف نفس علانية باراقة دم ولا غيره حتى يرجع الى
اثينس وأنه عرض للمركب في البحر عارض منعه من المسير
فأبطل قتلته تلك الشهور فلم يقتل حتى انصرف المركب

اجتماع أصحابه به في سجنه عن رواية خفراطيس

«كنا جماعة من أصحابه نختلف اليه تتواني في كل يوم في
الغلس فاذا فتح باب السجن دخلنا اليه فأقننا عنده أكثر نهارنا
فلما أن كان قبل قدوم المركب بيوم أو يومين وافيت في
الغلس فاصبت اقريطون وقد سبقني فلما فتح الباب دخلنا
معاً فصرنا اليه فقال له اقريطون أن المركب داخل غداً أو بعد
غد وقد أظف الامر وقد سعينا في أن ندفع عنك مالا الى
هؤلاء القوم وتخرج خفياً فتصير الي رومية فتقيم بها حيث
لا سبيل لهم عليك»

رفضه الفرار

«فقال سقراط يا قريطون قد تعلم أنه لا يبلغ ملكي أربعائة
درهم وأيضاً فانه يمنع من هذا الفعل ما لا يجوز أن يخرج عنه
فقال له اقريطون لم أقل هذا القول على أنك تغرم شيئاً وانا
لنعم أنه ليس لك ولا في وسعك ماسأل القوم ولكن أموالنا

متسعة لك بذلك وبمثلله أضعافا كثيرة وأنفسنا طيبة نادائه
لإنجاتك والا تقجع بك فقال يا قريطون هذا البلد الذي فعل بي
فيه ما فعل هو بلدى وبلد جنسى وقد نالني فيه من حبسي ما
قد رأيت وأوجب على فيه القتل ولم يوجب على لشيء استحقته
بل لمخالفتي الجور وطعنى على الافعال الجائرة وأهلها والحال
التي وجب على بها عندهم القتل هي معي حيث توجهت وأنا
لا أدع نصرة الحق والظمن على أهل الباطل والمبطلين وأهل
رومية أبعد مني رجما من أهل مدينتي فهذا الامر اذا كان باعته
نصرة الحق فهي حيث توجهت واجبة على فقير مأمون
هناك على مثل ما أنا فيه ثم لا يعطف واحدا منهم على رحم
يفدني بها فقال له اقريطون فتذكر ولدك وعيالك وما تخاف
عليهم من الضيعة وارحمهم ان لم تشفق على نفسك فقال الذي
يلحقهم من الضيعة برومية كذلك ولكنهم هاهنا أخرى بأن
لا يضيعوا معكم خبرني يا اقريطون لو أن الناموس مثل رجال
فقال لي يا سقراط أليس بي اجتمع أبواك وبى كان تأديبك
وبى تدبير حياتك أكنت أقول لا أم أقول الحق الذي هو

الاقرار بذلك فقال له بل الحق قال سقراط أفرايت أن قال
لى أفى العدل أن يظلمك ظالم فتظلم آخر - أفكان يجوز لى أن
أقول نعم قال له اقريطون لا يجوز ذلك قال له سقراط فان
قال انخر وجك من الصبر على ما حكم به الحاكم خروج عن
الناموس ونقص له أم لا أيجوز أن أقول ليس بنقص وخروج
عن الناموس فقال له اقريطون لا يجوز ذلك فقال له سقراط
فاذا لا يجب أن ظمنى هؤلاء القضاة أن أظلم الناموس
اعتقاده فى الاحلام

ودار بينهما فى ذلك كلام كثير فقال له اقريطون أن كنت
تريد أن تأمر بشيء فتقدم فيه فإن الامر قد أرف فقال يشبه
أن يكون كذلك لانى قد رأيت فى منامى قبل أن تدخل على
مايدل على ذلك .

يوم اعدامه

فلما كان ذلك اليوم الذى عزموا فيه على قتله بكرنا
كالمادة فلما جاء قيم السجن فرآنا فتح الباب وجاء القضاة الاحد
عشر فدخلوا ونحن مقيمون على الباب فلبثوا مليا نخرجوا من
عنده وقد قطعوا حديدته ثم جاءنا السجنان فقال ادخلوا فدخلنا

وهو على سرير كان يكون عليه فسلمنا وقعدنا قلما استقر بنا
المجلس نزل عن السرير ونزل معنا اسفل منه وكشف عن ساقيه
فمسحهما وحكهما

اقواله قبل موته

ثم قال ما اعجب فعل السياسة الالهية كيف قرنت
الاضداد بعضها ببعض فانه لا يكون لذة الا وتبعها ألم ولا ألم
الا وتبعته لذة فانه قد عرض لنا بعد الألم الذي كنا نجد من
ثقل الحديد في موضعه لذة وكان هذا القول سببا للقول في
الافعال النفسانية ثم اطرده القول بينهم في النفس حتى أتى على
جميع ما سئل عنه من امرها بالقول المتقن المستقصى ووافى ذلك
منه على مثل الحال التي كان يعهد عليها في حال سروره من
البهجة والمزح في بعض المواضع وكلنا نتعجب منه اشد التعجب
من صرامة نفسه وشدة استهائه بالنازلة التي قد نهكتنا
لفراقه وبلغت منا وشغلنا كل الشغل ولم يشغله عن تقصي
الحق في موضعه ولم يزل شيء من اخلاقه واحوال نفسه التي
كان عليها في زمن امته الموت وقال له سياس في بعض ما يقول
له وأمسك بعض الامساك عن السؤال أن التقصي في السؤال

عليك مع هذه الحال لثقل علينا شديداً وسماجة فاحشة وأن
الامساك عن التقصي في البحث لحسرة علينا غدا عظيمة لما نعدم
في الارض من وجود الفاتح لما نريد فقال له يا سيّاس لا
تدعن التقصي لشيء أردته فان تقصيك لذلك هو الذي أسر
به وليس بين هذه الحال عندي وبين الحال الاخرى فرق في
الحرص على تقصي الحق

اعتقاده بالجلود

ثم قال: انا وان كنا نعدم أصحابا ورققاء أشرفا فمحمودين
فاضلين فانا أيضا أدّكنا معتقدين متيقنين بالاقاويل التي لم تزل
تسمع منا فانا نصير الى اخوان آخر فاضلين أشرف محمودين
منهم أسلاؤس وأيارس وأرقيليس وجميع من سلف من
ذوى الفضائل النفسانية وعدد أقواما غير من ذكرنا فلما
تصرم القول في النفس وبلغوا من سؤالهم الغرض الذي أرادوا
سألوه عن هيئة العالم وما عنده من الخبر في ذلك
رأيه في الارض

فقال اما ما اعتقدناه وبيناه فهو ان الارض كرية وان
الافلاك محيطة بها ومحيط بعضها ببعض الاعظم بالذي يليه في

العظم وأن لها من الحركات ما قد جرت العادة بالقول به
وسمعتهم منا كثيرا فأما ما وصف أناس آخرون فانهم وصفوا
شيئا كثيرا ثم قص قصصا طويلة في ذلك مما ذكره الشعراء
اليونانيون القائلون في الأشياء الإلهية كوميروس وارفائوس
وأسيدوس وايدفليس

خطبة الموت

فلما فرغ من ذلك قال أما الآن فأظنه قد حضرت
الساعة التي ينبغي أن نستحم فيها فلا نكلف النساء احمام الموتى
في صيوان الحكم فان الارماني يعني السياسة قد دعنا ونحن
ماضون الى زاوس

وأما انتم فتصرفون الى أهاليكم ثم نهض ودخل بيتا يستحم
فيه فأطال اللبث فيه ونحن ننذاكر ما نزل بنا من فمده وأنا
نعدم أباشقيقا ونبقى بعده كاليتامى ثم خرج إلينا وقد استحم
فجلس ودعا بولده ونسائه فأتى بهم وكان له ابنان صغيران
وابن كبير فودعهم وأوصاهم بالذي أراد وأمر بصرفهم فقال
له قريظون ما الذي تأمرنا به ان تفعله في ولدك وأهلك وغير
ذلك من أمرك .

وصيته بنفسه

فقال لست آمركم بشيء جديد بل هو الذي لم أزل آمركم
به من الاجتهاد في اصلاح أنفسكم فانكم اذا فعلتم ذلك
سررتكموني وسررتكم كل من هو مني بسبيل فقال له أقريطون
قما الذي تأمرنا به أن نعمل اذا مت فضحك ثم التفت الي
جاءتنا فقال أن أقريطون لا يصدق بجميع ما سمع متي ولا أن
الذي يخاطب ويخاطبه منذ اليوم هو سقراط ولا يظن أن الذي
يفعل ذلك به ليس ألا جسد سقراط وأنا أظن إلا أناني سافر
منكم بعد ساعة فان وجدته يات أقريطون أفعل بي ما تشاء

جلاد فيلسوف

فأقبل خادم الا احد عشر فأخيا فوقف بين يدي سقراط
فقال له يا سقراط انك حري معا أري وما عرفته منك قديما
أن لا تسخط على عند ما آمرك به من أخذ الدواء اللازم
باضطرار لانك تعلم أني لست علة موتك وان علة موتك
قضاء الا احد عشر وأنى مأمور بذلك مضطرا اليه وأنت أفضل
من جميع من صار الى هذا الموضع فاشرب الدواء بطيبة نفس
واصبر على الاضطرار اللازم ثم ذرفت عيناه وانصرف عن

الموضع الذي كان واقفا فيه بين يدي سقراط فقال سقراط
تفعل ذلك ثم التفت إلينا فقال ما أهيأ هذا الرجل قد كان
يدخل إلي كثيرا فأراه فاضلا في مذهبه ثم التفت إلى أقريطون
فقال له مر الرجل أن يأتي بشربة موتي إن كان قد سحقها وإن
كان لم يسحقها فليجد سحقها وليأت بها فقال أقريطون الشمس
بعد على الجدار وعليك من النهار بقية فقال له سقراط قل
للرجل حتى يأتي بالشربة فدعا أقريطون غلاما له فافضى إليه
شيء فخرج الغلام مسرعا فلم يلبث أن دخل ومعه الرجل
وفي يده الشربة

تجلده وصبره لدى الموت

فنظر إليه كما ينظر الثور الفحل إلى ما يهابه ثم مده
لأولها منه والتفت إليه وقال له يمكن أن تخفف من هذه
الشربة شربة لأنسان آخر فقال إنما يدق منها ما يكفي الرجل
الواحد فقال له أنت عالم بما ينبغي أن يعمل إذا شربت فامر
بتلك قال ليس هو إلا أن تتردد بعد شربها فإذا وجدت ثقلا
في رجلك استلقيت فشربتها فلما رأيناه قد شربتها رهقنا من
البكاء والاسف ما لم نملك معه أنفسنا وعلت أصواتنا بالبكاء

فأقبل علينا يلومنا ويمظنا ثم قال إنما صرفنا النساء لئلا يكون
مثل هذا فاما الآن فقد كان منكم أعظم فاما أنا فسترت
ووجهي وكنت أبكي بكاء شديدا على نفسي اذ عدت صديقا
مثله ثم سكتنا استحياء منه وأخذ في التردد هنيهة ثم قال للرجل
قد ثقلت رجلاي فامر به بالاستلقاء وجعل يحس قدميه ثم غمزهما
فقال له هل تحس غمزي قال لا ثم غمز غمزا شديدا فقال
له هل تحس غمزي قال لا ثم غمز ساقيه وجعل يسأله ساعة
بعد ساعة هل تحس فيقول لا ورأيتاه يجمد أولا فأولا ويشدد
برده حتى انتهى الى حقويه ثم غمز فلم يحس بذلك فكشف
عنه وقال لنا اذا انتهى هذا البرد الى قلبه قضي عليه ثم قال
سقراط لقريطون لسقلا يوبس عندنا ديك فأعطوه اياه وعجلوه
فقال له قريطون تفعل ذلك وان كنت تريد شيئا آخر فقل فلم
يجبه وشخص ببصره فأطبق اقريطون عينيه وشد لحية

(الفلاسفة السابقون لأفلاطون من تلاميذ سقراط

ويسمون مجازاً أنصاف سقراط)

كان تعليم سقراط متيناً ومركباً بحيث لا يمكن أن
تشعب عنه عدة تعاليم ولم يهتم كل من تلاميذه إلا بما ينفعه
بالذات فاكتفى الميجاريك من أتباعه *Megarique* بالمنطق
وأهم السيرانيك *Cyrénaique* والسينيك^(١) بالأخلاق وقد
أظهرا وحدة الحق والخير والعلم والفضيلة ولكن لم يستبن
هؤلاء الحكماء حاجة الأخلاق إلى المنطق وحاجة المنطق إلى
الأخلاق. ولكن أفلاطون وحده تمكن من فهم مجموع أراء
الاستاذ فأضاف إلى تعاليمه أراء الفلاسفة السابقين وكون من
التعاليم كلها تعاليماً جديداً محبوك الأطراف وسبع المبادئ المتناقضة
(أريستيب مؤسس مذهب برقة الفلاسفي «سيرانيك»)
ولد في سيرين عام ٤٣٥ وعاش أمداً في بلاط دينيس

(١) الميجاريك علم على مذهب فلسفي من أتباع سقراط نسبة
إلى بلدهم كذلك سيرانيك علم على مذهب آخر نسبة إلى برقة إذ
كانت مستعمرة يونانية. أما السينيك فهم الفلاسفة المستحقون بالدنيا
وزخرفها وهم أيضاً فرقة من أتباع سقراط العظيم. واصل أسمهم
نسبة إلى الكلب.

عانية سرقصة وقد قابل بالبلاط أفلاطون ولكن لم ينل
أفلاطون رضى الملك لما كان عليه من الحرية وكرامة النفس
فلما نالها أريستيب بتذله وخنوعة ومبدأ أريستيب أن الانسان
لا يعلم الا ما يشعر به الحواس وان ما يسبب شعورنا هو
خارج عنا كما أننا لا نعرف كنه ما يشعر به غيرنا من الناس
وأنة ليس هناك فكر ولا حكم ولا علم

كان سقراط يرى أن الفضيلة شرط السعادة وأن العلم
شرط الفضيلة وأن السعادة ليست بعيدة عنا لأنها في السرور
الحال الوقتي أى في حركة الشعور الحاضر فلا نهتم
بال مستقبل لأنه ليس لنا وليس شئ أفضل من السرور وليست
الفضيلة الا في اليأس السرور والحرية الحقيقية كائنة في تحرير
الإنسان من رغباته

ومن تلاميذه افيمر الذى قال بأن الارباب ما كانوا
سوى رجال ممتازين وقد مجدهم الناس بعد موتهم ومن
تلاميذه هجسياس قال بأن اللذة غاية الحياة ولكنها ليست تابعة
لإرادتنا ولكن الالم يحيط بنا ويصيبنا بأشكال مختلفة فأفضل
الاشياء للانسان أن يموت . وكان هجسياس هذا يعيش في

الاسكندرية لهذا البطالسة وقد سموه خطيب الردى
مدرسة السينيك (مذهب المستخفين بزخرف الدنيا)
رئيسها انتيستين ولد في أتينام عام ٤٤٤ ق. م أثرت فيه
بساطة سقراط وتواضعه واستغناؤه عن سائر الاشياء القاضية
وكان قبل ان يلتقى عن سقراط تلميذا لجورجياس . وكان
منطقه سفسطائيا فانكر الفكر العام وسائر الحقائق العلمية
ويقول بأن الفضيلة هي الخير الاعلى وكل ما عداها لاشيء
وانه لا ينبغي الفرار من العمل والالم انما ينبغي بالعكس أن
يبعث عنهما وكان هيرقل نموذج الفضيلة

وكان انتيستين يلتقى بتلاميذه بمكان اسمه سينوسارج
ومن هذه الكلمة كان أول اسمهم (سينك) وتنسب تلك
التسمية أيضاً الى لفظ الكلب في اليونانية وكان يقول ان أعقل
الرجال هو أقلهم رغبات وأقدرهم على احتقار الطيبات التي يحبها
غيره والحرية هي الخلاص من الشهوات وان من يملك الفضيلة
لا يفقدها بعد ذلك وأن الحكيم يكتفى بذاته لانه يملك كل
شيء وقد أدى هذا التفريط في العناية بالاشياء الى تشويه

مبدأ اتباع اثنتين وصار علما على ديوجين الكلي أعظم
المستخفين بالدنيا

(مذهب الميجاريك)

اما ايتليد دى ميجار فقد آوى تلاميذ سقراط واتباعه
بعد موته واشتهر بالمنطق وتعليمه الفلسفى مزيج من تعليم سقراط
وبرمنيد وقد تكلم عنه وقد آراه أفلاطون في محاورته
(السفسطائي) وكان يقول ليس في العالم الا الخير . توحد في
الجوهر وتعدد في الاشكال (الاعراض) فالواحد هو الخير
والعناية هي الخير والله هو الخير والعقل هو الخير وما ليس
بخيرا فليس له وجود مطلقا وهو ينكر التعدد والصيرورة
ويقول بأن العالم ليس فيه الا ما نراه من الظواهر وان الازاء
باطلة وتعلمها لا يؤدي بالقائلين به ان يسيروا بعيدا

أفلاطون - حياته - مؤلفاته - فلسفته

ولد أفلاطون بأثينا وقال بعضهم بأجينا عام ٤٢٨. وكان جده لأمه من أولاد صولون وجده لآبيه من نسل كودروس آخر ملوك أثينا وبدأ يتلقى العلم على سقراط عام ٤٠٨. وبعد أن مات استأذه آواه إقليدس بميجاره ثم سافر بعد ذلك سفرة طويلة حملته إلى سيرين حيث درس الرياضيات على تيودور المطاطيقي ثم قصد مضر فأسيا الصغرى وسافر في الأربعين من عمره إلى إيطاليا فتعرف إلى أتباع فيثاغورس ثم ذهب إلى صقلية وسيراقصة وتقرّب إلى ديون صهر دئيس العاتية ولكن حرية فكره لم ترض دئيس فباعه عبدا رقيقا وشراء صديق له ورده إلى أثينا ففتح مدرسة للفلسفة في حدائق أكاديموس (أكاديمية) وبعد أن مات دئيس العتيق بقليل عاد أفلاطون إلى سرقة طمعا بمودة دئيس الصغير لأنه كان في وطنه وحيدا مرتابا في أمره بلا تأثير. لذا هاجر ظنا منه أنه يلقي بصقلية مجالا للعمل لأنه كان يريد صنع الخير وكان ذا ثقة بنفسه وخيل له أنه سيعيد إلى سرقة مجدها إذا

حق فيها بنيادته السياسية وقد استقبله دئس استقبالا حسنا ثم ما لبث أن ملأ أفكار الاملايح التي شرحها له أفلاطون وبعد قليل ثنى ديون صديق أفلاطون واضطر أفلاطون للفرار ثم سافر عام ٣٦١ م مرة ثالثة إلى صقلية وأراد أن يوفق بين ديون المنق و دئس الصغير ولكنه لم ينجح في منسماه وكان في خطر الموت لولا تدخل اريخيتاس دي تارنت أحد اتباع فيثاغورس. فعاد أفلاطون من سفرته وقد انقشمت عنه غيوم الخيالات والآمال في البشر فتفرغ إلى الحكمة وذهب إلى الفلسفة بكلية ومات عام ٣٤٧ .

محاورات أفلاطون

توجد باسم أفلاطون خمس وثلاثون محاورة بعضها مشكوك في صدق نسبتها اليه والبعض ترجع نسبته وبعض كتب ورسائل سابعا أحقها بالنسبة اليه ويمكن ترتيب محاورات أفلاطون بحسب ترقية الفكرى فقد كان في أول الامر تحت تأثير سقراط فاشتغل بمسائل الاداب وكتب خلال تلك الفترة اترقون ومينون واحتجاج سقراط على أهل أتينا وكريتون وپروتاغوراس وجورجياس

وفي الفترة الثانية بدأ يكون تعليمه وكذلك أخذ يكتب
محاورات نصيبها من النظريات الفكرية أكثر من نصيب
الاولى وهي تيتونس والسفسطي وفيلبوس وبارمنيد وكراتيل
ومدير المدينة .

وفي الفترة الثالثة تمكن من أفكاره تمام التمكن وأخذ
يكتب النوع الثالث من محاوراته وهي التي جمعت بين دقة
المنطق وجمال الشعر وهي المائدة وفيدون وتيماوس والنواميس
والجمهورية أو السياسة المدنية

نظرية المعرفة - درجاتها الاربع - المنطق الصاعد

- التذكر - المنطق الهابط - التقسيم

اشتغل أفلاطون قبل كل شيء بالعلم وغاية العلم في نظره
أى الشيء المدرك هو الوجود بعينه أما المنطق وماوراء الطبيعة
فلا يمكن فصلهما والمعرفة هي العمل ومن يعرف الخير يفعله
ولا توجد الا فضيلة واحدة وهي الحكمة ومنطق الافعال لا
ينفصل عن منطق الافكار . فتعليم افلاطون كله قائم على نظرية
المعرفة

قال هيزاقليط أن الموجودات تسيل وأن معنى الميلاد هو الموت فمن المستحيل على العقل في تلك الحركة الدائمة أن يحيط بمعجزة أو ظاهرة من ظواهر الطبيعة لانه لا يوشك أن يحيط بها حتى تقر قد يكون هذا حقاً فيما يشمل ظواهر الحياة أي الحياة الحسية ولكن هل يصبح كل علم مستحيلاً وكل معرفة حلاً ؟ كلا أن كل ما يمكن أن نوافق عليه السفسطائي هو القول بعدم العلم بالموجودات الحسية ومن يتعلق بالحواس لا يمكن له الا الحصول على ظن أي عادة انتظار حدوث ظاهرة بعد أخرى والظن يشمل نوعين من المعرفة الايمان وهو يقع على المحسوسات الظاهرة فتعرف به الاشجار والاحجار والحيوانات والاشخاص الثاني هو التخمين وهو يقع على صور الاشياء المحسوسة والظن حكم غير مسبوق بالتأمل والذي يقول عليه يكون علمه محدوداً به ولكنه لا يرى ومثله كمثل المنجمين الذين يقولون بالغيب ولا يعلمون عما يقولون شيئاً وقد يقيد الظن من وجهة عملية ولكنه غير موثوق به وهو في تحول مستمر لان موضوعه هو ما يولد وما يهلك ولكن فوق العالم الحسي يوجد العالم الفكري وفوق

ما يمر بوجود ما يتي وفوق الظواهر الاصول الثابتة التي لا تتحول والحقائق الازلية . فالعالم العقلي هو موضوع العلم الحقيقي والعلم الحقيقي يشمل نوعين من المعرفة الاولى قوة التليل أو الفكر وهي تتبدى بمعنى وتنظر في سائر نتائجها وغايتها الانتقال انتقالا منطقيا من معنى الى معنى بدون اهتمام بقيمة المعنى الاول وهذه القوة تعد وتحقق الذكاء الخالص أو البصيرة الذي هو فعل بسيط مباشر والمشاهدة العقلية تصل الى المبادئ والقواعد وتستعين بالفروض التي تقدمها قوة الفكر والفهم للوصول الى المعاني العقلية وغايتها القاعدة العليا والمبدأ الاول المستغنى بذاته غير المحتاج للفروض

فتعلم افلاطون يشغل امرين هما غاية المعرفة الاول العالم الحسى والثاني العالم المعقول الاول يدرك بالظن والثاني يدرك بالعلم وكل من الظن والعلم له نوعان من المعرفة وعمل الانسان هو أن ينتقل من المنتقل الى الثابت ومن الظواهر الى الكائنات ومن الظن الى العلم وهذا مشكل يظهر أنه مستحيل الحل مادامنا في عالم الحس ولا نحيط فيما حولنا الا بالظواهر وكيف ونحن مساجين في الزمان نستطيع الارتفاع

الى الازل

على أن طريقة افلاطون في الوصول عن طريق
المعلومات العادية من الظاهر الى الكائن طريقة معقولة
وليست طريقة صوفية ولكنها لا تتم لنا الا بانتقال بطي منطقي
وبين الظواهر والحقائق المعقولة عدة وسائط ترشدنا من
الواحدة الى الاخرى ولكن بين المحسوسات والمقولات
هوة لا يمكن أن يملأها المنطق وملاحظة الظواهر يمكن أن
تعلمنا قوانين الظاهر ولكن لا يمكنها أن تعطينا الوجود المعقول
يقول افلاطون أن المعنى غير مستتبع انما هو مشاهد وعمليات
المنطق الانتقاليه لا عمل لها الا اعداد الادراك الذي يكشف
لنا عن المعنى ولكن كيف يمكننا ونحن مغموسون في الظاهر
ادراك الحقائق الازليه ؟ قال سقراط من قبل أن العلم لا يأتي من
الخارج وان الانسان يجد حقيقة ذاته من ذاته وفي نفسه وأن
الاستاذ لا يستطيع الا توليد الحقائق التي تحملها نفس تليده
بواسطة الاسئلة الدقيقة وافلاطون يفسر الميوطيق (التوليد)
بالتذكر فيقول أن النفس عاشت قديما في السماء بقرب الارباب
متفرغة الى التأمل في الارواح فالعالم العقلي هو يثبتها ولكن في

القوانين السائدة أن النفوس التي تقيب عنها الأرواح تفقد
اجنحتها وتسقط في جثة أرضية . فالحياة الأرضية هي سقطة
وانحطاط وذكرى الوطن السماوى غامضة فينا ولكنها غير
ميتة فعند ما نرى فى الأرض فى نظام الطبيعة صورة النظام العقلى
الذى سبق للنفس التأمل فيه تتبدد الظلمات ونجد حالا فى
نفوسنا الأفكار التى كانت حية كامنة ولم تمت

البصيرة أو الذكاء الخالص (المدرک) يعده الفكر المتقل
وهذا الفكر المتقل يتبع قاعدة مطروحة كفرض (الواحد -
— المتعدد الوجود - العدم) الى آخر نتائج وكذا العقل
فالمدرک يتبعه العقل المتقل الذى يحسن النظر فى المعنى لينيره
ويكشف عن علاقاتها بغيرها وأسلوبه أن يضع أصلا يفترضه
ويستنتج منه نتائجها الى آخرها واكتشاف علاقات الأفكار
ببعضها البعض أهم أعمال التكلم ويعد أن يعبر عن وحدة المعنى
بالترقيق ينبغي بالتقسيم تبين اجزائها فحياة الفكر هي فى
الاتقال من وحدة المبدأ الى تعدد النتائج ومن وحدة النوع
الى تعدد الاجناس وفى تبين علاقات الأفكار ببعضها البعض .
فالوحدة المطلقة التى قال بها يارمنيد هي السكوت والموت

والتعدد المطلق الذي قال به تلاميذ هيراقليط هو الفوضى
والاضطراب وفي الحالين يستحيل الفكر والقول والحكم
يقتضى الجمع بين الانواع . لا ريب في أن المعنى لا يستطيع
أن يصير مناقضاً لذاته ولكن هذا لا يقصد به أن صفتين أى
نوعين مختلفين متناقضين لا يمكنهما أن يتحدا في موضوع
واحد بحيث يصير هذا الشيء الواحد في حين واحد متشابهاً
وغير متشابه واحد ومتعدد ولا مانع من أن جوهرًا يكتسب
من علاقته بالجواهر معنى أو صفات أخرى ما دامت هذه
الصفات الأخرى لا تلاشى الجوهر الذاتي فإذا كان الانسان
إنساناً فما الذى يمنعه أن يكون في الوقت نفسه خيراً أن
اكتشاف العلاقات التى تربط المعانى وتتبع المشاركة المتبادلة
بين الجواهر هذا هو العلم بعينه

الكلام وما وراء الطبيعة - المعانى - غلاقتها

بعضها وبالعالم الحسى

المنطق وما وراء الطبيعة لا يتفك أحدهما عن الآخر .
وأفلاطن يعتقد أن هذين العلمين غير متعددين بل هما علم
واحد . والامر الحقيقى المعقول هو أنها ممتزجان والحركة

المنطقية التي ترفعنا الى المعاني تمكننا من ادراك الوجود الحقيقي
والفكرة في نظر أفلاطون ليست هي الفكرة العامة وذلك
لأنهما لا تكونان بعمليات متشابهة ولا جل التعميم ينبغي مقارنة
عدة أفراد فيجرد كل من صفاته الشخصية ثم يعبر عن صورتها
العقلية بعبارة واحدة فالتعميم هو فكرة انتقالية والفكرة في
نظر أفلاطون تعطى لنا بادراك مباشر تعده العمليات المنطقية
ولا يمكن لها أن تحمل محله وفي المحل الثاني الفكرة العامة تعبر
عن وسط فلا تستطيع أن تتجاوز الحقيقة لأنها مستنبطة منها
وأضيق منها أما الصفة المميزة للفكرة في نظر أفلاطون فهي
الكمال والنقاء المطلق بدون اختلاط بخلاف الأشخاص المتعددة
المتغيرة فان الصفات فيها لا تكون صافية وكاملة والمساواة
الحقيقية هي التي لا تقبل غير المساواة والوحدة الحقيقية
لا تقبل التعدد والتعميم يقودنا من تجربة الى تجربة الى معنى
الكائن غير المحدد وهو أفقر وأفرغ المعاني والامر على عكس
ذلك فيما يتعلق بالكلام فانه يصل بنا الى أصدق أنواع الحقيقة
والى الكائن الذي هو مبدأ سائر الوجود والى الخير الاعلى
الذى يشمل في ثروته سائر أنواع الكمالات ثم ان الفكرة

العامّة هي إدراك أى فعل من أفعال العقل لا وجود له خارج العقل . أما أفلاطن فيقول ان المعنى موجود حقيقى بوجوده فى ذاته لا فى شئ لا يكون هو الا صفة له ووجود المعنى على هذه الصورة هو وجود أزلى لا يتحول فالظواهر تمضي وهو باق ويوجد على الدوام شئ يجعل فى حيز الممكنات وجود الانسان الذى يولد ويموت وهذه الحقيقة التى يمكن فهمها والتى كمالها سبب سائر الكمالات التى يظهرها الانسان هي فكرة الانسان بل هي الانسانية بذاتها

ان الافكار تكون جملة أو تمداً ولكن الوحدة هي قانون العقل الذى لا يقف الا عند المعقول الاعلى أى فكرة الفكر وعند المبدأ الذى يجمع بين سائر الكمالات

يقول أفلاطون ان سائر الكائنات المعقولة تستمد من الخير وجودها وجوهرها وفي أواخر حدود العالم المعقول توجد فكرة الخير التى تدرك بصعوبة ولكن متى أدركت يستتبع مدركها أنها سبب كل جميل وكل خير فاذا كانت فكرة الخير هي علة سائر الاشياء الجميلة الخيرة فهي إذن المبدأ الذى يضم سائر الفكر وأنواع الكمالات

فلفظ الكلام هو قاعدة أو مبدأ الوجود والمعنى هو
الخير هو هذا الشيء المستغنى الذي لا يفرض شيئاً آخر بل
هو الله

وان الله أفلاطون وان كان فكرة فانه في عرفه حتى
وحقيقى يقول أفلاطون هل يمكن أن يقتنعونا بسهولة بأن
الحركة والحياة والنفس والمعنى لا تلائم الوجود المطلق وان
الكائن لا يعيش ولا يفكر وانه باق بلا حركة وبلا نصيب
في الذكاء العظيم المقدس

ويعطى أفلاطون دليلاً على وجود الاله وهو دليل المحرك
الاول أى بالعلة الفعالة فيقول كيف يظن ان ما يحركه الغير
يكون هو مبدأ التحول والحركة والله هو مبدأ الحركة في العالم
ولكن الذى ثبت وجود الخير الا على هو وجود الخير في
الطبيعة وجوداً ظاهراً والدليل الثانى هو بواسطة العلل النهائية—
اذا كان من الحقيقى أن الحركات والثورات في السماء وفي
سائر الاجرام السموية تشبه حركة الذكاء وتشبه عملياته وتعليلاته
فينبغي أن نستنتج أن روحاً مملوءاً بالخير يحكم هذا الكون
وانه يهوده كما يريد

ولكن لماذا خلق الله العلم؟ الجواب أن الله خير والخير لا يخل بخير ما لذا خلق العالم على أحسن حال ولذا جعله على شكله وهذا الآله الخالق هو في الوقت نفسه عناية ثم يقول أفلاطون بمبادئ المستبشرين وينكر الشر المطلق والعالم هو أفضل العوالم الممكنة الخلق ويكفي أن نرد ما يبدو لنا كأنه بغير نظام في مكانه لنفهم سببه وعلمته والذي يعتني بالاشياء كلها قد وضعها بحيث تؤدي الى خير المجموع وحفظه وكل جزء لا ياتي ولا يفعل الا ما يلائمه فانت أيها الزائل الضئيل مهما كان صغيرك فانك لاشك داخل ضمن النظام العام وتضيف اليه بدون انقطاع فاذا ضجرت فهذا من جهلك أن الخير الخاص بك لا يعود عليك وعلى المجموع حسبما تقتضيه قوانين الوجود العام

الاخلاق السياسية

ان النظريات وتطبيقها مرتبطة ببعضها ارتباطا تاما في نظر أفلاطون فأنكار الحقيقة هو أنكار الخير فاذا لم يكن سوى الظواهر والخوارق فليس هناك إذن الا شعور حسي فيكون السرور نهاية الانسان وقد واصل أفلاطون تفنيد آراء

السفسطائيين الذي بدأ به سقراط وهو يمهّد السبيل لتعليمه في
الاخلاق والمعرفة والوجود بنقض الاغلاط التي شوشت
العقل وكان تراسيماك وكاليكليس من تلاميذ السفسطائيين
يقولون بأنه لا توجد قوانين طبيعية وانما توجد نظمات
اجتماعية وان الرجل الماهر القوي يمكنه أن يتحرر من سائر
القيود وينطلق في طريق شهواته فخارهم أفلاطون وقال
بوجود قانون للاخلاق غير معتمد على رغبات المقتنين ويمكن
للعقل أن يكتشفه بالتعمق وينبغي أن تتجه أنظارنا نحو فكرة
الخير وأن نوفق بين الخير وبين أعمالنا لأن فكرة الخير هي
الله ذاته وفضيلة الانسان هي في كونه يشبه الله ومشابهة الله
تكون بادخال الانسجام في سائر عناصر الطبيعة الانسانية
وبهذا يحدث تقليد النظام المعقول الذي يكشفه لنا علم الكلام.
فينبغي إذن أن نعرف الانسان لنعرف كيف ينبغي أن يكون
النفس مكونة من ثلاثة أجزاء الشهوة وهي تشمل سائر
الرغبات وسائر الانفعالات الدنيئة ثم شهوة الغضب التي
تؤدي الى الشجاعة وهي قاعدة بين الحس والفكر ثم العقل
ولكل جزء من النفس جزء في الجسم يقابله فالشهوة مكانها في

أسفل البطن والشجاعة في الصدر والعقل في الرأس ويشبه أفلاطون النفس بعجلة يسحبها جوادان الواحد أسود جموح مستعد على الدوام للثورة والثاني أبيض كريم يهدي رفيقه إذا حسنت قيادته ولكنه يجمع معه إذا لم تحسن قيادته يد قوية يقظة . فالجواد الاسود العاصي هو الشهوة والابيض الكريم هو الشجاعة والقائد هو العقل فينبغي للعقل أن ينتفع بالشجاعة ويستعين بها على الشهوة يقول أفلاطون أن لكل جزء من النفس فضيلة تقابله فالفضيلة المقابلة للشهوة هي الاعتدال ووظيفتها هي رد الشهوات الى حد الاعتدال والفرار من الافراط وتجهيز النفس بفصلها من الجسم لفهم الحق وفضيلة شهوه الغضب هي الشجاعة ووظيفتها التمييز بين ما يخشى وما لا يخشى وهي تولد عند تحويل شهوتها وهي خادمة العقل ضد الافعالات التي تخلق الذكاء والاعتدال والشجاعة هما شرطا الحكمة والحكمة هي فضيلة العقل ولاجل الارتقاء لدرجة الحقيقة ينبغي الخلاص من أوهم احترام الذات ومن العواطف غير المنظمة التي يولدها فساد الجسم والمعدل هو الفضيلة التي تولد من امتلاك الفضائل الاخرى فهو الانسجام

الداخلي واتفاق النفس وذاتها أي عند ما يقوم كل جزء من
النفس بوظيفته فتطبع الشهوات الشجاعة وتطبع الشجاعة
العقل حينئذ يولد العدل

وكثيراً ما يدخلون الى فكرة الفضيلة عنصريين آخرين
هما الحرية والمادة فالحرية بتكر الفضيلة أي تبدأ بممارستها
والمادة نمكنا من الفضيلة وأفلاطون يحقر الفضيلة التي لا
ترتكز الا على المادة لانها غير محققة كالظن وهي توافق
النمل أو النحل ولا تلائم الانسان والفضيلة غير تابعة لحريةتنا انما
هي علم ومن يعرف الخير يفعله فكون الانسان فاضلاً يرجع
الى امتلاك علم الخير . ويعترف أفلاطون بأنه يمكن للانسان
أن يكون رأياً دقيقاً عما ينبغي فعله ومع ذلك لا يفعله ولذا
يوجد الخلاف بين النظرية والعمل . واذا فسد العمل فلا بد من
كون النظرية فاسدة وكل من يفهم الخير حق الفهم فهو لا شك
خير . ان أشقى الناس حظاً وأجدرهم بالاشفاق هو الظالم الذي
يستمع بدون عقاب بثمار جرائمه . المريض لا يرفض الالم الذي
يشفيه بل يلتمسه ويطلب النار والحديد والظلم أشد الآلام

ولا يشفي النفس منه الا العقاب فلا ينبغي للظالم أن يستتر داءه
كل ينبغي له أن يقدم نفسه للقاضي كما يقدم المريض ذاته للطبيب
ان التكفير عن السيئات باحتمال العقاب هو افضل الاشياء
بعد براءة الذيل أى ان أفضل الناس بعد البريء يكون الجاني
الذى احتمل العقاب

وهذا يدل على اعتقاد افلاطون بحياة مستقبلية وقد ذكر
في فيدون سائر الادلة التى استعملها من جاءوا بعده فى اثبات
خلود النفس فقال أن الموت هو انحلال العناصر المكونة للبدن
وأن النفس لا تنحل لانها نقية بسيطة ولو قالوا أن النفس
ليست سوى انسجام البدن يقول انا مارأينا الانسجام يجاهد
ضد الاداة التى اخرجته على أننا كثيراً ما رأينا النفس تجاهد
ضد البدن لتخلص من كثير من شهواته

ثم أن غاية العقل البشرى هي المعقولات والخالديات
فلها إذن ميل وارتباط بالله والنفس تشبه ما هو مقدس وخالد
ومعقول وبسيط ومتحد بذاته فاذا كانت هكذا وطبيعتها كما
ذكرت فاذا خرجت من البدن بدون أن تسحب معها منه
شيئاً تحولت نحو مالا علاقة له بالمادة مثلها فاذا بلغت هذه

الغاية ملكت السعادة الحقيقية وأخيراً ينبغي مكافأة الاخيار
ومعاقبة الاشرار ولا يمكن فصل الاخلاق عن السياسة
فواجب الحكومة تكوين وطنيين فضلاء . أن الحكومة لم
توجد لأجل الفرد والفرد ليس الا عنصراً من عناصر الحكومة
فينبغي أن يخضع لها . وفي المدينة كما في الكون يسود
قانون واحد وهو بذل الفرد في سبيل الجموع والجمهورية
الكبالية هي شخص شرطي ووحدة حيه أعضائها الافراد
ويوجد للحكومة نظام أخلاقي وحال نفسية كما للافراد
ولا يخالفانها . وكما أن للنفس ثلاثة أجزاء كذلك في المدينة
ثلاثة أصناف من الناس : الاول صنف العمال الذين يشتغلون
ليشبعوا الشهوات ثم فريق المحاربين وعملهم حماية المدينة من
الخارج والداخل ثم فريق الحكماء وهم أصحاب حق الحكومة
وهذه الاصناف تشبه الشهوات والارادة والعقل ولكل
صنف من أهل البلد فضيلة فالعمال فضيلة الاعتدال التي تقيهم
في حالهم فلا يحاولون الخروج منها وللمحاربين فضيلة الشجاعة
وللقضاة فضيلة الحكمة وإذا أطاع كل فريق الفريق الذي هو
أعلى منه والمعترف له بالسيادة ينتج الانسجام والانسجام

يُخرجُ فضيلة العدل ولا أجل أن يأتي أفلاطون على عواطف
حب الذات ليُجعل المدينة كائناً واحداً ضحى أفلاطون بكل ما
يقوى في الفرد عاطفة الفردية ويعطيه حياة مستقلة داخل
حياة الحكومة

وأراضى الجمهورية ملك مشاع لسائر السكان وليس
هناك حق الملك ولا الأسرة والاملاك والنساء شائعة
والاطفال هم أبناء المدينة وينشأون معاً وحيث أن للأسرة
تصير الجمهورية أسرة كبرى ولكل وطنى حق الايوه على
سائر الاطفال عند ما يبلغون سنا معلوماً هذا ما شرحه
أفلاطون في جمهوريته ولكنه في القوانين خفف وطأة تلك
الاراء ورضى بعدم اشاعة النساء والملك وقبل وضع قوانين
مكتوبة ولكن الحكومة تحتفظ بسائر قواها ولها حق
ضمان طاعة القوانين الادبية وسيادة الفضيلة واستعمال القوة
في ذلك ان فشلت في استعمال الترغيب باللين وليس للفرد
حق سوى القيام بواجباته واستعمال فضيلته في تقوية المدينة
التي هو أحد عناصرها واداة من أدوات وجودها وقد ينشأ
عن خلط الآداب بالسياسة نوع من الظلم الفلسفى وهو

استبداد يبدل الخير الحقيقي الحر في سبيل خير ظاهر .

ويرى مما تقدم أن افلاطون كان شريف النسب من وجهتين فكان حفيد ملك ومشرع . ولولا بغضه للديمقراطية ولولا التقاؤه بسقراط لكان من رجال السياسة امثال بيركليس . وان عنده تنتهى الحكمة المحكية وتبدأ الحكمة المكتوبة فانه رأى شيخه سقراط يستهن بالكتب ولكنه لم يستهن بها ودون خمسا وثلاثين محاوره ضمنها خلاصة آرائه وآراء شيخه وله الفضل الاعظم فى تعليم ارسطو وتهذيبه وارشاد خطواته الاولى فى الفلسفة وقد تعاشرنا عشرين عاما على ما كان بينهما من التباين العظيم فى الفكر والخطط ولكن أدب الحكمة وكرامة النسب كفتها الشقاق وعندنا أن فلسفة افلاطون المدنية والادبية مستمدة مما استفاده من مصر فقد رأى فيها نظاما ثابتا منذ عشر آلاف سنة بفضل تقسيم الأمة الى طبقات معينة واستئثار الطبقات العالية بالملك وتذليل الطبقات النازلة للخدمة والصناعات كذلك ساح فى ايطاليا وتأثر بآراء اتباع فيتاغورس وبارمنيدوا ميدوكل ولكنه لم يخضع

لا أحد منهم لأن أثر سقراط كان في نفسه اقوى ولما القى عصي
التسيار وعاد الى وطنه وشرع في التعليم أخذ يطبق الهندسة على
السياسة وفي هذا اثر من فيتاغورس. وكان افلاطون أول الفلاسفة
النفعيين وقال بان اللذة والالم هما اللذان يحركان الانسان
في كل سبيل. وهو موجد التصوف في أوربا بكتاباتهِ وكان
يعتقد أن حب الفلسفة كحب النساء قوة وقال بالبعث بعد الموت
والثواب والعقاب ولا شك عندنا في أن هذه الآراء استأذنت
عليه من سياحته في مصر. أما نظامه المدني في الجمهورية
فستمد من حياة مصر وسيرطه ومن آراء أناكساغورس. وله
كلمة عالية وهي قوله لن تصلح الدنيا حتى تصير ملوكها فلاسفة
أو فلاسفتها ملوكا وقد تحققت رغبته فصار اسكندر تلميذ تلميذه
ملكاً فيلسوفاً ولكن الدنيا لم تصلح. وجاء بعده الرواقى ماركوس
أوريليوس الرومانى ولكن الدنيا لم تصلح وجاء المأمون
العباسى ولكن الدنيا لم تصلح. لا تباع افلاطون الحق أن
يردوا علينا بان هؤلاء ملوك صاروا فلاسفة ولم يصلحوا ولا
يظهر فساد رأى افلاطون الا اذا رأينا فلاسفة تولوا الملك ولم
يصلحوا وهيئات أن يتحقق هذا الحلم !

وكان ينتقد نظام الحكومة في أتيننا ويطعن في الديمقراطية
ويأمر بعقاب الملحدين ويأمر بالاعتصاف بوجود الله . وكان
قليل الثقة بالكتب وفي أواخر أيامه عمل نظريته في المثل الاعلى
تحت تأثير تلميذه ارسطو . ولو أن أفلاطون استطاع عقاب
الملحدين بقانون نظامي لكان أول ضحايا هذا القانون تلميذه
الا عظم ارسططاليس .

ما كتبه الغرب عن أفلاطون

هو ابن أرسطون أحد أساطين الحكمة الخمسة من
يونان كبير القدر فيهم مقبول القول بليغ في مقاصده أخذ عن
فيثاغورس (١) اليوناني وشارك سقراط في الاخذ عنه ولم يشتهر
ذكره بين علماء يونان الا بعد موت سقراط وكان أفلاطون
شريف النسب في بيوت يونان من بيت علم واحتوى على
جميع فنون الطبيعة وصنف كتباً كثيرة مشهورة في فنون
الحكمة وذهب فيها الى الرمز والاغلاق واشتهر جماعة من

(١) خطأ فان فيثاغورس مات في القرن السادس قبل المسيح
وأفلاطون ولد في ٤٢٧ ق . م فينبها مائة عام وكان تلميذ سقراط ولم
يكن تلميذاً معه

تلاميذه المتخرجين عليه وسادوا بآقتسابهم اليه وكانت يعلم
الطالبين الفلسفة وهو ماش وسمى الناس فرقة المشائين (١)
وفوض في آخر عمره المناوضة والتعليم والتدريس الى أرشد
أصحابه (٢) وانقطع الى العبادة (٣) والاعتزال وعاش ثمانين
سنة وكان أفلاطون من قديم يميل الى الشعر وأخذ منه بحظ
متوفر ثم حضر مجلس سقراط فراه يذم الشعر وأهله ويقول
هي خيالات تشع بالخلائق لاعلى الحقيقة وطلب الحقائق
أولى فتركه عند ذلك أفلاطون ثم انتقل الى قول فيثاغورس
في الاشياء المعقولة ويقال أنه عاش إحدى وثمانين سنة وعنه
أخذ أرسطاطاليس وخلفه بعد موته وقال اسحق أنه أخذ
عن سقراط وتوفي أفلاطون في السنة التي ولد فيها الاسكندر (٤)

(١) لم يكن يعلم ماشياً ولكن صفة المشي نقلت الى العربية خطأ
من اسم مكان المدرسة وهذا قديم ولم يصححه أحد (٢) كان أرشد
أصحابه أرسطو ولكنه لم يفوض التعليم اليه ولكن فوضه الى ابن أخته
وكان رياضياً فيثاغورياً (٣) لم ينقطع للعبادة وواصل العمل لآخر
لحظة من حياته وقدمات وهو يكتب والقلم في يده (٤) ولد الاسكندر
في ٣٥٦ ق م . وتوفي أفلاطون في ٣٤٧ ق م . وكان عمر الاسكندر
تسع سنين وهكذا كتاب العرب لا يكلفون أنفسهم تحقيق شئ (لطف)

وهي السنة الثالثة عشر من ملك الاوخص وكان ملك مقدونية
في ذلك الوقت فليس وهو ابو الاسكندر
وقد ذكر ثاؤن ما صنفه افلاطون من الكتب ورتبه
وهو كتاب السياسة فسر هخين بن اسحاق في كتاب
النواميس نقله حنين ويحيى بن عدي وكان يسمى كتابا باسماء
الرجال الطالبين لها وهي في فنون متعددة منها كتاب الجنس
في الفلسفة . كتاب لاخص في الشجاعة . كتاب ارسطاطاليس
في الفلسفة . كتاب خرميدس في العفة . كتابان سماهما الفينادس
في الجميل . كتاب اوتوذمي في الحكمة . كتابان سماهما اقناه .
كتاب غورجياس . كتاب اوتوفرز . كتاب أسين . كتاب
فاذن . كتاب قريطن . كتاب ثالططس . كتاب فيلوطفن
كتاب قراطولس . كتاب سوفسطن . كتاب طيماؤس أصلحه
يحيى بن عدي . كتاب قرمانيدس . كتاب فدرس . كتاب
مينس . كتاب ابرخيس . كتاب مانكسانس . كتاب
اطليفرس . كتاب طيماؤس ثلاث مقالات . كتاب المناسبات
كتاب التوجيه . كتاب في العقل والنفس والجوهر
والعرض . كتاب الحس واللذة . كتاب مسططس . كتاب

تأديب الأحداث. كتاب أصول الهندسة وله رسائل موجودة
وقال ثاؤن افلاطون يرتب كتبه في القراءة وهو أن يجعل
كل مرتبة أربعة كتب يسمى ذلك رابوعا (١) وعرف افلاطون
وشهر في زمن ارطخشاست من ملوك الفرس وهو المعروف
بالطويل اليد وهو يشتاسف الملك الذي خرج اليه زرادشت
والله أعلم

وقال ثاؤن ان افلاطون بن أرسطون بن ارسطوقليس
من أهل اثينس وكانت أمه فاريتيونى ابنة غلوقون وكان
من كلا الوالدين شريف الآباء وأمه هذه المذكورة من نسل
سولن الذى وضع تواميس لاهل اثينس ورد عليهم مدينة سلميئا
التي انتزعها منهم أهل ماغارا وكان لسولون أخ يقال له ذرونيذس
يذكره افلاطون كثيراً في شعره وكان لذرونيذس ابن يقال
له اقريطس وقد ذكره افلاطون في كتاب طبائوس وابن قريطس
فلسخروس وابن فلسخروس غلوقن وابن غلوقن خرميذس

(١) لا حاجة بنا الى تصحيح ذكر الكتب فقد فصلنا ذلك

في فاء كتبنا في صحيفتى ٥٢ و ٥٣ من هذه الرسالة

وأخت خرميئذس (١) فاريقطيني وتسمى أيضا يقطوني
وأفلاطون ابنها فأفلاطون سادس من سولن وأما جنس أبيه
أرسطون فانه ينتهي في النسب الى قودرس بن مالتوس المنتسب
الى فيسدون وكان مالتوس جده شجاعا مقداما ذارأي وخديعة
ولما حارب أهل بواطيا أهل اثينس لفساد جرى بينهم ودامت
الحرب فيما بينهم وقتل المقاتلة فيما بين الفريقين مل كل واحد
منهم ما هو فيه وكان المستولي يومئذ على ملك بواطيا اقساتس
وعلى اثينس أوموطي فطلب اقساتس مبارزة أوموطي فذل
ولم يبارزه وجين عن ذلك فخرج مالتوس جد أفلاطون من
اثينس وقال أنا أبارزه على شرط ان غلبته ملكت فرضي
أوموطي بذلك فخرج اقساتس ملك بواطيا وبارزه مالتوس
جد أفلاطون فلما تقاربا قال له مالتوس انطلق ثم عد الى فلما
حوّل اقساتس وجهه ضربه مالتوس من خلفه خدعة فقتله
ومن ذلك الوقت عمل ذلك اليوم عبداً عند أهل اثينس وسمى
عبداً الخدعة وكان يسمى في ذلك الوقت باليونانية أباطينوريا

(١) يلاحظ أن نسب أفلاطون الى سولون هو عن طريق أمه..
لأنها أخت خفيد سولون وليست عادة العرب رد الانساب الى الامهات..

والآن يسمى أباطوريا وكان هذا الامر سبب هذا العيد
وابنه قودرس سلم نفسه الى العدو ليخلص أهل مدينته ورضي
بأن يلبس لباسا رثا وأن يموت دونهم (١)

ويوتان يبالغون في أفلاطون ويمظمونه ويقولون كان
مولده ألهميا وكان طالعه طالما أجليلا ويحكون في ذلك حكايات
هي بالاسفار تشبه فأضربت عن ذكرها وقالوا انه لما عزم على
ترك الشعر الذي يمانية ويبالغ في تعلمه

عندما سمع عن سقراط ما سمعه في أمره عزم على المضي
إلى سقراط والاخذ عنه فلسفة فيثاغورس وقد كان شاركه
فيها على فيثاغورس الا أنه لم يبالغ فيها لاشتغاله بالشعر وأن
سقراط رأى في المنام كأن رخا كركيا قاعد على حجرة وأنه
رغب وطلع ريشه للوقت فطار نحو السماء وهو يصوت بصوت
الهي مطرب جميع الناس فلما جاءه أفلاطون للتعلم تأوله ذلك
الطائر وأن صوته وكلامه سيشغل الناس بهما عن غيرهما وقد

(١) لم نجد لهذه الخرافة أصلا في كتب تاريخ الفلسفة فضلا عن
أنها خارجة عن حياة أفلاطون ولكن ذكرناها لنظهر فضل القفطى
على تاريخ الحكمة (ص ١٥ حرف الهمة)

قيل أنه في أول أمره اشتغل بالشعر إلى أن بلغ فيه الغاية وصنف
وسمع كلام فيثاغورس وهو ابن دون العشرين سنة ووضع
كتبا في الألحان ثم بعد ذلك أراد الفلسفة فمشی إلى أصحاب
أراقليطوس وكانت لهم طريقة في الفلسفة وهي اليوم مجهولة
فسمع منهم وتحقق أن طريقتهم في الحكمة يتعين عليها الرد
وأراد أن يجاهد نفسه في طلب الفلسفة الحقيقية فقصد
سقراط (١) لأن فيثاغورس كان قد مات وتصدر بعده سقراط
فصادف سقراط وهو يخطب الجماعة المجتمعة إليه وكان قد
جمعهم إليه ذيونوسيوس فلما سمع كلامه حرص كل الحرص
على طلب الحكمة الفيثاغورية وترك ما كان عليه وأحرق
كتب الشعر والاحاديث وأنشأ يقول

يأنيها النار أدنى من أفلاطون فأن به الآن اليك حاجة ما

وهذه طريقة الشعر اليوناني وكان عمره اذذاك عشرين

سنة وسمع من سقراط بعد ذلك ولازمه مدة خمسين سنة

حتى بلغ في الأمور العقلية إلى منزلة فيثاغورس وفي سياسة

(١) أنظر هذا الخلط وقارن كل الحوادث التي ورد فيها ذكر

سقراط في عرض هذه الرواية .

المدينة الفاضلة الى مرتبة سقراط وشهد له بذلك أهل العلم في زمانه وكان لرغبته في العلم شديد الطلب له كثير الحث والبحث في تحصيل الكتب بما يمكنه حتى أنه أمر ديون أن يتتبع له من فيلو لاؤس ثلاثة كتب مخزونة عنده من كتب فيثاغورس فابتاعها له بمائة دينار ولشدة طلبه في العلم وحرصه على جمع الكتب سافر الى صقلية ثلاث دفعات ليحصل منها الكتب ويطلع على اسرار حكمة الامور الالهية فاول دفعة سافر فيها اليها كان لعزمه أن يرى النار التي تخرج هناك من الارض دائماً تخف في الصيف وتزيد في الشتاء (١) وكان المستولى على صقلية في ذلك الوقت رجل يوناني قد تغلب عليها اسمه ديونوسيوس وكان جباراً قد ملك البلاد باليد لا بالاصالة ولما سمع بقدوم افلاطون أمر بأحصاره فلما حضر اليه صادف عنده سقراط (٢) وقد جمع له علماء الجزيرة وهو يخطبهم على ما تقدم

(١) يقصد بركان سترومبولي أو اتنا بصقلية ولكن هذا لم يكن مقصد افلاطون كما بيناه (٢) ولد افلاطون في ٤٢٨ ق . م . وسافر الى صقلية لأول مرة سنة ٣٨٨ ق . م . ومات سقراط في ٣٩٩ أي قبل سفره بأحد عشر سنة ولم يذكر عنه أنه انتقل من أثينا قط

ذكره وشرحه ولما حضر افلاطون المجلس طلب منه جبار
صقلية هذا المذكور أن يتكلم بشيء من خطبه وشعره فخطب
خطبا كثيرة بحضرته وكان فصيحاً عذب الالفاظ محكما لما يورده
في طريقته التي هو عليها وقال في بعض خطبه أن اجود السير
وأفضلها التي تكون على التاموش والسنن وظن الجبار
ذو نوبسيوس أنه قصده بهذا القول لاجل تغلبه بغير استحقاق
لما وليه فاسرها في نفسه ولم يدها وكان هذا الجبار يعاني الشر
وشيئا من الحكمة الغير محقة وله تلاميذ في ذلك وأصحاب
واذا سمع بعالم تحيل في احضاره ومناظرته واقامة الحجة على
صحة قصده الذي هو عليه واتفق أن قال لا افلاطون هلا ترى
في اصحابي سعيدا وظن أن افلاطون سيقول بحضور الجمع
أنك سعيد فيحصل له بهذا القول مرتبة توجب له الاستحقاق
لما تغلب عليه فقال له افلاطون غير محاش له ليس في اصحابك
سعيد فسأله بعد ذلك وقال فهل ترى أنه كان من القدماء سعيد
فقال كان فيهم سعداء غير مشهورين واشقياء اشتهروا وعناه
بذلك فاسرها الجبار ولم يدها له ثم قال له الجبار فاراك على
هذا القول لا ترى أن ارقليس من أهل السعادة أيضا وارقليس

هذا كان شاعراً من شعراء يونان وكان قد عمل اشعاراً وذكر
فيها هذا الجبار ووصفه ولحن تلك الاشعار وجعلها في هياكل
حزيرة صقلية يذكر بها في كل وقت وكان هذا الجبار يعظم
الشعر والشعراء لاجل ذلك يثبت لمدحه اصلاً فقال له افلاطون
عجيباً عن سؤاله ان كنا نرى ان ارقليس كان كالذي ينبغي ان
يكون من كان من نسل اذيا يعني المشتري فباضطرار ينبغي ان
تظن به انه سعيد وأما كان كما وصفتموه انتم معاشر الشعراء
وكانت سيرته على ما تذكرون فانه عندي من الاشقياء وذوي
رداءة البخت فلما سمع ذيونوسيوس الجبار من هذا القول لم
يحتمل جرأته وأمر به فدفع الى بوليدس الذي كان من أهل
الاقاذمونيا وكان قد وفد على هذا الجبار ليهادنه على بلاده
وامر الجبار بقتل افلاطون فاخذه بوليدس وذهب به الى اغنيا
مدينته وايقى عليه ولم يقتله وباعه من رجل من أهل النهر وان
اسمه انتاقرس وكان هذا الرجل يحب افلاطون ويتشبه باخلاقه
وان لم يره قبل ذلك وانما كان يسمع ما ينقل اليه من اخباره وكان
التمن الذي ابتاعه به ثلاثين منافضة وكان لذيونوسيوس الجبار

نسيب اسمه (١) ذيون قد حضر مجالس افلاطون بصقلية وسمع كلامه. ومال اليه كل ميل ولما سمع ما جرى على افلاطون عز عليه ولم يمكنه مجاهرة الجبار فسير في السر ثمن افلاطون وهو ثلاثون منا الى النهر واني مبتاعه وسأله يبع منه فلم يفعل النهر واني ذلك وقال هذا حكيم مطلق لنفسه وانما وزنت المال لا تقذه من اسره وسيضير الى بلاده في سلامة وخير فلما سمع ذيون نسيب الجبار هذا القول استرجع الثمن وسيره الى اقداميا واشترى به بساتين هناك ووهبها لافلاطون ففنها كانت معيشته مدة حياته ولما تحقق ذيونوسيوس خلاص افلاطون وسلامته ندم على فعله وتحيل في استصلاحه وكتب اليه يستميله وتعذر اليه من فعله ويسأله ان لا يذكره بشر في خطبه واششاره فاجابه افلاطون بان قال ليس عندي هذا الفراغ ولا يمكنني ان اتفرغ له ولا أجد زمانا خاليا اذكر فيه ذيونوسيوس وسار (٢)

(١) ان الذي باع افلاطون هو ذيون هذا صهر الجبار ذيونوسيوس وليس الجبار

(٢) ان سياحته الثانية كانت بعد موت دنيس اوديون العتيق وقد طمع افلاطون في اخلاق وعقل دنيس الصغير فلم يوفق .

افلاطون الى صقلية مرة ثانية ليأخذ من الجبار المقدم ذكره كتابا في النواميس كان وعده به ولم يعطه اياه وكان افلاطون قد عزم على تصنيف كتاب في السير وهذا الكتاب من موداه فلما وصل الى صقلية وجد ذيونوسيوس الجبار مضطرب الامر قد فسدت عليه البلاد والرجال وهو في شغل عما قصده بسببه فتركه وعاد ثم سار الى صقلية دفعة ثالثة وسببه أن ذيونوسيوس الجبار قام عليه وتغلب على اكثر البلاد وكاد أن يستولى وعلم افلاطون بذلك فسار مصلحا بين الجبار ذيونوسيوس ونسيبه ذيون لعله بمحبة ذيون له وقبوله من قوله وكان افلاطون يرى ان اصلاح المدن من الفساد الداخل عليها من المتكلمين لازم له من طريق الحكمة والسياسة المدنية ويريد بذلك ايصال الراحة الى الرعية فلما وصل الى صقلية اصالح بين الرجلين ونزل كل واحد منهما منزله ووعظهما فاتمظاوعاد الى بلاده وقد كان أهل بلاده اتينس على سيرة وسياسة لا يرضاها افلاطون فقيل له لِمَ لَمْ تغيرها فقال هذه سياسة قديمة قد مرت عليها الدهور وقلهم عنها فيه عناء شديد وربما أدى الى قيل وقال احتاج أن استعين فيه على قومي بغيرهم

فيكون ذلك سبب هلاكهم بوساطتي فلا أقبل ثم جسمهم فثاروا
فسكنهم وثبتهم وتركهم علي ما هم عليه وانبسط عذره عند من
قال له ما قال ولازم مدرسته وارتزق من مغل البساتين وتزوج
امراأتين احدهما يقال لها الستانيا من بلاد ارقاديا والاخرى
اقسو ثيا من بلاد فليوس وكانت تقسه في التعليم مباركة تخرج
عليه جماعة علماء اشتهروا من بعده فمنهم اسبوسبوس من أهل
اينس وهو ابن اخت افلاطون واقستوقراطيس من أهل
خلفيدونا وارسطاطاليس من أهل اسطاغيره وبرقلوس من
أهل نيطس واستياؤس من بارتوس وارختس من أهل
طارليني وزيون من سورا قوسا وامقلاس من أهل اصطنادس
وارسطوس وقورسقس من أهل اسكبيس وطمالاؤس من
أهل قوزيقوس وأؤن من لمسا قوس ومناديموس من أهل اراثرس
واراقيلدس من أبوس وتياثالس وقالبوس من اتيس
وديماطريوس من اتفيونيس وغير هؤلاء كثير وكان افلاطون
إذا حضره اصحابه للتعليم قام على رجله والقي عليهم الدروس
من العلم وهو يمشي حول البساتين التي وقفها عليه ذبون
فيأخذون عنه ما يلقيه عليهم وهم على تلك الحالة قسموا المشاير

بذلك (هذا خطأ وقع فيه القبطي كثيره)

ولما استكمل احدى وثمانين سنة من عمره مات وودفن
بالبساتين في اقاذاشيا وقبع جنازته كل من كان بأثينس والذي
خلقه من التركة البساتين المذكورة وخلف مملوكين وقدحا
وجاما وقرطام من ذهب كان يلبسه وهو غلام وهو لباس
اشراف يونان في ذلك الزمان وأما ما صار اليه من
ذيونوسيوس جبار صقلية ومن غيره من الاصدقاء فانه اتفق
في تزويج بنات أخته وفي الاحسان الى الاصدقاء لانه كان
من أهل الرياضة والا يثار يسلم غيره السياسة فكيف لا
يستعملها ولما قبر كتب على قبره بالروني ما تفسيره بالعربية (هاهنا
موضع رجل وهو ارستو قليس الإلهي وقد تقدم الناس
وعلام بالهبة واخلاق العدل فمن كان يمدح الحكمة اكثر
من سائر جميع الاشياء فانه يمدح هذا جدا لان فيه اكثر
الحكمة وليس في ذلك حسد) هذا من الجهة الواحدة على القبر
ومن الجهة الاخرى (أما الارض فانها تغطي جسدا فلاتون
هذا واما نفسه فانها في مرتبة من لا يموت)

الفيلسوف الاعظم ارسططاليس

ولد ارسطو في بلدة ستاجيريا (اسطاغير) في مقدونيا في سنة ٣٨٤ قبل المسيح . وكان ابوه نيكوماكوس عالماً طبيعياً وكان طبيباً لامينثاس الثاني ملك مقدونية . وقد تعرف ارسطو صغيراً بفيليب ابن امينثاس في بلاط ابيه فتصادقا ولما مات والداه وهوفتي تولى شأنه بروكسينوس وبعث به في السابعة عشرة من عمره الى اثينا ليتعلم على افلاطون الذي كان قد جاوز حد الستين فلم يجده لان افلاطون كان في صقلية في احدى الرحلات التي سبق الكلام عليها فبقى ارسطو في انتظاره ثلاث سنين قضاهما في التعلم والدرس والاستعداد لتلقي الحكمة فلما عاد افلاطون والتقى بتلميذه كان ارسطو في العشرين من عمره وافلاطون في الخامسة والستين . وبقي ارسطو يتعلم على افلاطون سبعة عشرة سنة فان افلاطون مات في الثانية والثمانين من عمره وكان ارسطو ابنع تلاميذ افلاطون وكان يسفيه عقل المدرسة ويسمى بـ"بيت القارئ" . وقيل عن حب ارسطو في الدرس انه كان خشيعة الناس ليلا يقبض بيده على كرة من نحاس

ويضع تحتها طستاً من نحاس فاذا اخذته سنة من النوم سقطت
الكرة على الطست فنبهته فيعود الى عمله . وقد بقي ارسطو في
ايننا الى أن مات افلاطون في ٣٤٧ ق.م وقيل انه مات وهو
يكتب وكان ارسطو اثناء هذه المدة يزور وطنه ويلقى الملك
فيليب وقد سحفظ لنا التاريخ الكتاب الذي بعث به فيليب
الى ارسطو يذكر فيه مولد ولده اسكندر ولما مات افلاطون
كان اسكندر في التاسعة من عمره . وعما يجدر بالذكر أن
ارسطو أخذ يدرس البلاغة في ايننا في حياة استاذة . ولما مات
افلاطون ترك ارسطو ايننا وكان قد تزوج من پيثياس وهي ابنة
متبناة لاحد تلاميذه هرمياس وكان يحب زوجته التي ماتت
في عنفو ان شبابها واوصي بان تدفن رفاتها الى جانب رقاته .
ولما بلغ الثانية والاربعين من عمره دعاه فيليب الى تعليم ولده
اسكندر وهو في الرابعة عشرة من عمره فقبل الدعوة وسافر
الى بلاط فيليب حيث قوبل بالاجلال والاکرام وقد شيدت
لذلك مدرسة خاصة وانضم الى الاسكندر اولاد النبلاء
فصاروا كمدرسة الانجال التي انشئت في مصر في القرن التاسع
عشر فاحب الاسكندر معلمه حباً جما وتعلم عليه اربع سنين .

ولما بلغ اسكندر الثامنة عشر عينه ابوه خليفة ملكه اثناء غيبته
في حملة على يتييا واستمر ارسطو في بلاط فيليب الى أن صار
اسكندر ملكا وقد اقام ارسطو في مقدونيا سبع سنين ثم تركها
في التاسعة والاربعين من عمره وعاد الى اتيينا فوجد مدرسة
افلاطون يديرها ابن اخته الذي قلبها « مهندسخانة » فعينت
حكومة اتيينا لارسطو مدرسة الليسيوم بجوار هيكل ايولون .
وكان ارسطو قصيرا ضئيلا حسن الهندام مصابا بامساك
مستعص وكانت على وجهه النحول نظرة استخفاف وسخرية
لا تفارقه . وقد الف كثيرا في خلال ثلاث عشرة سنة أي
من التاسعة والاربعين الى الثانية والستين وكان اسكندر يعمده
بالمال فمنحه ثمانماية تالنت (١) (وزنة من الذهب) وكان يبعث
اليه من الهند بعجائب المخلوقات ليستعين بدرسها على كتبه
في التاريخ الطبيعي .

ولما مات اسكندر انقلب أهل اتيينا على ارسطو بتهمتي
الاحاد وصداقته لاهل مقدونيا وحاولوا قتله فانسحب في
٣٢٢ ق. م . وهو في الثانية والستين من عمره (وهو السن

(١) يكتيها العرب طالنطن

الذي سافر فيه افلاطون من اثينا) الى شاليسيس بايوبيا . وكان له بها اقارب وثروة وتقوذ . وهذا لم يمنع أهل اثينا من الحكم عليه بالاعدام غيائياً . وقد مات فعلاً في السنة التالية بمرض العلماء وهو ضعف المعدة في الثالثة والستين من عمره .

قبل أن يظهر ارسطو بثلاثة أو أربعة قرون نشأت الفلسفة اليونانية على شواطئ آسيا الصغرى كما اسلفنا في أول هذه النبذة أي في وطن الشاعر هوميروس ناظم الالياذة وكان الفضل في ظهورها لتاليس دي ميليه أو الملطي وفيثاغورس دي ساموس وزينوفان دي كولوقون .

وأول من اطلق على الحكمة اسم الفلسفة فيثاغورس فهو يدعي بحق ابا الفلسفة وواضع اسمها .

واذا تكلمنا عن سقراط العظيم الذي نلخصنا مبادئه واراؤه فلا يمكن فصله عن تلميذه وحبيه افلاطون فاحدهما مكمل للآخر وسقراط ان لم يكن والداً لافلاطون فقد كان والد روحه وموجد فكره ولذا نجد في مؤلفات افلاطون كل آراء سقراط وتعاليمه مشروحة وموضحة ولا يخلو كتاب من كتب افلاطون حتى ولا محاوره صغيرة من محاوراته

من ذكر سقراط والذي يقرأ مؤلفات افلاطون يظن انها كلها
لمؤلف واحد والحقيقة أن بعضها افكار افلاطون على لسان
سقراط وبعضها افكار سقراط سبكها افلاطون في اسلوب
جميل عذب آية في البلاغة والابداع.

أما ارسطو أو ارسططاليس كما يسميه العرب فهو
الفيلسوف اليوناني بحق لانه مكمل أعمال اسلافه من الحكماء
وقد ارتبط بالفلاسفة القدماء عن طريق افلاطون أستاذه
فكانه تلقى فلسفة سقراط بعد أن مرت بعقل افلاطون
الروحاني الفكر السامي الخيال الشعري الحكمة.

ان الفلسفة اليونانية تمتاز بأمور كثيرة منها ان خدمتها
أعظم العقول التي عرفها التاريخ مثل عقول هيراقليط واناكساغور
وسقراط وأرسططاليس . ومنها أنها لنشأتها في أمة بغير عقيدة
لم تكن خاضعة لانظمة دينية أو لسلطة خفية تعمل على خنقها
من وراء ستار مثل ما وقع في أوروبا في القرون الوسطى
ولا بن رشد .

ولم يكن الفلاسفة اليونان في حاجة الى النفاق والرياء
للتوفيق بين الحكمة والدين كما هو شأن الحكماء في البيئات

المتدينة . فان الفيلسوف الصادق اذا نشأ في وسط متدين
يكون حتما بين تارين فاما يقول ما تمليه عليه حكمته وعلمه
وفيها ما لا يتفق مع العقائد الدينية تمام الاتفاق واما يسعى
في التوفيق بين الفلسفة والدين وفي هذا ما فيه من الخروج
على الحكمة والدين معا وانغضاب أهل الدين وأهل الحكمة
معا كما كانت حال جاليليه الذي القوه من حلق لقوله بدوران
الارض وابن رشد الذي بصقوا في وجهه لحرية فكره
أما الفلسفة اليونانية فكانت حرة طليقة ولم تكن
خاضعة لأي مؤثر خارجي ولم يكن الفلاسفة اليونانيون
مرغمين على قبول آراء أو معتقدات لم تمحصها عقولهم
لقد شاءت الاقدار أن تنشأ الفلسفة اليونانية بعيدة عن
عراك الدين والعقل فليس في آرائهم نضال بين الفكر الحر
الطليق والتقاليد الموضوعة المصطنعة . وشاءت الاقدار للفكر
اليوناني أن يخلق في سماء الحكمة بغير قيد ولا شرط لانه لم
يكن لدي الامم اليونانية كتب مقدسة تنص على أمور معينة
وتجدد أصل الخلق وتشرح تاريخ الانسان والطبيعة على طريقة
معينة .

قضت الفلسفة اليونانية اثني عشر قرناً متمتعة بالعقل
الإنساني وقضي العقل هذا الحين من الدهر متمتعا بالحرية ولم
يجراً أحد على إلحاق الأذى بالعقل بتقييده ولم يجراً أحد على
إرغام العقل على القول بآراء لا يؤمن بها .

ولكن بعد اثني عشر قرناً من الحرية العقلية جراً
جوستينيان الروماني على مصادرة مدارس أثينا مهد الحكمة
ومصدر النور للإنسانية باسم الدين . ولعبري أن الحكمة
بريئة من العدا والدين كذلك بريء من الاضطهاد وإن لكل
منها طريقاً يسلكها ودرباً يسير عليه ولكن القائمين بالاثنتين
معاً هم الذين فقدوا ميزان الاعتدال تفلطوا بينهما باسم التوفيق
والحقوا الأذى بهما باسم الحق . وما كانوا يعملون إلا باطلاً .
أرسطو طاليس أعمق فلاسفة اليونان وأبدهم غوراً . قال
شيشرون أن طالب حكمة أرسطو محتاج إلى بذل مجهود
عقلي عظيم ليستطيع إدراك خفاياها . ولا غرابة إذا رأينا فلاسفة
العرب أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد يقضون
أعمارهم في تفهم تلك الحكمة الأرسطية وتفهيمها على أن أعمارهم
وجهودهم لم تذهب سدى فقد صاروا بفضل هذا الفهم والتفهيم

فلاسفة مع انهم لم يعملوا اكثر من انهم شرحوا بعض كتب
ارسطو شروحا وجيزة ومتوسطة ومسببة واخطأ بعضهم اذ
حاول التوفيق بين الدين والفلسفة ولست أدري لماذا كان
ميل حكماء العرب للتوفيق شديداً وقد جدهم مراراً الى الوقوع
في الخطأ فقد ألف الفارابي رسالة في التوفيق بين الحكيمين
ارسطو وافلاطون مع انه لم يقل أحد من الذين درسوا كتبهما
ومبادئهما بالتوفيق بينهما الا الفارابي وكأنيابة قد عز عليه وجود
خلاف بين التلميذ وأستاذه فابي أن يودع العالم دون أن يعقد
بينهما معاهدة صلح دائم ولكن هذا الحكيم الجليل نسي ان في
التوفيق بينهما اضراراً بالفلسفة لان افلاطون كان شاعراً
ومفكراً اكثر منه فيلسوفاً اما ارسطو فكان فيلسوفاً عالماً
بعيداً عن الشعر والخيال لاجل هذا قال شيشرون بصعوبة
الوقوف على افكاره بدون بذل جهد عظيم .

كتب ارسطو في ما وراء الطبيعة ولكنه لم ينجز البحث
وقضى نحوه قبل تمامه . ولا يمكن القول بان ما تركه ارسطو يعد
كتاباً انما هو نبذ ومثرفات وخواطر بدون ارتباط ظاهر
بينها ولكن المسائل التي يكتشفها البقري ويسمي في حلها

لا تموت بموته بل تحيى . خذ لذلك مثل المواضيع الجليلة التي
عالج الفيلسوف بحثها فقد نظر في تعريف الفلسفة وفي نظرية
الاعداد التي جعلها فيثاغورس أساساً لفلسفته الشهيرة باسمه .
وقد حاول ارسطو ان يهدم آراء فيثاغورس وتكلم في نظرية
« المعنى » وحاول فيها هدم آراء أستاذه افلاطون وقاز بغايته
لاجل هذا استغربنا كثيراً رسالة الفارابي في التوفيق بين
الحكيم مع أن ارسطو جعل معظم همه موجهاً لتصحيح
آراء أستاذه ونقدها ونقض ما كان منها مخالفاً لطريقة فكره
ونظر ارسطو في فلسفة السفسطائيين أهل التويه والمغالطة
وعلى رأسهم بروتاجورلس الذي اسلفنا الكلام عليه في
بابه وهم القائلون بعدم استطاعة الانسان الوصول الى
الحقيقة وفند آراءهم بكل ما وصل اليه جهده من البحث
وبعد أن فرع ارسطو من تعريف الفلسفة وضحده آراء
أسلافه وتصحيح مبادئهم أخذ في شرح آرائه الذاتية فتكلم
عن مبدأ التناقض ومبدأ المادة ونظرية الاسباب الاربعة
ونظرية النظام العام ثم تكلم عن العدل الالهي (تيوديقى)
فاى عقل انساني قبل ارسطو أو بعده (بقطع النظر عن

الحكماء الذين استعانوا بالعلوم الحديثة أمثال أوجست كومت) بلغ هذا الشأ في التفكير وألم هذا الالمام بحكمة الانسان وعلومه وأى سلف من أسلافه أحاط بالفلسفة احاطته بها وعرف طبيعتها وعين مجالها ونحن لا نفضل عليه أحداً قديماً ولا حديثاً

أن أرسطو تناول الفلسفة بمحقق وطأ نية لم يذق لنتهما ديكاوت ولا من جاء بعده حتى ولا فلاسفة القرن العشرين أمثال ويليام جيمس بامريكا وبرجسون بفرنسا . ويظهر من درس كتبه التي بلغتنا أن أرسطو كان متعلقاً بالحقيقة الراهنة ومنصرفاً الى درسها وتحديداتها وتقديرها بقدر ما كان أستاذه أفلاطون متعلقاً بالمثل الاعلى ومنصرفاً الى تمييزه وتمجيده وتطبيقه على مطالب الحياة المادية والحياة الادبية . وبعبارة أخرى كان أفلاطون (ايدىاليست) وكان أرسطو (رياليست) كان أفلاطون مشتغلاً بالنظريات وأرسطو مهتماً بالعمل والتطبيق وهذا ظاهر من مؤلفات كل منهم ولذا قال أحد مؤرخي الفلسفة اليونانية ان كل انسان يولد إما أفلاطونياً أو أرسطوياً إشارة الى التباين بين مبدئيهما . وسيري القاريء

أثناء هذه النبذة الوجيزة أن وصول أرسطو الى ما وصل اليه كان أمراً طبيعياً وترتيباً محتماً في تاريخ الفكر الانساني لا بد من الوصول اليه . كان أفلاطون حكيماً شعرياً وقد وصف في بعض محاوراته شخصية الفيلسوف الحقيقي التي تنطبق على المثل الاعلى في نظره فشاعت الاقدار أن يكون هو أستاذ ذلك الفيلسوف وموجده . لان الفيلسوف في نظر أفلاطون هو الذي يأخذ الاشياء كما هي أي على حقيقتها ويفحصها بحالة وجودها التي هي عليه وكان أرسطو كذلك أي كان أرسطو فيلسوف الحقائق وهو بلا ريب أول حكيم استفاد بالحقائق العلمية واتبع التنظيم والتقسيم والترتيب في مؤلفاته وسار على القواعد الملائمة للفلسفة الصحية التي هي علم العلوم وأم المباحث والتمرة الناضجة لغرس العقل البشري أرسطو لا يفكر في شيء بغير تنظيم وترتيب أي انه السابق الى وضع « طرق البحث الفلسفي » وأول راسم لخطة الدرس العلمي .

ان كثيرين من الآخذين من الامور بظاهرها يجرأون على تفضيل أرسطو على أفلاطون كما يفضلون أفلاطون على سقراط وهذا حق منهم وخرق . لانه لو لا سقراط ما كان

أفلاطون الفيلسوف فقد كان أفلاطون مندفعاً بفطرته الى الشعر فربما صار سياسياً عظيماً أو شاعراً عبقرياً أو مؤلفاً تمثيلاً لأن مواهبه العظمى كانت تؤدي به الى احدى هذه السبل الثلاث ولكن تعليم سقراط وعشرته ومثاله هي التي شكلت تلك المواهب وجعلتها نحو الحكمة وأنتجت ثماره الناضجة وان كان سقراط نجح في توليد أحد تلاميذه بالطريقة التي شرحناها في عرض الكلام عليه فقد نجح في توليد أفلاطون كذلك لولا أفلاطون الذي علم أرسطو أكثر من عشرين عاماً لقضي أرسطو عمره في الابحاث الطبيعية أو في دراسة كتب الفلسفة والادب لان مواهبه كانت تؤهله الى ذلك ولكن احتكاكه بعقل أفلاطون العظيم فتح أمامه أبواب الفكر العليا وأرشدته الى طريقته التي جعلته صاحب العقل الاول .

وكان أفلاطون يسميه عقل المدرسة ويسمى بيته «بيت القارئ» وفي الوصف الاول مدح وفي الثاني قدح لأن أفلاطون كما أسلفنا لم يكن يجمل شائناً كبيراً للكتب ولعلمها خصلة كسبها من سقراط الذي لم يدون سطرأً لما صار أرسطو

أستاذًا لالاسكندر المقدوني كان موضع الاكرام والالجلال
ولكن لدى موت الاسكندر تألب عليه المتعصبون من أبناء
وطنه واتهموه بالالحاد وحاولوا الحكم عليه بالقتل فلم يجد
بدًا من الفرار ففر من أثينا وقد علل فراره تعليلًا حسنًا اذ قال
أشفقت على أهل أثينا أن يهتروا جريمة ثانية على الفلسفة
مشيرًا بذلك الى ما وقع لسقراط . والحقيقة أن موت سقراط
كان ضروريًا لختام حياته الجميلة ليكون رمزًا دائمًا في تاريخ
البشر على جهل الجمهور وغباوة الاغلبية ودليلا على شجاعة
الحكماء وقوة روح البذل والتضحية .

وقد لاحظ القارئ في الصحف السابقة أن أهل أثينا
لم يتركوا حكماء يفر من أيديهم بنير عقاب أو دون أن يحاولوا
ذلك على الاقل فكان هذا شأنهم مع أناكساغورس لولا
الصداقة التي كانت بينه وبين بركليس وفعلاو اذلك في فيثاغورس
وأحرقوه ومن معه وقتلوا سقراط وحاولوا اذلك مع أفلاطون
لولا فراره وحاولوا ذلك مع أرسطو . والناس تظن بحسن
نيتها أن المدينة التي ينشأ فيها مثل هؤلاء الفلاسفة لا بد أن
تهدم وتجلهم وتميدهم وتضعهم موضع الآلهة ولكن الحقيقة

على العكس لان الطبيعة الانسانية هي هي في كل زمان
ومكان وكل عبرى أو تابع يكون في الحقيقة غريبا في وطنه
ووحيدا بين أبناء عصره لانه يسبقهم بفكره مراحل وأجيالا
والذى يجعلنا نتخيل عدل أهل أثينا وكمال أدبهم انما هو وجود
هؤلاء الفلاسفة فيها ولكن فكرة العدل وكمال الادب جاءت
الى أذهاننا من آثار هؤلاء الحكماء وشخصيتهم العظيمة
ومؤلفاتهم الممتعة وأخبارهم الطلية فعمناها بطريق القياس
على جميع أهل البلد وجميع أهل العصر والحقيقة أن أهل أثينا
في عهد سقراط أو أفلاطون أو أرسطو لم يكونوا الا جماعة
من الجهلاء السخفاء المتعصين المبتضين للعظماء المحيين للانتقام
واننا تستهجن الآن إحراق فيثاغورس وقتل سقراط ومحاولة
اغتيال أفلاطون وأرسطو وهذا الاستهجان ليس الا غشا
وخداعا منا لانفسنا ولغيرنا لانا اذا رأينا الآن بين ظهرائنا
نابغا أو ممتازا فلا نلبث أن نكرهه ونحتقره ثم نضايقه لنخمد
أفئاسه واذا استطعنا قتله فاننا لا نتردد والا فكيف نقرر
تعذيب العظماء والحكماء في القرون الوسطى والقرون الحديثة
واضطهاد رجال مثل جاليليه وميشيل سيرفيه ونبي عظيم مثل

السيد المسيح عليه التحية اذا كانت الانسانية حقيقة طيبة
القلب طاهرة الطبيعة وانها قد ندمت حقيقة على ما فرط منها
في حق الحكماء الاقدمين الذين ذهبوا ضحية أفكارهم
نقول ان أفلاطون كان يسمى أرسطو القاريء لانه كان
كثير الانكباب على الدرس كبير الثقة في الكتب وكان
لا يعول على ما يسمع من أفواه الناس لان عقله كان يقوده
دائما الى ضرورة التحليل والتمحيص وهذا يتفق مع مباحث
الكتب ولا يتفق مع الاقوال المحكية. ويظهر ان أفلاطون في
أواخر أيامه استفاد كثيرا من آراء تلميذه الذي نضج ولكن أرسطو
كان قد شعر بضرورة الانشفاق عليه فلما مات أفلاطون خلفه في
ادارة مدرسته ابن اخته وكان صبيا من اتباع فيثاغورس في
الفكر فقلب اكااديمية افلاطون الى « مهندسخانة » تعلم
الرياضيات على طريقة فيثاغورس التي حاول ارسطو تنفيذها
في مؤلفاته. قلنا انه لو لا تعليم افلاطون ما كان ارسطو فيلسوفا
لان ارسطو استفاد طريقة التقسيم والتنسيق العلمي من استاذه.
ولكنه يخالفه في طريقة التفكير ونتائجه. فان افلاطون يقول
بواجب الوجود ويجعله مصدر الخير ومدير الكون والعلة

الاولى ولكن ارسطو ينكره وينكر ادارته للعالم ويقول أن الكون يسير من تلقاء نفسه وبغير عناية عليا كان هم افلاطون منصرفا الى الادبيات والادارة المدنية وتهذيب النفس عن طريق الموعظة الحسنة ولكن ارسطو يعتبر الكون والطبيعة والحياة الانسانية شيئا واحداً وكتلة لا تتجزأ الا من حيث كونها مؤلفة من دائرتين الاولى عليا وهي عالم الاجرام والارواح السماوية والثانية سفلى وهي عالم الاجسام والمادة . فافلاطون اختص بدرس الانسان بصفته فرداً وبصفته جزءاً من الجماعة أما ارسطو فقد درسه بصفته جزءاً من الكون وهو الذى اطلق عليه اسم العالم الاصغر الذى أخذه عنه كتاب العرب .

يقول ارسطو أن العالم حقيقى ولكنه غير محكم التنظيم وان للمصادقات في ادارته نصيباً . تكلمنا في أول بحثنا عن ارسطو في كتابه فيما وراء الطبيعة الذى لم ينجزه . وقلنا أن الجزء الذى وصل اليه يد لنا على عظم قدر الكتاب كله وقد اتبع ارسطو في وضعه طريقة التقسيم والتنسيق التي كانت سائدة في كل مؤلفاته بحيث أن الذى يقرأها فكا أنه يقرأ فهرستا

مطولا . والشاغل الأكبر لذهنه في كتاب ما وراء المادة هو تقسيم الكون الى دوائر عليا ودوائر سفلى . وقد ظن بعضهم انه تنبأ بنظرية النشوء والترقى التي اصبحت لها اعظم شأن في العلوم والفلسفة . والحقيقة أن هذا يعد مبالغة وان كان بعض الفلاسفة السابقين قد اكتشفوا هذا المبدأ وقالوا به وقد ذكرناهم ولكن ارسطو لم يقل به لانه كان يعتقد بان الحيوانات وجدت منذ الازل على صورتها الحالية وكذلك كان يقول بان الاعضاء تؤدي الوظائف التي خلقت لها وهذان الرأيان يخالفان كل المخالفة نظرية التطور وكان ارسطو ماهراً في التشريح وقليل العلم بوظائف الاعضاء ولا يخفى انه نشأ في أسرة طبية فحذقه في التشريح موروث اما تقصيره في الفيزيولوجيا فكان بالنظر لحالة العلم في عصره .

وقد ختم نظامه في ما وراء الطبيعة بانكار الخالق ولم ينكر الخالق عمداً ولكن جاء الانكار كنتيجة منطقية لنظامه الفلسفى . ومما يدهشنا انه قال في ما وراء الطبيعة بوجود العلل النهائية . فكيف يوفق بين انكار الخالق وبين القول بالعلل النهائية لانه لا يخفى بالطبع أن العلل النهائية لا تكون الا حيث

يكون الخالق الذي جعل كل شيء بالحكمة فاذا اختفت هذه
الحكمة وهي علة الخلق فلا حاجة حينئذ الى وجود الخالق
موجد الاسباب والعلل .

أما رأيه في المادة فهو يقول انها موجودة ازلية وتقابلها
القوة الكامنة وانهما أصل كافة المخلوقات .

وقد اشتغل فلاسفة العرب بشرح فلسفة ارسطو وشرحه
ابن رشد ثلاثة شروح وجيز ووسط ومسهب ولكن شروحه
مبهمة غامضة واسلوبه معقد ولكن القارئ لا يلبث أن يتعود
الالفاظ والتعابير فيستفيد بها . واقوال ارسطو التي نقلها ابن
رشد خصوصا فيما وراء الطبيعة وهي القسم الرابع من كتبه
هي التي أدت بالتبكيل بابن رشد في بلده قرطبه فصليوه
وبصقوا في وجهه وان هذا في نظري اعظم من القتل . وقد
عني الافرنج بنقل ما وراء الطبيعة لارسطو عناية تامة ولكنه
لم ينقل برمته الى اللغة العربية ولا فائدة في نظرنا للنهضة التي
لا تبدأ بنقل مؤلفات اليونان الى اللغة العربية ودرسها وتمحيصها
وأهم من الميتافيزيقي (ما وراء الطبيعة) في مؤلفات
ارسطو مؤلفاته « الانسانية » وكان هذا الوصف يطلق لتمييزها

عن الطبيعيات وهي مؤلفاته في علم النفس والمنطق والشعر
والبلاغة والأخلاق والسياسة المدنية . وبعبارة أخرى هي
المؤلفات المستمدة مباشرة من روح أفلاطون وإن كانت
تخالفها في النتائج .

أما عن علم النفس فإرسطو يقول بوجود الروح ويدعو
النفس أو الروح شكلاً أي أن الجسم موضوع والروح شكلاً
أو الجسم مادة والروح قوته الكامنة أو الجسم مسبب والروح
علته النهائية . وهو ينكر التقمص الذي قال به أفلاطون وينكر
الثواب والعقاب في الآخرة وينكر الافتطار أو العلم بطريق
رجوع النفس إلى الماضي أو إشرافها على المستقبل وهي النظرية
التي شرحناها عند الكلام على أفلاطون وهو بذلك يكون
خصماً للمدرسة الحديثة القائمة على نظرية الافتطار Intuition
ومن أعظم أقطابها ويليام جيمس بامريكا وبرجسون بفرنسا .
وأعظم ممثل لآراء إرسطو في العهد الحديث يمكن أن يكون
الفردفوييه المتوفى في ١٩١٤ فهو في الواقع إرسطو جديد وليس
هنا مجال الكلام عليه ولكن أشرنا إليه ليدرس فلسفته من
يشاء .

وتلوح على معظم فلسفة أرسطو النفسية مسحة من المادية
فهو يقول بأن الحواس هي وحدها مصدر العلم ولذا يجد الحواس
ورفع شأنها بعكس أسلافه الذين كانوا يمجدون العقل والمعنى
بغير تقدير لقيمة الحواس التي تنقل المعاني الى العقل. وقال أن
القلب مركز الحواس ومركز «الذوق المعنوي» ومركز
الذاكرة والخيلة ويظهر لى أن هذا التعظيم للقلب ونسبة جميع
هذه الصفات اليه هي التي جعلت العرب يتقنون به في كتبهم
وأشعارهم ويجعلونه مركز الشجاعة والحب والاخلاص أو
ضدها وهذا أيضاً شائع عند الأفرنج ولكنه رأى فاسد. وقال
بأن التذكر راجع الى فكرة «اجتماع المعاني» التي قال بها
أفلاطون وهي أساس البسيكولوجيا الفرنسية كما يظهر لنا من

مؤلفات ريبو . Association d' idées

ويقول أرسطو أن العقل هو أسمى قوى الإنسان ولا
يوجد في العقل شيء خارجا عن الحواس لانه وصل اليه بطريقها
ويقول بأن العقل يهلك مع الجسم عند الموت فلا سبيل اذن
للقول بالخلود والبعث وما يتبعهما من عقاب وثواب وهي تلك
المقائد الجميلة أو النظريات الادبية التي قال بها أفلاطون نقلا

عن المصريين القدماء ونقلها عنه بعض الاديان ولسنا هنا في مجال تأييد أرسطو أو دحض آرائه ولكننا في مجال فهم فلسفته وشرحها لأن عمل الشارح غير عمل الناقد . وربما بحثنا في أهمية هذه الآراء على حدة .

أما كتاب أرسطو في المنطق فهو أهم كتبه وقد شرح ابن رشد نظرية أجناس الموجودات وهي البحث في الهوية والجوهر والعرض والكمية والكيفية والاضافة والذات والشيء والواحد والتام والناقص والكل والجزء والجميع والناقص وقد استفاد بهذا التقسيم الفيلسوف كانط في تأليفه « نقد العقل القائم بذاته » ولكن أرسطو في الواقع لم يهتم بالبهوية الشيء . ولم يقصر العرب في نقل منطق أرسطو لحاجتهم اليه بصفته أداة للتفاهم والاعتناع في المجادلات الفقهية ولا نبالغ اذا قلنا أن علم الكلام مأخوذ معظمه من فلسفة أرسطو أما كتابه في البلاغة أو الفصاحة فقاصر على فصاحة الخطباء . وقال أن غاية الخطابة تنبيه الاتصالات الرديئة أو المغايرة للعقل وقد دعاه هذا التعريف الى الكلام على الاهواء وعلى تقسيم الناس الى طبقات وأنواع لتبيين قوة التأثير في كل طبقة منها ويظهر أنه

هو لم يكن يتأثر بفعل الخطابة فقد سمع أعظم خطيب في عصره
وربما كان أعظم خطيب في كل عصر وهو ديموستين ولم تهتز
له أوتار قلبه ولم يذكره الا مرة أو مرتين عرضا .

وكتابه في الاخلاق « ايطيقا » هو أحسن كتبه شرحا
وافصاحا عن الغاية ويقول فيه أن السعادة غاية الانسان وهو
لا يختلف في شيء عن مذهب النفعيين في الفلسفة الحديثة
أمثال ستيوارت ميل وسنيسر ولا غرابة في ذلك فهو في اعتبارنا
أبو الفلسفة المادية وان أسمى ما يرمى اليه الانسان هو تحقيق
انسانيته الذاتية وهذا أمر لا بد فيه من العقل وقال أن الانسان
كائن اجتماعي بفطرته وأكثر ميلا للاجتماع من النحل والنمل
وأنه هو العالم الاصغر وتكلم عن الاهواء وضرورة الاعتدال
فيها لتكون الخلق الفردي . وهو يناقض سقراط وأقلاطون
اذ قالان الفضيلة علم وهو يقول أنها عمل وتعود على الاخلاق
الفاضلة وأن الوعظ والارشاد والثناء على العدل لا يجعل
السامع عادلا ولكن تدريبه على العدل بالفعل يؤدي به الى
اكتساب تلك الفضيلة ولكن اذا وافقنا ارسطو على بعض
آرائه فأننا لا نوافقه على هذا لان سقراط وارسطو كانا

مصلحين والأصالح يتحتم فيه شرح طريقته بالنظريات ولولا
نظريات سقراط وأفلاطون ما كانت طريقة أرسطو العملية .
أما كتابه في السياسة المدنية فهو أثمن كتبه وأثمنها لأهل
هذا الزمان . وقال أن أفضل الحكومات هي حكومة الفضلاء
وهو يفضل الأرستوقراطية على غيرها وينصح بجعل العمال
والصناع والزراع في درجة منخفضة وأن يسخر والخدمة الطبقات
العليا ويقول بأن الحكم يقسم بين هيأتين الأولى مكونة من
الشباب والثانية من الشيوخ (على هيئة مجلس النواب ومجلس
السناتو أو الأعيان أو اللوردات لوقتنا هذا) ونصح للطبقات
العليا بعدم الاختلاط بالدنيا وعدم المجاملة أو العطف بينهما وقد
رأينا في رومه إلى أية النتائج أدى تطبيق هذه النظرية في عراقك
دائم بين الإشراف والشعب .

ونحن نختلف أرسطو في هذا الرأي وننقضه ونقول أنه
يؤدي إلى أسوأ النتائج وأنه لا يوجد نظام أفضل من العدل
والمساواة في حكومة الأمم . وقد حاول أن يضع نظاما للثلث
الأعلى في السياسة المدنية فالف جزءا من كتاب قلد فيه
أفلاطون في جمهوريته ولم يتمه ولا قيمة لآرائه في هذا الكتاب

على الإطلاق.

وكتب في الشعر والفنون كتابه الشهير باسم «بوطيqa»
 فقال أن العلم خطة خفية وأن أرق الفنون تأليف التراجم
 وأن الكون تراجم لربها الموضع وأن نجاح التراجم يرجع
 إلى «الحيلة» أو «الآلة» المترتبة عليه بنية الأجزاء وأن عامل
 التسعة والخمسة هما أهم عوامل الاتصال في التأليف الفني.

وهذا آخر كتبه.

وستكلم الآن عن أدباء العرب الذين اعتنوا بنقلها من
 اليونانية فنقول أن (كتاب المقولات أو قاطيجوريكس
 أو كاتيجوري) قد نقله من اليونانية إلى العربية حنين بن
 إسحق وأستقله أبو ذر يا يحيى بن عدي. وعن قسره من
 فلاسفة العرب الفارابي وأبو بشر متى والكندي وإسحق بن
 حنين وأحمد ابن الطيب والرازي.

(باربرمينياس أو باري ميلياس أو العبارة) نقله القس
 حنين إلى السرياني وإسحق إلى العربي وتولى تفسيره يحيى
 النحوي وأبو بشر متى والفارابي واختصره الكندي وحنين
 وإسحق وابن المقفع.

(انولوطيقا الاول أو القياس) نقله الى العربي ثيادورس
ونقحه حنين وفسر بعضه يحيى النحوى وأبو بشر متى وفسره
كله الكندي .

(انولوطيقا الثانى - البرهان) نقله متى عن اسحق إلى
العربية . وشرحه متى والفارابى والكندي

(طويقا - الجدل) نقله الى العربية يحيى بن عدي
والدمشقى وابراهيم بن عبدالله وشرحه يحيى بن عدي فى الف
ورقة وفسره الفارابى واختصره

(سوفسطيقا المغالطة أو الحكمة الموهمة) نقله ابن ناعمة
وابو بشر متى ويحيى بن عدي وفسره الكندي وقويوي
(ريطوريقا - الخطابة) نقله الى العربي اسحق وفسره
الفارابى فى مائة ورقة ووجدت منه نسخة بخط احمد بن الطيب
السرخسى .

(بوطيقا - الشعر) نقله الى العربي ابو بشر متى ويحيى
ابن عدي واختصره الكندي

(كتاب السماع الطبيعى أو سماع الكيان) نقله الى العربي
يحيى بن عدي وعبد المسيح بن ناعمة وفسره ابو احمد بن كرنيب

وثابت بن قرة وأبو فرج بن جعفر .

(كتاب السماء والعالم) نقله إلى العربية أبو بشر متى

ويحيى بن عدي وكان في زمنه يسمى رأس متكلمي الفرقة
الفلسفية.

وشرحه كثيرون منهم يحيى وأبو زيد البلخي

وشرحه أبو هاشم الجبائي ورد عليه بكتاب طويل سماه

«التصفح» ولكن انتقاد أبي هاشم لأراء أرسطو إنما جاء
بمقدار ما تخيل له فهذه لأنه لم يكن عالماً بالقواعد المنطقية .

وقلت غير هذا كتب كثيرة وشرحت مثل كتاب

الكون والفساد وكتاب الآثار العلوية وكتاب الحس

والمحسوس وكتاب الحيوان والالهيات والخلقيات

وأهم من اشتغل بترجمة أرسطو وشرحه من علماء العرب

هم من ذكرنا ويضاف إليهم ابن سينا وابن رشد . وبالجملة

فاعظمهم قدرا الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ويحيى

ابن عدي .

ما كتبه العرب عن ارسطو

قال المسعودي ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ان معنى
اسم ارسطو كامل الفضيلة ومعنى اسم ابيه قاهر الخصوم .
وكان ابوه فيثاغوري المذهب

وارسطو أول من خلص صناعة البرهان من سائر
الصناعات المنطقية وصورها بالاشكال الثلاثة وجعلها آلة
للمعلوم النظرية

وذكر له القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد الاندلسي
المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية الكتب الآتية المناظر - الخطوط -
الحيل - سمع الكيان - السماء والعالم - الحيوان - النبات -
النفس - الحس والمحسوس - الصحة والسقم - الشباب
والهرم - ما بعد الطبيعة - اوديميا - وفسطيقا - الساجسوس
ولا حاجة بنا الى القول بان هذا خطط لامعنى له ولا يحتاج
الى تفنيد ولكن ذكرناه لان القاضي صاعد من اكبر الثقات
فى تاريخ الفلسفة عند العرب وادعى القفطى المتوفى ٦٤٦ هجرية
فى اخبار العلماء بان ارسطو خلف افلاطون فى التعليم فى
مدرستين وهذا غير صحيح فانه لم يخلفه حتى ولا فى مدرسة

واحدة ثم أخذ الققطى ينسخ أقوال صاعد الاندلسى بغير
تمييز ويضيف عليها مثلها ثم روى عن محمد بن اسحق النديم
أن سبب اهتمام المأمون بكتب اليونان رؤيا رأى فيها ارسطو
وهو ابيض مشرب بالحمرة واسع الجبين مقرون الحاجبين
حسن الثمائل (ولا ينقص الا أن يقول سكرى الميسم)
وأن المأمون سأله الى آخر ما جاء به فى هذه الخرافة وذكر
ابن اسحق المذكور أن معنى ارسطو طاليس محب الحكمة (١١)
وان ارسطو لم ينظر فى الفلسفة الا بعد أن جاوز الثلاثين
من عمره ! ثم سرد الكاتب العربى وصية ارسطو بشأن
اولاده وذكر واسنة عندهم « ٦٧ عا ما والله اعلم »

وأن مؤلفاته هي قاطغورياس (المقولات) وبارميلياس
(العبارة) وانولوجيقا (التحليل) وابوديقطيقا (البرهان) وطوبيقا
(الجدل) وسوفسطيقا (المغالطون) أو (الحكماء الموهون)
وريطوريقا (الخطابة) وبوطيقا (الشعر)

ونحن لا نريد القرض من قدر هؤلاء الكتاب ولكن
الذى يدهشنا منهم القاء القول على عواهنه وعدم التحقيق
من معنى الأسم أو السن أو تاريخ الميلاد والوفاة فان كانت

هذه حالهم في أساطير الأمور فكيف حالهم في جليلها ؟
ولم ينبج أرسطو من التكفير في نظر بعض كتاب العرب
فقد قال الوزير جمال الدين في كتابه أخبار الحكماء ان أرسطو
رأى كلام أفلاطون وسقراط مدخول الحجب منزل القواعد
غير محكم البينة في الرد والمنع فهذه ورثته وحققه ونمقه وأسقط
ما ضعف منه غير أنه لم يكن مستنداً الى كتاب منزل ولا
الى قول نبي مرسل فضل الطريق . . وان الفارابي وابن سينا
واقفاه على شيء من أصوله فكفرا بكفره وان أقدامهما زلت
كما زلت قدم أرسطو وقد كفر الثلاثة بقولهم في ثلاث
مسائل خالفوا فيها كافة الاسلاميين وهي أن الاجساد لا
تحشر وان المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة والعقوبات
روحانية لا جسمانية والثانية في صفة الله عز وجل بأنه يعلم
الكليات دون الجزئيات وقولهم بازلية العالم وقدمه
والذي يدهشنا بعد ما تقدم من ذكر الفروق الموهلة
بين ارسطو وشيخه وهي فروق سحيقة لا يملأ فراغها ولا
يسبر غورها أن حكما عظيما وفيلسوفاً جليلاً اشتهر بالوقوف

على آراء الحكميين ونقلها وتفسيرها وهو أبو نصر الفارابي
الذي يسميه كتاب العرب المعلم الثاني بعد ارسططاليس المعلم
الاول قد تعرض الى عمل من أبعد الاعمال عن الحكمة وأقلها
نقما وأقصاها عن العقل الا وهو التوفيق بين الفلسفتين
الروحانية والمادية .

وكتب في ذلك رسالة أسماها «الجمع بين رأيي الحكميين
أفلاطون الالهى وارسطوطاليس» قال في مقدمتها « ان الذي
دعاه الى تأليفها أنه رأى أكثر أهل زمانه قد تنازعوا في
حدوث العالم وقدمه وادعوا أن بين الحكميين المقدمين المبرزين
اختلافا في اثبات المبدع الاول وفي وجود الاسباب وفي أمر
النفس والعقل وفي المجازاة على الافعال خيرا وشرها وفي كثير
من الامور المدنية والخلقية والمنطقية » .

نقول أن أهل زمان الفارابي قد صدق نظرهم في مشاهدة
هذه الاختلافات فانها حقيقية وغريب أنهم يرونها وهو حكيم
ولا يراها . ولكن عز عليه أن يكون الاشتاذان مبدعي
الفلسفة ومنشئها وأن لا يكونا على وفاق تام .

الفلسفة بعد أرسطو (الرواقيون)

لما كانت الفلسفة محتاجة الى قوة العقل وقوة الخلق فانه لم يظهر بعد ارسطو من هم جديرون بالذكر في تاريخ الفلسفة الا الرواقيين والمشككين والايقوريين

زعيم الرواقيين أو المستخفين بالآلام زينو ٢٦٤-٣٣٦ ق م وهو قبرصي الاصل سمي الجنس جاء الى أثينا ودرس على كراتيس تلميذ ديوجين الكلبي وقد ذكرنا أن مؤسس مذهب الكلبيين أو السنيك هو انتيستين تلميذ سقراط . وتلقى العلم أيضاً على هيباس وبروديكوس اللذان أذاعا فكرة العود الى الطبيعة وقالوا بان الانسان يعد ابن العالم لا ابن بلد واحد . وحاربوا الكاذب المتواطئ عليها في المدنية والاجتماع وأرشدوا الناس الى الحياة البسيطة . ويمكن القول بالجملة بغير تقليل من فضل أستاذي وحبيبي جان چاك روسوان الفضل في مذهبه يرجع الى هذين الحكيمين وصدق من قال أن فضل فلاسفة اليونان على العالم لا يقدر فانه ما من فكرة وما

من مذهب قديم أو حديث الا وهم غارسو بذرتة وواضعو
أساسه حتى مذهب نيتشه الالماني يرجع الى قول زينو الرواقي
أن التاريخ يعيد نفسه ورأى هربرت سبنسر في الجزء «الذي
لا يعلم» Unknowable راجع الى قول بلوتينوس رئيس
مذهب الافلاطونية المستحدثة وفلسفة ديكارت خليط من
سقراط وفيثاغورس ومذهب برجسون القائل برجوع النفس
الى الماضي واشرافها على المستقبل ليس الا طرفا من رأى
أفلاطون في الافتظار وهو ترجمة كلمة Intuition . ونظرية
التطور والترقي هي مما قال به طائفة من الحكماء الاقدمين مثل
أناكساغور وهيراقليط وارسطو وغيرهم . وفكرة
الالكترونات هي فكرة الذرات التي قال بها ايقور نقلا عن
ديموقريط مباشرة وهذه الفكرة هي التي يقول بها العلم
الحديث عن أصل المادة ويزداد عجينا وبحسرتنا وأسفنا على
جهلنا اذا علمنا أن الفلسفة اليونانية منذ أسسها تاليت دى مليت
أو تاليس الملطي كما يسميه مؤرخو العرب ليست الا شعاعا من
النور الذي انبثق من مصر فقد رحل اليها تاليس وفيثاغورس
وأفلاطون وكل عظيم من فلاسفتهم لم يخط حرقا لم يكن تلقى

أصله عن مصر العظيمة فانظر أيها المصري وقارن وتأمل .
بعد هذا الاستطراد نعود فنقول أن اتستين وديوجين
الكليين حاولا هداية الناس الى الحياة البسيطة ولكن أهل
عصرهما سخرا منها كما سخر معاصرو روسو منه .

ولكن زينورثيس الرواقين اقتدى بهما في النصيح باتباع
الطبيعة في كل شيء . ثم أنه قاوم المذهب الروحاني في فلسفة
أفلاطون وارسطو وقال أنه لا يوجد في الانسان الا الجسم
وقد عاد بذلك الى الفلسفة اليونانية المادية القديمة . وبث
آراء هيراقليط من أن النار أصل كل شيء .

وقال زينوبان كل فترة من التاريخ هي عبارة عن صورة
طبق الاصل من الفترة السابقة وهذا المبدأ فيثاغورى في
أصله وهو رأى يقضي الاختيار عن أعمال البشر ويؤيد أننا
مسيرون وأننا كائنات ضعيفة في أيدي القضاء والقدر . وهذا
هو الرأى الذي اتخذه فردريك نيتشه وبنى عليه فلسفته ولم
يذكر منشأه . ولكننا لا نسمى هذا سرقة أدبية ولكننا
نفسره : بتوارد الخواطر . لانه شتان بين هذا الرأى في بساطته
وبين البناء الشامخ الذي شاده نيتشه . وليس هنا مجال الكلام

في هذا البحث الجليل اللذيذ

وقال الرواقيون بأن الله مادة تملأ الكون والعالم
وأن خلقه العالم ثمرة مهارة فائقة وقدرة لا حد لها كان
الكمال والخير رائديهما . وإن العالم إنما خلق لخير الإنسان .
بل هذا هو المبدأ القائل بأنه ليس في الامكان أبدع مما كان
المعروف بتليولوجيا وقال به سقراط وأفلاطون وأرسطو .
ويمكن تسميته بحسب الاصطلاحات الحديثة الاستبشار
أو «أوبتمزم» وأفضل من يمثل هذا المبدأ في المحدثين لينتز
أحد تلاميذ ديكارت (راجع فلسفة ديكارت تأليف بوليه
جزآن طبع ليون) والطف من هزأ هذا المبدأ وسخر منه
فولتير في قصته البديعة « كانديد » فليقرأها من يشاء .

وقد استعان الرواقيون بكلمة قالها هيراقليط وهي
« لوغوس » ومعناها اللفظي كلمة والمعنوي العقل المنتشر في
الكون وأطلقوها على معنى الخالق فقالوا أن الكلمة هي
الخالق وأن الخالق هو العقل الذي يوجد الاشياء والمادة التي
يخلق منها الاشياء وقد نسب بعض المفكرين بعض مبادئ
الدين المسيحي الجليل الى هذه المدرسة الفكرية وعينوا ألفاظاً

بالذات قالها بولس الرسول وادعوا أنه اقتبسها من الشاعر أراتوس
تلميذ زينون. وجار بولس الرسول في وطنه وهو طرسوس
وكانت مقراً لمدرسة رواقية (أعمال الرسل) وقد تأثر الرواقيون
بآراء أفلاطون فقبلوا القول ببقاء النفس بعد الموت ولكن
حياتها إذ ذاك لا تطول عن حياة العالم التابعة له. ثم تعود
كغيرها من الكائنات فتمزج بالمادة الإلهية لتخلق من جديد.
وأن كل فترة من حياة العالم تكرر بحالتها لأن الكمال لا يحتاج
إلى تعديل وهكذا تستمر الفترات تترى إلى أبد الآبدين .
وكان استبشار الرواقيين « أو يتمزم » في اعتقادهم أن
العالم مخلوق بفكرة الخير ويقولون أن اللذة ليست خيراً كما
أن الألم ليس شراً وقد أخطأ هربرت سبنسر إذ قال أن
الاستبشار معناه الاعتقاد برجوح كفة اللذة على كفة الألم في
العالم فكأنه يوحد بين اللذة والخير وبين الشر والألم وهي مختلفة
ويقول الرواقيون أن الفضيلة هي الخير الوحيد وكانوا يحاربون
الرديلة ويعتقدون أن ما في العالم من خير أو ضده صادر عن
إرادة الخالق وفعله .

وكان أفلاطون أحذق منهم لأنه نسب الشر للمادة

وبذلك فر من نسبة صدورهم الى الخالق كذلك ارسطو لم تعرض له هذه المشكلة لانه لم يقل بمخالق وكانوا ينكرون المعجزات ويعتقدون بان الحوادث متعاقبة متسلسلة غير منقطعة ومتصلة باول الدنيا وان الحرية الالهية ليست مطلقة وانها مقيدة بمنطق الوجود الذي عين الاشياء وخصدها كبيرها وصغيرها في سائر دوائر الخلق ولاجل هذا فان التعبد والصلاة لا يغيران مجرى الحوادث ولا يقلبان نظام الطبيعة لمصلحة المصلي وان الاقدار سائرة بقوة اندفاع اكتسبتها منذ الازل وتستمر عليها الى آخر الدهر وان الله عز وجل لا يريد أن يتداخل بنفسه لينقذ رجلا عادلا مما كتب له في صحيفة القضاء

فاعترض الناس على هذا القول وقالوا كيف يرضى الله سبحانه وتعالى في هذا العالم الذي يقولون عنه أنه أفضل العوالم وأعمها خيراً أن يهلك الفاضل العادل ويسعد الشرير فقالوا انما قلنا أن هذا العالم أفضل العوالم امكاناً وأن هناك ضرورات منطقية لا تدركها عقولنا تقتضى أن يظهر الشر بجانب الخير وربما كان حدوث الخير متوقفاً على وقوع الشر ! وان قانون التناسب الخلقى يقتضى باجتماع الاضداد لتتميز الاشياء فلا

يعرف الخير إلا إذا عرف الشر كما أنه لا يعرف التوب بغير
الظلام ولا الحر بغير البرد وأنه إن لم يكن في العالم باطل فلا
محل للحق ١١

ولما كان الرواقيون قسرين فقد حدث أن رقيقا لزينون
سرق فلما مثل بين يديه قال له العفريامولاى فأتى سرق
لأنه مقضى على منذ الأزل أن أسرق ولا أستطيع رد القضاء
فأجابه زنون وأنا أيضا مقضى على أن أجلك عقابا لك ولا
أستطيع رد القضاء وهذه الحادثة البسيطة تجعل حق العقاب
على التوب مرتبطا بالمنفعة العامة. وهذا هو الرأي الذى
قال به بعد ذلك بنيتام يشرى قرونًا وأكثر (راجع ترجمة كتابه
لتسعى وتعلول)

ولكن الذى جعل تعليل زنون في جلد عبده مقبولا
هو أن العقاب على التوب قلص على الحياة الأرضية لأنهم
لا يعتقدون في نعيم ولا جحيم ولا خلود ولا بئس ولا حياة
بعد الموت. والذى يحير العقول في مذهبهم أنهم لم يعرفوا
الفضيلة واكتفوا بالأمر بإتباع الطبيعة.

لما توفي زنون خلفه كليات ٣٠٠ - ٢٢٠ في زعامة الفرقة

الفلسفية الرواقية وهو أغريقى من ترود وقد حل أثينا معهما
فاستعان على مطالب الحياة بتوزيع المياه على النواطير المجاورة
وكان فى أوقات فراغه يدرس الفلسفة وإن صحت هذه الرواية
أو كذبت فإنها تدل على أن العامل فى بلاد الإغريق كان لا
يعتد حب الفلسفة ولا الفراغ للدرس. وقد روى المؤرخون
أن فيلسوفنا الشهير أبانصر القارابى كان بستانيا. وكان كليات
السقاء حكما وشاعرا أيضا وقد نظم نشيدا لتجيد الآلهة زفس
معبودهم فى ذلك الحين جاء فيه :

«أيها القوى! تعددت أسماؤك وعظم مجدك بين الخالدين.
يا جوف يا مصدر الطبيعة الأول : يا من ترشد الأشياء بالقانون
إن عبادتك فعل مقدس . نحن الناطقين أبناءك على الأرض
قد فضلنا على جميع المخلوقات . إن الكون المحيط بالعالم الأرضى
يطيع إشارتك لأن سيفك حاد وقوى ولا يغلب أنك مالك
الدنيا ومديرها وأنت الكلمة وصاحب العقل المدير (لونغوس).
لا قادر إلا أنت ولا خالق إلا أنت . أنت الحكيم تقسوم
المعوج وتنظم الفوضى وتجمل الدميم . إن الذين لا ينظرون إليك
ولا يسمعون أمرك لا ينالون شيئا من هناء الدنيا وخيرها .

إن الناس قد ضلت فعبذت المال والحب والطمع . فانقذهم
يا جوف العظيم من هدة الجهل انك بذلك جدير وعليه
قدير! »

ويظهر أن هذا التعبد الحار كان صادراً عن قلب السقاء
الفيلسوف باختلاص فأدى به الى التعصب الذميمة فلما ظهر
أريستارخوس العالم الذي قال بدوران الارض حول نفسها
وحول الشمس (قبل جاليليه بخمسة عشر قرناً) أمر كليانت
بإتهامه بالاحاد لمعاقبته أمام جميع أهل أغريشيا ولا يذكر التاريخ
مقدار ما وصل اليه من تهيج الرأي اليوناني ضد العالم الفلكي
ولكن نظرية النظام الشمسي قتلت في مهدها بفضل ذلك
السقاء الفيلسوف المصلي ..

وخلفه خرسيوس وسار على سنة أساتذته في سمو الفكر
وبساطة العيش وقد قوي المذهب ودعمه حتى استطاعت
مبادئه المقاومة خمسة قرون إلى أن ظهر بلوتينوس وحطم
آراء الماديين وهو زعيم مذهب أفلاطون المستحدث وسيأتي
الكلام عليه

وظهرت آثار الرواقين في اهتمام الناس بمجال الطبيعة

وحب النساء وفي السعي وراء الملاذ وهذا أدى بهم الى نظم
الشعر التمثيلي وتحولت ميول الناس نحو حب الأرض والتمتع
بزرعها وضرعها وهذا أدى بهم الى الاشتغال بسياسة الاراضي
فاتحد أحد فلاسفتهم سفاروس مع الملك كليومينيس في
الاصلاح الزراعي الذي تم في اسيرطه . وقام بلوسيوس
بتهذيب الاخين الرومانيين جراجكوس ودرهم على طرق
الاصلاح الزراعي في رومه وقد أدى تشييعها بهذه المبادئ
لاحداث الثورة المعروفة باسمها في التاريخ الروماني وقد
انتشر المذهب الرواقى في رومه فلم يعض أهلها المفكرين القناعة
وبساطة العيش وبذل النفس في سبيل الجمهورية وظهر من
رجالها كاتون الصغير الذي ذهب ضحية مبادئه

وقد أتبع هذا المذهب في رومة ثلاثة من فحول الكتاب
المصلحين وهم سنيكا (مذهب نيرون) واييكتيت (كاتب
أخلاقى) ومارك أوريل (أمبراطور فيلسوف) ويرجع الفضل
لهؤلاء الثلاثة في نشر المذهب واعلاء شأنه في العالم المسيحي .
كان سنيكا اسباني المولد (٣ ق م - ٦٥ ب م) جلبيته
أجريينا من منفاه ووكلت اليه تهذيب ولدها نيرون الذي

صار بعد ذلك عاتية رومة وأفطع الظالمين فعينه وزيراً ثم عزله
فتآمر عليه وكان يرجو من وراء المؤامرة أن يخلفه على العرش
أما ايكنت فكان معتوقاً وعاش في القرن الثاني للمسيح
يرثق بتعليم الحكمة وهو صاحب المثل السائر « احتمل
واصفح » . وفيه من تعاليم التسامح المسيحي ما فيه .

أما مارك أوريليوس (١٢١ — ١٨٠) فيكنى في ذكره
بالفضل انه لم يشبهه في ملوك الافرنج الا اثنان الملك أرتور
المتصوف والقديس لويس المجاهد الصليبي .

ومبادئ هؤلاء الفلاسفة الثلاثة يمكن التعبير عنها
بثلاث كلمات « الضير والواجب والانسانية »

فعبارة الضير هي أرقى ما وصل اليه البحث العقلي
والبحث الخلقى في فلسفة اليونان وعبارة الواجب مرتكزة
على قول الرواقين بأن لوغوس خلق العالم وفرض لكل ذرة
وظيفة تؤديها . فالواجب هو أساس الوجود فالإنسان مخلوق
ومحاط بظروف معينة تجعله بذاته قادراً على القيام بأعمال معينة
لا يستطيعها سواه . وقد أخذ چول سيمون فكرة الواجب
وشرحها شرحاً مطولاً في كتاب معروف نقلنا بعضه الى اللغة

العربية ونشر في احدي المجلات في ١٩١٢ ثم نقله الى العربية
برمته غيرنا . والانسانية معناها حب الناس بعضها بعضا
والامتناع عن الحاق الاذى ببعضهم وان الرق مخالف للقانون
الطبيعي وينبغي محوه من الوجود وقال سنيكا ان الناس تولد
بمحقوق متماثلة وقد بنى رجال القانون على هذا الرأي مبدأ
تحرير الناس .

والذي ساعد على نشر هذا المبدأ الرواقى فى رومة وفى
المسيحية هو كونه فلسفة دينية غايتها القول بوحدة الوجود
الطبيعي والمادى والروحانى.

السينيك المشككون أو «المرتابون»

بعد أن مات افلاطون حل محله في الأكاديمية رجال
تعلقوا بدراسة محاوراته الأولى وهم يمتنون بجبل الفكر إلى
بروتاغوراس وجورجياس أكثر منهم إلى سقراط . واعظمهم
قدراً أرسينسيالوس (٣٢٥ - ٢٤٠) و كارنياديس (١٢٨ - ٢١٣)
وقد حولا قوة انتقادهما إلى خريسيبوس مصلح الرواقية
وزعيمها بعد زينون ومما قالاه عبارات تشكك في كافة الحقائق
المعلومة سعياً وراء هدم نظرية المعرفة التي أساسها العلم بالحواش
والشعور بالعالم الخارجي .

والذي سواً مركز الرواقين هو أنهم كانوا يؤمنون
بالهة اليونان ذكوراً وإناثاً ويصدقون بالوحي والتنبؤات .
لأجل هذا هجم كارنياديس على الرواقين ونقد فلسفتهم
ووضع أساس فلسفة التشكيك . وكان مبدأهم الترجيح في
خطط الحياة . وقد نجحوا في هدم غرور خصومهم وأوصلونا
إلى أوريل وسينكا وإيكت .

الايقوريتا و « فلسفة الملان »

مدرسة فلسفية مركزها وسط بين السابقتين وهي اقرب الى المشككين منها الى الرواقين
أما ايقور مؤسسها وزعيمها فكان جاهلا بمبادئ العلوم الطبيعية وكان لا يعتقد بكون الارض ولا بان الشمس والقمر هما في الحقيقة اكبر مما نراها ويظنها بحجمها الطبيعي !! ولا ندري كيف هي له أن ينشئ نظرية الذرات التي ظهر فضله فيها بعد موته بتسعة عشر قرنا وكان من أهل ساموس (٢٧٠ - ٣٤٢) وعاش في اثينا وكان محدود العقل ويرى رأى افلاطون في أن غاية الحقيقة الوصول الى السعادة وهو يفضل اخف الضررين واهون الشرين ويكره العقائد الدينية لأنها تشغل نفسه عن اللذة الناجمة عن « خلو البال » ويقول انه لا يجوز للانسان أن يخاف من المستقبل بعد الموت لانه لا حياة هناك وانكر تداخل الالهة في شؤون البشر وانكر الحياة بعد الموت وكان لا يؤمن بها ويذكر القارىء أن ديموقريط قال بمذهب الذرات وهذا المذهب يؤدي بطبيعته

الى الاتحاد فانتحله أبيقور لا تقديراً لقيمته العلمية ولكن لان
انتحال هذا المذهب ينقذه من الاعتقاد الالهى الذي يؤدي
الى الاعتقاد بتداخل الله فى أحوال الدنيا وهذا الذي لا يريد
أبيقور لا من وجهة علمية ولكن ليريح فكره ولما كان أبيقور
جاهلاً جداً بمبادئ العلم الطبيعي فقد حور فى مذهب الذرات
تحويلاً ظنه يوفق بينه وبين تطور العلم الطبيعي منذ عهد
ديموقريط صاحب هذا المذهب الى عهد أبيقور بعد أن مرت
الفلسفة والعلم بارسططاليس العظيم

وقوة الايقورية ليست مستمدة من المبادئ الطبيعية
ولكن من بحثها الاخلاقى وجعلها اللذة غاية كل خير ومقصد
كل حي فى الوجود ولكن هذا المذهب أيضاً وهو تمجيد
اللذة لم يكن حديثاً بل قال به من قبل ديموقريط نفسه صاحب
مذهب الذرات وان كان لم يفهم حقه من الشرح والتفسير
فقد وفاه حقه أفلاطون نفسه فى محاورته « بروتاغوراس »
ونقحه وهذبه وأيده فى « كتاب النواميس ». وخلاصة هذا
المبدأ فى رأي أبيقور وأفلاطون أن الفضيلة فى الإنسان نتيجة

الحذر وليس مقصدنا بالفضيلة إسعاد الناس أو إسعاد العالم
ولكن مقصدنا هو إبعاد الأذى عن ذواتنا وضمانه خيرنا الذي
هو في حدوث اللذة وانتفاء الألم وهذا المذهب الذي يسميه
الإنجليز « هدونيزم » وكان الأقدمون يزيقون هذا المذهب
بتمثيل اللذة في الشهوات البدنية ويطعنون على اللذة ويمقتونها
من طريق الطعن على تلك الشهوات ولكن شرح أفلاطون
وتفسيره نظرية اللذة لم يبق مجالاً لهذا الاعتراض لاسيما وإن
ايقور نفسه بين أن اللذة ليست قاصرة على الاحساسات
المادية بدنية أو غير بدنية بل إن للشعور المعنوي منها أوفر
نصيب

فذكر قبل موته يوم واحد أن تذكر محادثة فلسفية
جرت له مع صديق خففت ألمه في داء من أقسى الأدواء
وأشدّها وطأ. ولذا كان الأبيقوريون يمجّدون الصداقة ويملّون
شأن الوفاء فيها وربما قد استعاضوا بلطف العشرة عن قوة
الإدراك والبحث العلمي لأنهم كانوا بالفعل جهلاء لدرجة أنهم
لم يجرأوا على تعديل كلمة واحدة مما رسمه « الأستاذ الأكبر »
ايقور وكانوا يعدّون التعريف كفراً لا يعتفّر لأنهم كانوا قد

ألهوا زعيمهم وعبدوه وهذه المدرسة الفكرية تدل على الحالة
العلمية والعقلية التي وصلت إليها الحكمة بعد زعمائها الأول
على أن المذهب ابيقوري أنصاراً عظماء منهم جيو الشهير الذي
مات في مقتبل العمر بفرنسا فقد كتب عنها كتاباً عظيماً نال
جائزة من جمعية العلوم المدنية والسياسية بباريس وهو يذكر
أن كثيراً من المذاهب الحديثة تمت إلى الابيقورية بحبل النسب

(راجع كتابه La Morale d' Epicure et ses rapports
avec les doctrines contemporaines

طبع فليكسن الكان سنة ١٩١٠)

الافلاطونية المستحدثة

لما تغلبت مقدونية على بلاد الاغريق وفازت القوة
الفسوم ببطشها المادي على مبادئ الذكاء والعدل والعلم
الصحيح،

ولما استولت دولة الرومان بجيوشها الجرارة على ممالك
العالم - خفت صوت الفلسفة وانطقاً بمصباح العقل تحت تأثير
العاصفة وذهبت من النفوس عاطفة الشجاعة المعنوية والتفاني
في سبيل الحق والعدل واتجهت النفوس بعد استضعافها نحو
العقائد الدينية التي من شأنها تعزية العاجز وتعويد على الصبر
والاستسلام ولا يمتحن أن تلك العقائد تجلب خلقها طاقة من
الاهام والخرافات وتغري الشعوب بالعيش الرخيم في ظلال
الجهل والكسل وانتوفر على الراحة والنفور من بذل كل
مجهود عقلي غاية رفع المشاوة عن البصائر. كل هذا يجلبه
الاستسلام للعقائد بغير فحص ولا تمحيص وأشد من هذا في
نظر الفلاسفة اعتقاد العامة في الخلود الانساني ولا يفوتنا هنا
أن نذكر أن القول مخلود النفس ليس رأياً دينياً وانما هو رأي

ابتدعه افلاطون وصاغه في قالب بلاغته وكان استفاده من
المصريين والفيثاغوريين . وان الامم الجاهلة الضعيفة التي تفقد
املها في هذه الدنيا وتبحث عن النور فلا تجده في عقولها التي
خفيت عليها الاوهام تبحث عن عزاء خيالي فتلتسمه في فكرة
الخلود . هذه هي الحال المعنوية التي بعثت فلسفة افلاطون من
مرقدتها لانها فلسفة دينية بشكلها وموضوعها وفيها كل ما يحتاج
اليه النفس المتدنية من عقيدة التناسخ الى عقيدة الخلود بما في
ذلك مذهب التصوف وفكرة الثواب والعقاب في عالم غير
العالم الارضي

وكان افلاطون ذاته شبه فيثاغوري فلما بعث فلسفته
كان من نهضتها نصيب لفلسفه فيثاغورس فنفضت عن اردائها
غبار النسيان ونشرت على العقول شبا كاعتيقة ولكثها قوة
من الاعتقاد بالتقمص وسر الاعداد والتنجيم (ولا يزال كثيرون
من الشرقيين يعتقدون في سر الاعداد ويستعملونها في السحر
والرقى كما تدل على ذلك مقدمة ابن خلدون وكتب التنجيم
وتخوت الرمل وحساب الجمل وهي اثر من الفلسفة
الفيثاغورية انتحلها بعض المشعوذين وتبعهم بعض الجهال من

ابناء بلادنا)

لما طارد المقدونيون والرومان الفلاسفة من أوروبا لجأوا
الى الاسكندرية وهي اذذاك عاصمة يونانية في مصر ومدرستها
المشهورة باسمها قد اطلقت علما على مبادئ كثيرة من الفلسفة
والادب ومكتبتها الجليلة كانت حافلة بكل انواع الكتب
وهي التي احترقت بفعل قنابر (لا يقال قنابل) يوليوس قيصر
لدي حصاره الاسكندرية في عهد كلوبطره. هي تلك المكتبة التي
اشاع بعض المتعصبين ان العرب بقيادة عمرو بن العاص اخرقوها
بامر من عمر بن الخطاب. واصل هذه الاشاعة نبذة كتبها
عبد اللطيف البغدادي وكان رجلا عصبيا ضعيف التحري قليل
العقل وقد سماه أهل عصره بالتيس المتحى، كان هو أول من
نشر تلك التهمة المكذوبة ونقلها عنه بعض المؤرخين الذين اعماهم
سوء النية عن الحقيقة. ولكن جميع المؤرخين العقلاء من
الافرنج كذبوه في هذه الدعوى ومنهم جيون المؤرخ
الانجليزى الشهير فقد اثبت أن الذى احرق هذه المكتبة
قنابر ومقدونات يوليوس قيصر وان العرب لما فتحوا مصر
كانت هذه المكتبة في عالم العدم منذ اكثر من ستة قرون .

في مدينة الاسكندرية ظهر مذهب الافلاطونية المستحدثة
على يد بلوتينوس ٢٠٥ — ٢٧٠ ب . م . وهو الذي يسميه
الشهرستاني بالشيخ اليوناني وفي هذه النقطة خلاف لم يحقق .
وكان بلوتينوس مصرياً وكان متشدداً في المعتقدات
الروحانية لدرجة أنه كان ينجل من كون روحه محاطاً بجسد
لاجل هذا لم يقبل أن يدون عن تاريخه المادي شيئاً ولهذا
لا نعرف عن تاريخ حياته الارضية قليلاً ولا كثيراً . ولكن
الذي يعلمه معاصروه أنه درس جميع المذاهب الفلسفية التي كانت
معروفة لعصره وأنه تلقى دروساً في الحكمة على أمونيوس
سكاس الافلاطوني الذي كان يعلم في الاسكندرية وقدم
تلقيه عليه ١١ سنة ولما مات استأذنه سافر مع الرومان الى بلاد
الفرس مدفوعاً برغبة الوقوف على الحكمة الشرقية ولكن
الرومان فشلوا في حملتهم على الفرس فعاد أدراجه الى رومه
وهناك أخذ يلقي دروساً عامة فاحتق به الرومان ومجدوه
وكانت أخلاقه الفاضلة القويمة تعادل علمه وكان الناس في
رومه يحتكمون اليه ويكاثرون اليه الوصاية المختارة على أولادهم
القصر . ومات في السادسة بعد الستين من عمره وهو يقول

« انى أحاول مزج الجزء الالهى الذى فى تقسي بالقوة الالهية
السائدة على العالم »

وقد قام تلميذه برفيرى (فر فريوس صاحب مقدمة ايساغو
لكتب ارسطو المنطقية) بتنظيم كتبه فى ستة أجزاء وفى كل
جزء منها تسع مقالات اسمها انياد . وقد ترك برفيرى ما
يدل على تاريخ تدوين هذه المقالات . ويستدل من تاريخ
تدوينها أن بلوتينوس بدأ فى تدوين مذهبه لما بلغ الخمسين من
عمره وأن مذهبه كان إذ ذاك قد كمل فى ذهنه ولم يموزه الا
الكتابة فكتبه . وخلاصة مذهبه مزيج من أفلاطون وارسطو
والرواقين وغايته فى فلسفته دحض الفلسفة المادية التى وضع
أساسها الفلاسفة المراتبون (سبتيك) وايقور وخريسيبوس
ورأيه فى الشخصية الانسانية أنها روحانية ولما حاول نقض
فلسفة ايقور انتقدها من حيث عجز صاحبها عن تعاليل وجود
العقل المدبر الذى يحرك الذرات

وبلوتينوس يتفق مع أبيقور فى القول بأن الانسان مخير وكلاهما
يخالف رأى الرواقين فى أنه مسير . وقال بلوتينوس أن
اختيار النفس نتيجة طبيعتها الروحانية . فلما أُنقضى بلوتينوس

وطره بانتقاده على المرتابين والرواقين والايقورين أخذ في تأسيس فلسفته فقرر أنه يتفق مع ارسطو في رأيه في المادة بصفة كونها « قدرة ممكنة » ثم اتجه الى فلسفة أفلاطون الاصلية واستعار منها فكرة « الواحد الذي يدل على التعدد والذي لا يوجد بغيره مع أنه مستقل عنه وسابق له ومرتفع عن سائر الوجدات التي يتكون منها التعدد »

وجعل بلوتينوس هذه الفكرة مفتاح فلسفته ودره تاجها . وكان بلوتينوس ميالا بقطرته الى البحث الفكري البحث فتج عن قدرته الفلسفية وعن اختياره لفكرة أفلاطون التي تحل محلها هذا الاخير أنه صار أول واضع لاساس التصوف في الغرب بعد أفلاطون الذي ابتدع الفكرة !
ثم يقول بلوتينوس أن جميع الارواح واحدة (وهذه نظرية وحدة النفوس التي قال بها الفارابي وابن بلجة وابن رشد)

ثم يقول بلوتينوس أن « نوس » هو العقل المدبر وأن « الواحد » الافلاطوني « والارواح المتحدة » المتعددة تكاد تكون ثالوثاً مقدساً أوجد أفلاطون فكرته قبل الثالوث

المقدس المعروف ولكن البحث في تحقيق هذه النظرية ليس من اختصاصنا في هذه الرسالة. ويقول بلوتينوس أن الانسان مكون من روح عليا وهي العنصر الروحاني الذي سبق الكلام عليه ومن روح سفلى وهي التي تدنى الانسان من عالم المادة . ويقول ان الروح هي التي أوجدت المادة ويقول بلوتينوس أن النفس الانسانية بالرغم من كونها محاطة بالمادة تتصل بالعالم الاعلى في حياتها الارضية وتتحدد «بالواحد» وقد بلغ هو هذا الدرجة من الاتصال والاختلاط عدة مرات ولكن تلميذه بروفير لم يتمتع بهذا الاختلاط الروحاني الا مرة واحدة ومن هذا القبيل «انجذاب» الصوفيين والاولياء الذين يقولون أنهم صعدوا الى السماء الاولى أو الثانية أو الثالثة كما قال سيدنا بولس الرسول وهذه هي حالة «الاجزئاز» الجميل الذي لا يناله الا السعداء وهي حالة التجرد من الجسم والارتقاء بالروح الى أسنى درجات الوجود الروحاني ومعني القول ان الروح «تسرى» بالانسان الى السماء والعلم الحديث يفسر هذه الحالة بأنها نوع من الغيوبة المغنطيسية (راجع ص ١٤٨ من تاريخ الفلسفة القديمة تأليف و. بن طبع

لندن ١٩١٢^٢

وقد استمرت هذه الفلسفة دائمة لمدة ٢٥٠ عاماً بعد

موت مؤسسها وخلفه بروكلوس (٤١٢ — ٤٨٥) ب. م.
ومن آثارها نشر فضل أفلاطون ومناصرته وتقديم مذهبه
على مذهب أرسطو.

وفي سنة ٥٢٩ أمر الامبراطور جوستينيان (معناه العادل !)
الروماني باغلاق مدارس أثينا ومصادرة أوقافها التي أسسها
ماركو أوريليوس وبذلك قطع هذا الحاكم الروماني الغشوم
لسان الفلسفة وأخفت صوتها وقد ذكرنا اسمه هنا لنستزل
عليه لعنة كل ذي عقل لانه من الأفراد الذين حاولوا خنق
الفكر الانساني والتضييق عليه باسم الدين تارة وباسم السياسة
طوراً ولكن الفكر الانساني كالنور الازلي الابدی ویأبی
الفكر أن يطفأ نوره ا

خاتمة وخلاصة ما تقدم

يتلخص الفصل الذي عقدهناه لتاريخ الفلسفة اليونانية ليكون مقدمة لمائدة افلاطون وليكون حلقة اتصال بين القاريء الخالي الذهن وبين هذا الكتاب الجليل الجميل في أن الاغريق أخذوا عن اليونان مبادئ الفلسفة والمعلوم الرياضية وعلم الفلك وسواها من المعلوم وأنهم توسعوا فيها وزادوا عليها واشتهروا بها واستنار العالم بهديهم وبتراس حكمتهم الى وقتنا هذا.

وأنهم بدأوا بالاشتغال بالحكمة والمعلوم في القرن السابع قبل المسيح أي منذ ٢٦٠٠ سنة تقريبا ويلاحظ أن مصر التي ترجع آثار مدينتيها الى خمسة آلاف سنة (تاريخ نحت تمثال ابي الهول) كانت علومها زاهرة وحكمتها ظاهرة وانظمتها سائدة وعظمتها ثابتة . وطدة قبل اشتغال اليونان بالفلسفة بثلاثين قرنا . واول من اشتغل بالفلسفة تاليس وجاء في الاخبار الصادقة انه قصد مصر وساح فيها مدة لانها كانت مصدر العرفان الوحيد في العالم وكسب منها فوائد جمة ثم عاد الى

وطنه لينشر العلم بين ابناءه قأسس مدرسة وكان له الفضل في
قل علم الحياة عن المصريين وتوسيع دائرته قسم السنة الى
فصول وهو أول من نزع من افكار أهل وطنه خرافات
كثيرة كانت سائدة عليها كاعتقادهم ان الكواكب آلهة فثبت
لهم بالبرهان انها اجرام كارضنا لا حياة لها . وقال ان للعالم
مبدعا لا تدرك صفته العقول من جهة جوهرية وانما يدرك
من جهة آثاره (الملل والنحل للشهرستاني طبع لندن
صحيفة ٢٥٥)

وجاء في القفطي عن ثاليس صحيفة ٧٥ أن ثاليس
دي ميليت أو الملطي قال ان الوجود لا موجد له (تعالى الله
العظيم « القفطي ») واعتذر له اصحابه ان الذي حمله على ذلك
ما شاهدته في هذا العالم من الاختلاف فتحقق أن الموصوف
بالصفات الحسني لا تصدر عنه هذه الامور المختلفة فقال بذلك
ونقل عنه ان المبدع الاول هو الماء لانه قابل لكل
صورة ومنه ابداع الجواهر كلها وهو علة كل مبدع وانه من
جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن
صفوة الماء تكونت الذرات (الذرات أو « أتوم ») ومن الدخان

والابخرة تكونت السماء ومن الاشتعال الحاصل من الاثير
تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب
على سببه بالشوق الحاصل فيها اليه . وميز بين الجسم والجرم
فقال الجسم ما كان لطيفا ظاهراً والجرم ما كان كثيفاً داخلياً
وكان يقول ان فوق السماء عوالم مبدعة لا يقدر المنطق ان يصف
تلك الانوار ولا يقدر العقل على ادراك ذلك الحسن والبهاء .
وقال الشهرستاني عن تفسير الماء الذي قال تاليس عنه انه المبدع
الاول « وفي التوراة في السفر الاول مبدأ الخلق هو جوهر
خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت أجزاءه فصارت
ماء ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات وظهر
على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم أرساها
بالجبال » . وأظن أن مؤلف الملل يقصد بقوله السفر الاول
سفر التكوين في التوراة المقدسة فقد جاء في الاصحاح الاول
« وكانت الارض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة وروح
الله يرف على وجه المياه » (آية ٢)

وجاء بعد ذلك « وقال الله ليكن جلد في وسط المياه .
وليكن فاصلاً بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد وفصل بين

المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد (٧ و ٦) وقال الله
لتجتمع المياه تحت السماء (٩) ومجتمع المياه دعاه بمجاراً (١٠) «
أظن هذه الآيات المقدسة هي التي حللها الشهرستاني وأوجزها
ثم أنه استمر في استنتاجه فقال (ص ٢٥٦ من الطبعة السابقة
الذكر) « والماء على القول الثاني شديد الشبه بالماء الذي عليه
العرش وكان عرشه على الماء » وجعلنا من الماء كل شيء حي .
ولا نعلم قصد الشهرستاني في قوله أن تاليس الملطي إنما تلقى
مذهبه من المشكوة النبوية وأن الذي أثبتته من العنصر الاول
الذي هو منبع الصور شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور
في الكتب الالهية ويدهشنا هذا القول من الشهرستاني لان
تاليس من أهل القرن السابع قبل المسيح .

وجاء بعد تاليس انكسمندر وسار علي درب تاليس
في الابحاث الفلكية فاخترع الساعة الشمسية وقسم النهار الى
ساعات وهو أول من بين سبب زايده القمر من هلال الى
بدر ونقصانه من بدر حتى يصير كالمرجون القديم وله الفضل
في التعليل العلمي على كل من عداه

وجاء بعده انكسمين ويسفيه العرب انكسمانس وقال

في أصل العالم قولا مثل سلفه ثالثا ان أول الاوائل ليس
الماء كما قال ثالثا وانما هو الهواء ومنه يكون جميع ما في العالم
من الأجرام العلوية والسفلية وقال ان ما كون من صفو الهواء
الخص لطيف روحاني لا يدثر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل
الدينس والخبث وما كون من كدر الهواء كثيف جسماني
يدثر ويدخله الفساد ويقبل الدينس والخبث. ولعله جعل الهواء
أول الاوائل لموجودات العالم الجسماني كما جعل العنصر أول
الاولائل لموجودات العالم الروحاني وقلنا ان انكسرين يرجح
ان يكون تلميذ انكسمندر

تم ظهر فيثاغورس دي ساموس في أواخر القرن السادس
قبل المسيح وقيل عنه ايضا انه قصد مصر واستقى العلوم من
مناجمها العذبة بفضل الكهنة في المعابد وقد اشتغل بالرياضيات
والفلك وكان للاعداد في نظره اعظم شأن حتى انه بني فلسفته
عليها ولارسطو كلام طويل في تنقيد نظرية الاعداد ولكن
يلوح لاهل الفكر ان ارسطو لم يدرك تماما نظرية الاعداد
أو تظاهر بذلك لينسجل عليه نقدها. أما فيثاغورس فقد قال
بدوران الارض حول الشمس واظهر في علم طبقات الارض

حقائق ثابتة لم تنقض الى هذا الوقت كقوله أن البحر كان
يابسة وأن اليابسة كانت ماء وأن الوديان تكونت بفعل الأمطار
وعلى وجود الآثار البحرية كالبحار والاصداف وغيرها في اعالي
الجبال وهذا مفتاح طبقات الارض (كما اثبت شارل ليل
الانجليزي في القرن التاسع عشر) وهو أول من عرف الفلسفة
واطلق عليها اسمها وأول من سمي فيلسوفا وكان بفضل علم
الاعداد وعلم الفلك أول من شد أوتاراً بحسب السلم الطبيعي
في الموسيقى وقد أسس مدرسة وفلسفة باسمه وكان فيثاغورس
يعتقد بالبعث والخلود ويقول بأن فوق عالم الطبيعة عالماً روحانياً
نورانياً لا يدرك العقل حسنه وبهاءه وأن الانفس الزكية
تشتاق اليه وأن كل انسان أحسن تقويم نفسه يصير أهلاً لهذا
العالم الروحاني التوراني . وكان يعلم تهديس الحواس ومذهبه
أن يعلم الرجل الرجال وأن تعلم النساء النساء وكان معتدلاً
المزاج ولا يفرح بأفراط ولا يحزن بأفراط ولا يسمن ولا
يهزل ولم يره أحد باكياً ولا ضاحكاً وكان يعالج الامراض
بانغام الموسيقى (وهذه طريقة أحيائها بعض المحدثين في أوروبا

للمعالجة الامراض العصبية والعقلية) وكان فيثاغورس تلميذ
 انكسيندرا الذي سبق ذكره وتعلم عليه الفلك والرياضة ولما
 زار مصر تعلم الهيروغليفه على أساليبها الثلاثة وبعد أن عاد
 الى وطنه واقام به وبغيره سنين طويلة حتى الى مصر
 وعلومها فوردوها وقصد كهنة عين شمس (مدرسة كانت
 بمصر الجديدة المعروفة لعهدنا هذا بهليوبوليس وبها نكتب
 هذا الكتاب) فامتحنه كهناتها ثم بعثوا به الى منف ثم الى
 ديو سبولس ليعين الكهنة في امتحانه واكرمه الملك امايس الى
 أن عاد الى وطنه وكانت زوجته تعلم سائر النساء وابنته البتول
 تعلم سائر العذارى واضطهدها أهل وطنه وطارده وقاتلوا بعض
 تلاميذه واضطروه للفرار وتبعه الاضطهاد حيثما حل الى أن لجأ
 الى هيكل الموسن فتحصن فيه اربعين يوما فضربوا الهيكل بالنار
 فلما أحس اصحابه بذلك عمدوا اليه فجعلوه في وسطهم واحرقوا به
 ليقوه النار باجسامهم فلما امتدت في الهيكل واشتد لهيبها غشى
 على الحكيم من ألم حرارتها ومن الجوع لانه قضى معظم أيام
 الحصار جائعا فسقط ميتا ثم احترق جميع انصاره (راجع ص
 ٣٧ وما بعدها من ابن ابي اصبعة وراجع كتاب مختار الحكم

ونحاسن الكلام لمحمود الدولة ابى الوفاء المبشر بن فاتك)
ونسبوا اليه ثمانين كتابا وقالوا مائتين وثمانين كتابا
(هذا احصاء كتاب العرب) ولا نخفي على القارىء أن معظم
مارواه العرب عن فيثاغورس هو من قبيل الاساطير
الموضوعة كما أنهم لم يدركوا أولم يشاؤا ذكر الحقيقة . فالثابت
فى التاريخ الصحيح أن فيثاغورس الف حزبا علميا واشتغل
بالسياسة وكان اتباعه من الخواص أو الارستوقراطية وأنهم
لم يأتقوا من هضم حقوق الشعب فتعقبته العامة واضطهدتهم
الى أن احرقتهم بوصف كونهم اعداء الشعب لا بصفة كونهم
فلاسفة ولم يدرك العرب حقيقة فيثاغورس ونسبوا اليه علوم
الدنيا والآخرة مع أنه كان رياضيا لا زيادة وفضله راجع الى
مزجه الحساب بالهندسة كما فعل ديكارت بمزج الجبر بالحساب .
وتفوق فيثاغورس فى الرياضيات هو الذى جعله يعلق شأننا
كثيرا على الاعداد واسرارها . أما فلسفة فيثاغورس التى كانت
دعامتها البعث وتقمص الارواح وحلولها فى اجسام غير اجسامها
الاولى فقد محيت من عالم الفكر الانسانى فى القرن الرابع
وذهبت تقريبا بذهب القائل بها الا من اعمال المشعوذين من

العرب الذين تمسكوا بأسرار الاعداد وسعروها الى وقتنا هذا
ومن العجيب ان العرب ذكروا بالتفصيل ما كل فيثاغورس
ومثريه ولم يذكروا تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته. وقد ذكرناه
معتدين على مؤلفي الافرنج وفي هذا كفاية ولولا ما كتبه
ارسطو عن فيثاغورس في عرض هذه اراءه الفلسفية او فلسفة
الاعداد ما اهتدينا الى شيء حقيقي عن حياة هذا الحكيم . ولا
عبرة بما عدده العرب من كتبه فقد نسبوا اليه ٢٨٠ كتابا ورووا
عنه الف مثل وحكمة مع اننا لم يقع لنا سطر واحد من مؤلفات
فيثاغورس واتباعه وبمكتنا تعليل ذلك بان معظم انجائهم كانت
رياضية وكفي انه وضع كلمة ماطيماتقي (رياضيات) وآثار
الرياضي في الارقام والاشكال والمعادلات وهي آثار زائلة .
وسبأني الكلام على الرد على نظريته في الاعداد في عرض
الكلام على ارسطو وهو أول من اهتم بها وتقدمها .

وكنا نود أن نأتي على نظرية فيثاغورس في الاعداد
بشيء من الاسهاب ولكن ذلك يصعب لانا نكتب وجيزاً
لامطولا . على أن تلك النظرية مهمة جداً لان لمذهب
صاحبها شأن كبير فهو أول من فرق بين ادراك الانسان

والحيوان بعبارة وجيزة اذ قال أن هداية الحيوان مقدرة على الآثار التي جبل الحيوان عليها وهداية الانسان مقدرة على الآثار التي فطر الانسان عليها . فكأنه يقول ان الحيوان يعيش بالغريزة والانسان يعيش بالعقل لان الفطرة هي الحالة الفكرية التي تحصل للانسان من التأمل والتعليل ثم يتوارثها الابناء عن الاءاء ولا يوجد فرق عظيم بين هذا الرأي وبين العلم الحديث . ولكن نظرية فيثاغورس في الاعداد هي التي جعلت له شأنه العلمي الحقيقي واهم ما فيها انه جرد العدد عن الممدود تجريد الصورة عن المادة وقال مبدأ الموجودات هو العدد وهو أول مبدع . وقسم العدد الى زوج وفرد ثم قال ان المتحركات السماوية ذات حركات متناسبة لحنية هي اشرف الحركات والطف التأليفات . ويدعى فيثاغورس انه سمع حفيف الفلك ووصل الى مقام الملك وقال ما سمعت شيئاً الا انقط من حركاتها ولا رأيت شيئاً ابهى من صورها وهيأتها . وعندى ان هذا التخيل البعيد المدى الذى جعله يشهد العالم بحسه وحدسه ويسمع حفيف الكواكب انما نوع من الانجذاب اللطيف الذى يملأه العلم الحديث بأنه غيبوبة مقنطيسية فيخيل

اليه اثناء انه صعد الى السماء وحادث الملائكة الى آخر ما روى
عن فيثاغورس وامثاله . وهذه « الحال الانجذائية » هي التي
تجعل لدويها اتباعا وانصاراً يقدونهم بحياتهم ونحن لا نريد
تكذيبها أو دحضها انما نحاول تعليلها تعليلاً علمياً لتفسيرها
وادراك حقيقتها. فقد حدث مثلبا في عهدنا هذا السويد نبورج
الذي قال انه رأى شبحاً قال له « أنا الله - الخالق - مخلص العالم
— اخترتك لتنشر للناس معنى الكتب المقدسة — سأملئ
عليك بنفسي كل الذي تكتبه » (ص ٢١٩ كتاب اعتلال
العبقريّة تأليف نيسبت طبع لندن) وقد صار سويد نبورج
بعد ذلك مصلحاً دينياً عظيماً وكان يقول عن نفسه ويقول عنه
أتباعه انه نبي .

نعود الى فيثاغورس فنقول ان أتباعه تغالوا في أهمية
العدد فأوقعوا الالف في مقابلة الواحد والباء في مقابلة
الاثنين الى غير ذلك . وقالوا ان مبدأ الجسم هو الابعاد الثلاثة .
ومن أحكم أقوال فيثاغورس ان الانسان بحكم الفطرة واقع في
مقابلة العالم كله وهو عالم صغير والعالم انسان كبير . (أنظر بعد
ذلك فلسفة سبنسر الاجتماعية (سوسيولوجيا) فانه أخذ فيها في

شرح هذه النظرية وتطبيق أحوال الكائن الحي على المجتمع (ولذا ك صار حظ الانسان من النفس والعقل اوفر فمن أحسن تقويم نفسه وتهذيب اخلاقه وتركيزه احواله امكنه أن يصل الى معرفة العالم وكيفية تأليفه ومن ضيع نفسه ولم يقم بمصالحها من التهذيب والتقويم خرج من عداد العدد والمعدود والمحل عن رباط القدر والمقدور وصار ضياعا هملًا . وقال فيثاغورس في سياق نظرية الاعداد النفس الانسانية تأليفات عديدة أو لحنية ولهذا ناسبت النفس مناسبات الالحان والتذت بسماعها . وجاء بعد فيثاغورس فلاسفة مدرسة ايايه وهم پارمنيد وزينون دى كولتوز وتلام الفلاسفة الطبيعيون المحدثون وأولهم هيراقليط وهو في طليعة الحركة الفلسفية التي اهتمت بتحول الاشياء وتغيرها أكثر من اهتمامها بمادتها . واشتغل بالسياسة وحرب الديموقراطية وكان يقول بوجود الانسجام في وسط الفوضى . وكان هيراقليط يخالف پارمنيد .

ثم تلاهما أناكساجور وهو من نوابغ القرن الخامس قبل المسيح واشتغل بالفلك ورصد الكواكب وهو أول من

علل الخسوف وفضله على فيثاغورس ظاهر فقد تنبأ هذا
الاخير بنكسوف حصل في عهده ولكنه لم يستطع تفسيره
ولكن أنا كساجور علل الخسوف والكسوف معا وأنكر
ألوهية الشمس واضطهده أهل عصره لاجل هذا وقد سمي
أنا كساجور حكيم الذرات (الذات) لانه قال بأن المادة
وجدت منذ الازل على صورة ذرات غير مرتبطة ثم تناو لها
العقل الازلى فنظمها ورتبها حتي أخذت أشكالها المريئة .
وأثرنا الى أن أراء أنا كساجور بقيت صادقة الى أن قال بها
باسكال ولينتز ونقول انه من عهدهما الى الآن لم ينقض رأى
أنا كساجور فقد ثبت للعالم الحديث أن المادة مكونة من
ذرات وان جزئيات المادة لا تدركها العين المجردة لشدة صغرها
وانها من نوع واحد لا فرق بينها وقال علماء هذا العصر
بنظرية الالكترونات وهي قريبة جداً من نظرية أنا كساجور
ففضل أنا كساجور على العلم عظيم وكلامه في أصل الوجود
ينطبق على العلم الحديث وهو راجع الى رغبته في تحليل مبدأ
الموجودات فقال ان مبدأها متشابه الاجزاء وهي أجزاء لطيفة
لا يدركها الحس ولا ينالها العقل منها كون الكون كله العلوى

منه والسفلى لان المركبات مسبوقة بالبسائط والمختلفات أيضاً
مسبوقة بالمتشابهات. هذه النظرية التي انتحلها دروين وأطلق
عليها اسم « Differenciation »

وهو أول من قال بالكمون والظهور حيث قدر الاشياء
كلها كامنة في الجسم الاول وانما الوجود ظهورها من ذلك
الجسم نوعاً وصنفاً ومقداراً وشكلاً وتكاثفاً وتخلخلاً كما تظهر
السنبلة من الحبة الواحدة والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة
والانسان الكامل الصورة من النطفة والطيور من البيض وكل
ذلك ظهور عن كمون وفعل عن قوة وصورة عن استعداد
مادة وانما الابداع واحد ولم يكن لشيء آخر سوى ذلك
الجسم الاول . ولاهمية هذه النظرية القديعة ألقت نظر القارىء
الى كيفية تجديددها ونشرها كأنها مستحدثة في الفصول
الخمس الاول من كتاب «لغز الكون» تأليف أرنست هيكل
وقال انكساغور ان الاشياء كانت ساكنة ثم ان المقل
رتبها وقال ان المرتب هو الطبيعة وظهر بعد انكساغور
الفلاسفة السفسطائيون (المغالطون) وأشهرهم بروتاجوراس
وجورجياس ولهم آثار عظيمة في تكوين الفلسفة وهم أول من

قال بوجوب الشك وعدم امكان وصول الانسان الى معرفة الحقيقة وقالوا بنسبية الاشياء وعدم وجود المطلق في الحق والجمال والعدل وغيرها وفضل هؤلاء الفلاسفة كائن في أن فلسفتهم كانت حداً فاصلاً بين الفلسفة القديمة والحديثة ولولاهم ما تمكن سقراط وأفلاطون وأرسطو من الظهور لأن هؤلاء الثلاثة لم يقوموا الا على انقاض الفلسفة المغالطين .

ثم ظهر سقراط وهو والد الفلسفة الحديثة اليونانية .

وكان عظيمًا باخلاقه كما كان عظيمًا بفلسفته وكان عظيمًا في موته كما كان عظيمًا في حياته وقد أتينا على ملخص آرائه نقلًا عن أعظم مؤلفي الأفرنج أمثال زيلر مؤلف كتاب « تاريخ أقطاب الفكر في بلاد اليونان » واعتمدنا على ما تلقيناه عن أستاذنا جوبيلو أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية في كلية الآداب بجامعة ليون (١٩٠٩) ولاريب في أن اسم سقراط أعظم أسماء الفلاسفة السابقين لأرسطو . وهو أستاذ أساتذة هذا الأخير ويوجد شبه بين سقراط وبين إبراهيم الخليل فقد كان والد كل منهما صانعًا للتماثيل وقد ترك كل منهما عبادة الأصنام وتعلق بأهداب الحكمة وتوصل بها الى الإيمان وربما كانت

قصة التحليل مأخوذة عن تاريخ سقراط. وكان سقراط يعتقد أنه تسلم رسالة من الارباب وكانت صفاته صفات المصلحين الثوريين فقد عاش في حياته عيشة نقية ولم يتردد في مخالفة جميع الاحزاب والفرق في سبيل الحق ونشر مذهبه.

والفرق بينه وبين ابراهيم التحليل أن سقراط لم يهتم بتروة ولم يقدم زوجته مراراً بصفة كونها أخته الملوك ليحصل على قطعان الغنم والابل.

ولقد اخلصنا مذهب الفيلسوف تلخيصاً وجيزاً ونقول أن سقراط لم يؤثر في الناس بفلسفته ليس الا بل أثر فيهم بشخصيته ومن العجيب انه لم يؤلف كتاباً ولم يدون سطوراً ولكنه خلق رجالاً القوا الاف الكتب كتب لندسي (ص ٩) ترجمة مؤلفات زينفون) «أن سقراط لم يترك أثراً مدوناً ولكن زينفون وافلاطون خلداه بما كتباه عن حياته ومذهبه كما ان اريستوفان المؤلف الهزلي الذي هزأه في رواية «الغيام» لم ينكر انه اعظم رجل في اثينا وناهيك يبطل احدى روايات اريستوفان المر القلم واللسان». وبالرغم من أن سقراط لم يكتب فانه اوجد اربعة مذاهب فلسفية كان لها اعظم شأن في العالم

أولها مذهب الميجار (مينغاره) ومذهب سيرانيك (القورني)
ومذهب سنيك (الكلاية) وإذا نظرنا إلى كل مذهب من تلك
المذاهب الثلاثة نرى أثرا جليا من شخصية سقراط وفلسفته
وإهم منها رابعها وهو مذهب افلاطون وما تشعب عنه حتى
فلسفة أرسطو نفسه فإنها لم تكن إلا نقداً للمذاهب المذكورة
وشرحاً لها وتنقيحاً لما جاء فيها وتطبيقاً لمبادئ العلم الصحيح
على ما اتبعته قريحة سقراط وتلاميذه الذين هم أساتذة أرسطو .
ثم نقلنا ملخص ما كتبه مؤرخو العرب عن سقراط وهم
ابن أبي أصيبعة والقفطي والقاضي صاعد وغيرهم وقد نقلنا هذا
الملخص ونسقناه على طريقة حديثة ليكون لذيذاً في مطالعته
ولكن الناظر إليه يدرك الفرق بين طريقة العرب وطريقة
الأفرينج . ونحن لا ننتقص هؤلاء فهم أجدادنا وأساتذتنا
وبلغتهم نكتب ومن فضلهم نقدي عقولنا وقد غدوا أوروبا
ذاتها بلبان العلم والحكمة منذ آلاف السنين . ولكن انظر ماذا
جاء في كلامهم عن سقراط : مجموعة حكم وامثال وقد بالغ ابن
أبي أصيبعة في التقصيص فنسب إلى سقراط شعراً عربياً !! وكل
ما كتب عنه رواية عن حبيسه وموته . وهو مشوه مختلط .

ولم يفقه العرب معنى تهمة الثورة التي نسبت الى سقراط ولا
طريقة المحاكمة ولا تنفيذ الحكم ولا دفاع سقراط مع أنهم بدون
شك وقفوا على كتاب احتجاج سقراط على أهل أثينا تأليف
زينوفون Memorabilia وفي آخره دفاع سقراط وهو من
البلغ ما نطق به لسان وفيه أن ملتيوس وانيتوس وجها الى
سقراط تهمتين الاولى « عدم الاعتقاد بالهة المدينة ومحاولة
تهديس سواها وترويج عبادتها والتهمة الثانية افساد اخلاق
الشيوية » . وكان سقراط لا يريد الدفاع عن نفسه ولكن
هير موجونيس صديقه الحميم توسل اليه أن يدافع فدافع بعد
أن سمعت شهادة الشهود عليه وكلهم شهدوا زوراً بايعاز من
المدعى العام انيتوس وقد دحض سقراط التهمتين بطريقته
القياسية البديعة وكان في كل جملة يرغب انيتوس على التسليم بصحة
قوله ولكن الحكم كان مدوناً قبل سماع الدفاع والنية كانت
معقودة على اعدام هذا الحكيم قبل الجلوس على منصة الاحكام
فلم تقده حكمته وبلاغته ولكن مؤرخي العرب ذكروا أنه كان
لليونان ملك وأن هذا الملك تأمر مع القضاة الاחד عشر على قتل
سقراط خفية وأنهم سجنوه لهذه الغاية وأنهم اتفقوا على تقديم السم

اليه ليتقوا قتله علانية الى آخر ما جاء في كتبهم من تغيير الحقيقة
لعدم ادراك الانظمة الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في
اليونان ومن اهتمامهم بالقصص والاحاديث الطلية وانصرافهم
عن خلاصة الفكر الحقيقي وعلى الخصوص لاكتفائهم بالرواية
عن بعضهم فان ما نجده في كتاب تيجده في عشرة غيره مع
تحريف بسيط بحيث لا يدري الانسان أى المؤلفين نقل عن
غيره لانهم ساءحهم الله بأنقون ذكر المصادر وهم هم الذين
وضعوا علم مصطلح الحديث والفوا في صحة الاسناد وأسسوا
كتبهم على صدق الرواية وملاً واكتبهم باسماء الرواة مثل
كتاب الاغانى وكتاب العقد الفريد وغيرها. والذي يدهش
في بعض كتبهم عدم التحري فاننا نقلنا عنهم أن سقراط مات
بعد المئة مع أن الثابت عن زينفون أنه مات حوالى السبعين
من عمره .

هذا ما أردنا إirاده موجزاً عن سقراط وسنفيه حقه
من التاريخ والتمجيد عند نشر « جمهورية أفلاطن » التي
أخذنا في نقلها الى العربية من مدة طويلة وكلها على لسان
سقراط فسفر دله فصلاً قائماً بذاته نذكر به ما تشاق اليه

التوس من تاريخ أحكم الحكماء وأعظم الرجال وأسعدهم حظاً
على أننا لا نريد الانتقاص من قدر كتاب العرب فأننا
نجلهم ونعبد ذكركم لأنهم علينا وعلى الإنسانية فضلاً لا يقدر.
وكفانا اعترافاً بذلك أن كاتب هذه الأسطر قضى أكثر من
عشر سنين في درس تاريخ الفلسفة العربية وتدوين تراجم
حكماء العرب وتفصيل مبادئهم وقد نشر من ذلك الكتاب
تاريخ الكندي والفارابي وفلسفتيهما (راجع مقتطف يوليو ١٩٢٠)
ولكن الذي يغيظ المنقطع للدرس ما يلحقه من خيبة الأمل
بعد طول العناء فهنا نحن نقرأ كتاب عيون الأنباء ونبحث
ساعتين أو ثلاثاً فنجد شعراً جميلاً ونثراً بليغاً وسجعاً مرصعاً
ولا نجد تاريخاً ولا واقعة معينة ولا اسماً علماً يركن إليه. ونعثر
بنبذ طويلة منقولة بحذاقها من كتب أخرى بغير إشارة
إلى مصدرها. فإذا انتقلنا إلى غيره وجدنا مثل ذلك هذا
الذي يخرج الصدر ويهيج السخط وقد ذكر لنا الأستاذ
ساتيلانا أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية في الجامعة المصرية في
١٩١٢ أنه يقلب عشرين كتاباً ويقرأ مائة صفحة ولا يدون إلا
سطراً أو سطرين. على أن هذا لا يمنع الاعتراف بفضل كاتب

جليل قنع بذكر المبادئ الفلسفية وترك تفصيل التراجم
لغيره وهو الخالد المذكور أبو الفتح محمد الشهرستاني (نقول
وان أثن النسخ التي بين يدينا هي المطبوعة في لندن ١٨٤٢)
فيا حبذا !

لقد جئنا عن سقراط وفلسفته بالقدر الكافي ولخصنا
مبادئه التي كان يقولها ويلقنها لانه كان يأنف الكتابة والتدوين
وقلنا انه كان يعتقد بوجود الله ويقول عنه « اذا رجعنا الى
حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا النطق والعقل قاصرين عن
اكتناه وصفه وتحققه وتسميته وادراكه لان الحقائق كلها
من تلقاء جوهره » ويقول عن علم الله وقدرته وجوده وحكمته
انها بلا نهاية ولا يبلغ العقل أن يصفها ولو وصفها لكانت
متناهية ويقول انه حي وناطق من جوهره أي من ذاته
وحياتنا ونطقنا ليسا من جوهرنا ولهذا يتطرق الى حياتنا
ونطقنا العدم والدور والفساد ولا يتطرق ذلك الى حياته ونطقه
ومذهبه في أصول الاشياء ثلاثة العلة الفاعلة والعنصر
والصورة. وعن النفس الانسانية يقول سقراط كما أسلفنا أن
النفوس كانت موجودة قبل وجود الابدان اما متصلة بكلها

أو تمايزة بذواتها وخواصها فالتصلت بالابدان استكمالاً
واستدامة والابدان قواؤها وآلاتها فتبطل الابدان وترجع
النفوس إلى كليتها . أما النفس الناطقة فجوهر بسيط ذو سبع
قوى يتحرك بها حركة مفردة وحركات مختلفة فحركتها المفردة
نحو ذاتها ونحو العقل وحركتها المختلفة نحو الحواس الخمس .
وكانت له أقوال كثيرة في الحكمة بعضها ظاهر مفسر
بلفظه كقوله الذي ينسب إلى الامام علي « لا تكرهوا
أولادكم على آثاركم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » (الملل
والنحل ص ٢٨٢) ولا ندرى لماذا تلقينا هذه الحكمة في
المدارس منسوبة إلى الامام علي بتحريف بسيط فهل قالها الامام
علي واتخذها لنفسه أم رواها عنه معجب بحسن النية ولم ينسبها
إلى مصدرها ؟ أم هي كلمة من الحكم التي ينسبها كتاب العرب
إلى سقراط ولقيان وأرسطو وأدريس والامام علي ؟ ؟
وكان لسقراط أقوال كثيرة من قبيل الالغاز كان يستر وراءها
أغراضه وقد روى منها ابن أبي أصيبعة والقفطي والشهرستاني
وصاعد مقادير كثيرة فليرجع إليها من يشاء . وقال عنها

الشهرستاني أن سقراط ألقاها الى تلميذه ازخانس (يقصد
زينوفون) وان زينوفون أو ازخانس حلها في كتاب فاذن
(يقصد فيدون) فقول ان الذي بلغ اليه علمنا القاصر هو أن
ازخانس أو زينوفون لم يدون كتابا باسم فاذن وان الذي كتبه
هو أفلاطون وهو إحدى المجاورات الخمس وثلاثين التي
ذكرناها لدى الكلام على أفلاطون وأشخاصها ايشكرات
وفيدون ثم سقراط واپولودوروس وسيس وسيمياس وكرتون
وهي محاورة محكمة أما العبارات التي يزويها الشهرستاني فهي
نبذ مفككة كقوله « اسكت عن الضوضاء الذي في الهواء
وتكلم بالليالي حيث لا يكون أعشاش الخفافيش » .

نقول وبعد أن فرغنا من سقراط العظيم انتقلنا للكلام
على المذاهب الفلسفية التي تشعبت عن تعليمه وذكرنا أهل
مغارة نسبة الى بلدهم وأولهم اريستيب أو أرسطيفن المنسوب
الى بركة وهي إحدى المستعمرات الافريقية في أفريقيا وذكر
اسم بلدة قورينا معربا مباشرة من الاسم اليوناني سيرانيك
وقيل ان قورينا في القديم هي رفنية بالشام عند حمص ولذلك
يسمونه ارسطيفن الرفني . وكان أتباعه يعرفون بالقورينائيين

نسبة الى البلد ويعرف له العرب كتباً رياضية غير المبادئ، التي ذكرناها . وفرقة اريستيب قد سميت من اسم البلد الذي كان فيه الفيلسوف الذي يكتب اسمه اريستيب وأرسطيفن وأرسطيس .

ومن اتباع سقراط أيضاً فرقة ديوجين وتعرف بالكلية أو الكلاية وسبب تسميتهم في الحقيقة نسبة الى المكان الذي كانوا يجتمعون فيه ولكن العرب قد شرحوا ذلك بأنهم كانوا يزورن اطراح الفرائض المفترضة في المدن على الناس ومحبة أقاربهم وبنقض غيرهم من سائر الناس وقال القفطي بنير حياء ولا حرمة للحكمة « وإنما يوجد هذا الخلق في الكلاب » وكل هذا الخلط جاءه من التسمية ومن جهلة باللغة اليونانية فان مكان الاجتماع اسمه سينوسارج وكلمة سينو باليونانية معناها كلب فصارت نسبة الى كلمة سينو فسمو «سينيك» لا لان أخلاقهم تشبه أخلاق الكلاب فتأمل جهل القفطي وسوء الاستدلال وغرابة التعليل . ولما شعر القفطي عن ساعديه ليدوز فلسفة ديوجين واتباعه وزعيمهم اتستين وكلهم تلاميذ سقراط قال « كان أحدهم يتغوط غير مستتر عن الناس

وينكح في الطريق ويقبل الحسناء من النساء قدام الجمع .
فإن هذه السخائم والسخافات التي اخترعها الذهن المريض
لمناسبة تسمية أدي إليها الجهل من الحكمة العالية والتواضع
المعروف والقناعة النادرة التي بها ديوجين واتتستين . أيقال
هذا عن ديوجين وقد كان حكيماً فاضلاً متقشفاً لا يقنى شيئاً
وهو الذي استدعاه الملك الاسكندر إلى مجلسه يوماً فقال
للرسول قل له إن الذي يمنعك من المصير إلينا منعنا من المصير
إليك منعك عنى استعناؤك بسلطانك ومنعنى عنك استغنائى
بقناعتى . أيقال هذا أيها الققطي عن ديوجين وهو الذي سئل
عن العشق فقال سوء اختيار صادق نفساً فارغة (٢٢٣
شهرستانى)

ثم انتقلنا إلى اقليدس المغارى نسبة إلى بلدة مغارة أو
مخيار وقلنا أن أفلاطون فند آراءه فى « محاورة المغالظ » .
ثم تكلمنا على حياة أفلاطون بما ليس وراءه غاية على
قدر ما يطيقه مقتضى الحال . وهو أفلاطون الإلهي وآخر
المتقدمين الأوائل الأساطين وكان تلميذ سقراط ورأيه القول
بوجود محدث مبدع للعالم واجب بذاته عالم بجميع معلوماته .

وتكلمنا عن رأيه في العقليات والمعاني والصور ولحننا
الى نظريته في المثل فقد اثبت لكل موجود مشخص في العالم
الحسي مثالا موجودا غير مشخص في العالم العقلي ويسمي
ذلك المثل الافلاطونية وهي ترجمة لكلمة Prototypes
الافرنجية فالمبادئ الاول بسائط والمثل مبسوطات والاشخاص
مركبات فالانسان المركب المحسوس جزء من ذلك الانسان
المبسوط المعقول وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات
والمعادن والموجودات في هذا العالم آثار الموجودات في ذلك
العالم. وقال أن العالم عالمان عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور
الروحانية وعالم الحس وفيه الاشخاص الحسية والصور الجسمية
كالمرآة المحلوة التي تنطبع فيها صور المحسوسات فان الصور
فيها مثل الاشخاص كذلك العنصر في ذلك العالم مرآة لجميع
صور هذا العالم يتمثل فيه جميع الصور.

ويتفرع عن نظرية المثل الافلاطونية أن النفوس
الانسانية متصلة بالايديان اتصال تدير وتصرف وكانت
موجودة قبل الايدان ومن أقواله المأثورة «أن النفوس كانت
في سم تذكر معتبطة مبهجة بعالمها وما فيه من الروح والبهجة

والسرور فاهبطت الى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات وتستفيد
بما ليس بذاتها بواسطة القوي الحسية فسقطت ريشها قبل
الهبوط وأهبطت حتى يستوي ريشها وتطير الى عالمها باجذعة
مستفادة من هذا العالم « (١) ومما هو جدير بالذكر أن أفلاطون
يقول بالبعث والنشور والخلود والثواب والعقاب ويلحق هذا
كله بأفكار شعرية جميلة بعيدة المدى ولكنها غير منطبقة على
المنطق ولاجل هذا ضرب تلميذه أرسطو عرض الحائط بمعظم
آرائه في المني والصور والمثل والبعث والنفس ولكن فضل
أفلاطون على الحكمة لا ينكر ومن الغريب حرية فكره
وتمصيه فقد كان في جمهوريته يبيع أن يكون الملك والنساء
شائعة ولكنه يعاقب على الاتحاد بالسجن لمدة غير معينة وقد
نظم لمحاكمة الملحدين محكمة أقطع من محاكم التفتيش ولكن
(الله) سلم .

ثم انقلنا الى الكلام على أرسطو وهو اكبر عقل رآد العالم في

(١) هذا يذكرنا بقصيدة ابن سينا التي مطلعها

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
فليراجعها من يشاء .

الازمنة القديمة والحديثة بلا ريب وبه ابتدأت الفلسفة العلمية
واليه انتهت ومن كانوا قبله قد مهدوا له السبيل ومن جاءوا
بعده انما كانوا يا كلون من فئات مائتته وقد سموه المعلم الاول
لانه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة الى الفعل وحكمه
حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق الى المعاني
التي في الذهن نسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر
والمنطق ميزان لاذهان المتعلمين يرجعون اليه عند اشتباه
الصواب بالخطأ والحق بالباطل وقال عن النفس الانسانية
مخالفا افلاطون انها حدثت مع حدوث البدن لاقبله ولا بعده
وانها تهلك بهلاك البدن وانه ليس هناك ثواب ولا عقاب
ولا بعث ولا خلود وهذه الاقوال هي التي أدت الى تكفير
من قال بها من فلاسفة العرب الذين نقلوا حكيمته مثل ابن رشد
ويمكن القول بحق أن باب الفلسفة الحقيقية قد اغلق بعد ارسطو
لانه قال كل ما يمكن ان يقوله انسان

وقد طبع الشيخ السيد علي الطوبجي كتاب السعادة في
الاخلاق لابن مسكويه وفي آخره ملخص جليل لمؤلفات
ارسطو امرنا نقله برمته زيادة في النفع قال ابن مسكويه :

«إن الحكيم أرسطو هو الذي رتب الحكمة وصنفها وجعل لها نهجا يسلك من مبدأ وإلى نهاية كما ذكره بولس فيما كتبه إلى أنوشروان فإنه قال كانت الحكمة قبل هذا الحكيم متفرقة كتفرق سائر المنافع التي أبدعها الله تعالى وجعل الانتفاع بها موكولا إلى خيلة الناس وما أعطاهم من القوة على ذلك مثل الأدوية التي توجد متفرقة في البلاد والجبال فإذا جمعت وافت حصل منها دواء نافع وكذلك جمع أرسطو ما تفرق من الحكمة والف كل شيء إلى شكله ووضع موضع حتى استخرج منه شفاء تاما يداوى النفوس من اسقام الجهالة وكان من ترتيبه ذلك أن نظر في جزئي الحكمة أعني النظري والعملي فوجد النظري فيها إما أن يكون في الأشياء التي في مواد وأما في الأشياء التي ليست في مواد وكل واحد من هذين القسمين ينقسم أيضاً قسمين لأن الأشياء التي في مواد منها ما هو تحت الكون والفساد ومنها ما ليس تحت الكون والفساد والأشياء التي ليست في مواد منها ما هو منتزع في المواد ووجوده في الوهم ولا وجود له من خارج ومنها ما ليس بمنتزع من المواد بل له وجود في ذاته خارجاً عن الوهم فهذه الأربعة هي الأقسام الأولى التي ينقسم إليها الجزء

النظري ثم ان الامور التي في المواد منها ما هو مشترك لها كلها
ومنها ما هو خاص ببعضها منها ما يخص الاشياء السرمدية ومنها
ما يخص الاشياء الكونية وما يخص الكونية منها ما هو
مشترك لها كلها ومنها ما يخص بعضها وما يخص بعضها منها ما
يخص الاشياء التي فوق الارض ومنها ما يخص الاشياء التي
في الارض وما يخص التي في الارض منها ما يخص الاشياء
التي لا تقوس بها ومنها ما يخص الاشياء التي لها تقوس وما
يخص الاشياء التي لها تقوس منها ما يخص ذوات الحس ومنها
لا حس له (١) فصنف ارسطو في كل قسم من هذه الاقسام هذه
الاشياء كتابا فاشتملت كتبه على جميع ماسطرفيه حسا عقلا ولم
يفته شيء، ولما كانت عنايته مصروفة الى تصحيح الارادة في
هذه الامور كلها واعطاء اليقين والاقناعات الكافية فيها وان
يسلم من الخطأ والغلط في المعقولات اضطر الى أن يبحث عن
مراتب الاقناعات وينظر في الاشياء التي لا يمكن أن يغلط
فيها ولا يأمن أن يقع في باطل يظنه حقا ويعتقد في حق أنه

(١) راجع كتاب السعادة تأليف ابن مسكويه طبع سنة ١٩١٢

الذي ذكرناه في صحيفة ١٦٧ .

باطل ما هي مراتب هذه ايضا وجعل لها صناعة وقوانين يوقف
بها على مراتب هذه الامور ومنازلها من اليقين وغيره ليسدد
الإنسان طريق الصواب في كل مطلوب لئلا يجرى في الحكمة
جرى اصحاب المذاهب في التخيل والأهواء فان هؤلاء
غلطوا وهم لا يشعرون وربما شعروا وانتقلوا عن رأي الى رأي
ولا يأمنون أن يسخ لهم في الرأي الثاني ما كان سخ في الاول
فهم ابدلاً ما على غلط وامافى شك وحيرة فاذا عرف الانسان
الاشياء التي من شأنها ان يغلط فيها تحرز منها وتيقن فيما انه
قد صادف فيه الحق ولم يغلط فان تخيل له في شيء انه يسهو
فيه رجع الى قوانين الصناعة فلم للوقت بموضع غلط ان كان
فتلافاد بسهولة ويمكنه مع ذلك أن يصحح ذلك الرأي لنفسه
ولغيره فان بدله وتبينه له وهذه صناعة المنطق واقرب مثال
اجدها في الصناعات العروضة والنحو فان كل واحد منها
يناسب المنطق بوجه وذلك أن هاهنا اوزان من الشرر صحيحة
وربما غلط فيها ولم يكن صاحب صناعة فظنها مكسورة وربما
ظن بالمكسور منها أنها صحيحة واذا رجع الى القانون الصناعي
عرف موضع الشك وقدر على ما يجب وتيقن بموضع الغلط

ان كان واصلاح ماسها فيه ويناسبه ايضا صناعة النحو بوجه
آخر وذلك أن نسبة صناعة النحو الى الالفاظ كنسبة صناعة
المنطق الى المعاني وكما أن النحو يسدد اللسان نحو صواب
القول ويعطي القوانين التي يعرف بها الاعراب فكذلك
المنطق يسدد الذهن نحو صواب المعاني ويعطي القوانين التي
تعرف بها الحقائق وكما أن النحوى وان كان غرضه اصلاح
الالفاظ فانه ينظر ايضا في المعاني ليصحح بها المعاني والنحوى
ينظر في الالفاظ بالذات وبالقصد الاول وينظر في المعاني
بالعرض وبالقصد الثانى والمنطق ينظر في المعاني بالذات وبالقصد
الاول وينظر في الالفاظ بالعرض وبالقصد الثانى فقد تبين
غرض الحكيم فى صناعة المنطق وان من جهل هذه الصناعة
عرض له بالضرورة انه لا يقف على صواب من اصاب كيف
اصاب ومن أى جهة اصاب ولا على سهو من سها أو غلط
كيف وفى أين سها أو غلط وتحير فى الآراء فمنها ما يصححه
من غير ثقة ومنها ما يزيفه بغير بصيرة ومنها ما يتوقف فيه
لا يدري بماذا يحكم له ثم لا يأمن فيما صححه اليوم أن يرد عليه
فى غد ما ينقضه عليه وتشكك فيه وفيما زيفه أن يصح عندد فى

وقت آخر فينظر فيها هو عنده صحيح انه يجوز أن يفسد وفيما هو فاسد انه يجوز أن يصح وعسى أن يرجع الى ضد ما هو عليه في الأمرين جميعاً أما لخاطر يرد عليه من نفسه عن اعتقاده الاول وأما برأى غيره فاذا غرض من يدعى الكمال في العلم والثقافة بالجدل ويصيره يراعه لم يكن عنده ما يعتج به وأما أن يحسن الظن به فيقبله وأما أن يتهمه فيرده وليس يخلو في حاله من أشياء ترد على عقله فيوجهه في شيء أنه حق وفي آخر أنه باطل والمنطق يدل على هذه المواضع ويصحح له الصحيح ويعلمه لم صار صحيحاً وزيف الباطل ويريه أنه لم صار باطلاً فنحن مضطرون الى تصحيح المعاني في أنفسنا بقوانين صناعية تنقي بما يحوطنا من الغلط والى تصحيح الالفاظ التي تدل بالمواطاة على تلك المعاني لئلا يعترض لغيرنا ما يغلطه فيها فكلا هذين يسمى صناعة المنطق إلا أن أحدهما ينظر فيه بالذات والآخر بالعرض كما بينا ولما تأمل ارسطو مراتب اقناعات النفس وأراد أن يرتبها ويجعل لها قانوناً صناعياً ليتوصل بها الى حقائق الاشياء قسم ذلك كما قسم العلوم التي تقدم شرحنا لها (١) ونظر فاذا أنواع

(١) كتاب السعادة تأليف ابن مسكويه طبع بمصر سنة ١٩١٧

وهو الذي ذكرناه في صحيفة ١٦٧ .

القياسات والاقاويل يلتمس بها تصحيح رأى ويتوصل بها الى حقيقة مطلوب أما عند أنفسنا وأما عند غيرنا تنقسم الى ثلاثة أقسام اما أن يكون صدقا كلها وبقينا لا شبهة فيها وأما أن يكون كذبا كلها وشكوكا وأما أن تكون صادقة في البعض وكاذبة في البعض الآخر وهذا النوع الأخير ينقسم ثلاثة أقسام اما أن يكون صدقه أكثر من كذبه وأما أن يكون كذبه أكثر من صدقه وأما أن يتساوى فيه الأمران فصار جميع أنواع القياسات خمسة يقينية وظنوية ومغلطة ومقنعة وتخيلة فصنف لكل واحد من هذه الأقسام كتابا وعلم تناول هذه الطريقة بقوانين لا يمكن أحد أن يؤدي الاخلاف جوهر الشيء المطلوب ولا يمكن أحد أن يرجع عنه ولا يقع فيه تهمة ولا شك وسماه كتاب البرهان وأما القياس الذي هو كذب كله فهو ما يخيّل في الشيء أنه على صورة وليس هو عليها بالحقيقة ومثاله ما يعرض للعين عند النظر الى المحسوس وربما تخيل الإنسان في الشيء، خيالا فاسدا ثم يبادر الى العمل بما يقتضيه ذلك الخيال فتجنىء الأفعال رديئة قبيحة فصنف فيه كتابا دل على وجوه هذه التخيلات من أن يقع وكيف

يقع وسماه كتاب الشعراء والصناعة الشعرية وأما الذي صدقه
أكثر من كذبه فهو ما توجد قياساته من أشياء مشهورة ليست
ذاتية ولا جوهرية للمطلوب ولا بها قوامه فيلتبس الإنسان
ابداً بظن قوى أمانه نفسه وأمانه غيره حتى يقع له وإن لم
يكن يقينا فصنف فيه كتاباً ودل على وجوه هذه الظنون وأنه
تصدق ومن أين وكيف وأنها تكذب ومن أين وكيف وسماه
الجدل والصناعة الجدلية وأما الذي كذبه أكثر من صدقه فهو
الذي يغلط فيتوهم فيما ليس بحق أنه حق وفيمن ليس بهالم أنه
عالم وهذا الغلط يكون على وجوه وعلى ضروب فصنف
كتاباً دل فيه على وجوه التليسات والتمويهات والأغاليط
كيف تقع ومن أين وسماه صناعة السوفسطائية وهي الحكمة
في اللغة اليونانية مشتقة من سوف وهو الحكمة ومن أ-طيس
وهو التليس والتمويه فكان معناه الحكمة المموهة وكل من
كان قادراً على التليس والتمويه أضاف نفسه بأن يوهم أنه حكيم
وليس بحكيم فهو سوفسطائي وليس كما يظنه معلو الإسلام
أنه كان في الزمن القديم رجل يقال له سوفسطا وكان يدفع حقائق
الموجودات وأنه له شيعة يتصرون مذهبه ويسمون به فإن هذا

حان لأصل له ولم يكن قط رجل فيما سلف يقال له سوفسطا ولا
سمى به أحد ولا تصر هذا الرأي قوم بأعيانهم وإنما ينسب إلى
صناعة الجدل فيقال جدلي ليس أن هناك رجلا يقال له جدل وأما
الذي كذبه مساو لصدقه فهو الذي يلتمس به اقناع ما في أي
رأي كان وأن يسكن السامع إلى ما يقال له ويصدق به تصديقاً
وهو دون الظن القوي فصنف فيه كتابا يدل فيه على وجود هذه
الاقناعات ومن أين وكيف تقع وسماه كتاب الخطابة وهذه هي
الكتب الخمسة المنطقية لكن أرسطو لما نظر في القياس وجد منه
ما هو مشترك بهذه الفنون ومنها ما هو خاص كل واحد منها
فعمل للقياس الأول العام المشترك لجميع الصناعات الخمس كتابا
سماه كتاب القياس وهذا الكتاب يوجد في النقل القديم أحدهما
كتاب القياس والآخر كتاب البرهان وهو باليونانية أنولوطيقا
الأولى وأنولوطيقا الثانية ثم نظر في القياس فإذا هو مركب
من ألفاظ ومعاني وأقل الاقويل القياسية ما كان مركبا من
لفظتين لفظتين وأقل المعاني القياسية ما كان من معولين
معولين وأكثرها غير محدود وهذه الاقويل المركبة من
لفظتين أجزاؤها ألفاظ مفردة لا محالة فبالضرورة انقسمت

له الصناعة الاثمانية أقسام ذلك على طريق التحليل فلما سلكه على طريق التركيب بدأ بالألفاظ المفردة الدالة على أجناس المعاني المفردة فعمل فيها كتابا وحصر هذه الألفاظ في عشرة أجناس من المعاني ثم قسم كل واحد فيها إلى أنواعها وسماه كتاب المقولات وهو المعروف بكتاب قاطينورياس ثم تلى بكتاب ذكر فيه الأقاويل المركبة وسماه كتاب بارمينياس أي العبارة وثالث بكتاب القياس الذي ذكرناه فعلم فيه قوانين الأقاويل التي يبين بها القياسات المشتركة للصناعات الخمس وسماه أنولوطيقا الأولى وربع بالكتاب الذي سماه البرهان وهو أنولوطيقا الثانية فعلم فيه قوانين القياسات التي لا تفلظ ولا يمكن فيها ذلك وهي اليقينية وخمس بكتاب ذكر فيه قوانين القياسات المأخوذة من الأمور المشهورة وكيف يكون السؤال أو الجواب على هذه الطريقة وعلم فيه القوانين التي تتم هذه الصناعة على أفضل وأكمل ما يمكن وسماه طوبقا وهو كتاب الجدل وسدس بالكتاب الذي ذكر فيه قوانين هذه الأشياء التي يفلظ عن الحق وغيره وأحضر الأمور التي يقصدها المموه وبين الأشياء التي تظهر فسادها وكيف يتحرز منها وسماه

سوفسطيقا أى الحكمة الموهبة وسبع بكتاب ذكر فيه قوانين
الاشياء المقنعة بالخطاب واحصى جميع ما يتم به هذه الصناعة
ليكون الانسان فيها اكمل واتقذ وشاهريطوريقا وثمان بكتاب
ذكر فيه قوانين الالفاظ المخيلة واحصى جميع ما يتم به هذه
الصناعة وقسمها إلى انواعها واصنافها وسماه بويطيقا أى الشعر
لتم هذا الصناعة على هذه الاقسام وكان غرضه الاول فيها القياس
البرهاني ولكن اوجبت القسمة والترتيب ما ذكرناه وايضاً
فان الاشياء التى تعرف بطريق البرهان يسيرة بالاضافة الى
ما يعرف بالقياسات الاخر فواجب ان يرتبها ويسلم طرقها
وايضاً فان بعضها طرق البرهان وبعضها تحميه وتذب عنه أما
الثلاثة التى فى اوائل الصناعة فهي التى تؤدى اليه الاربعة
الاخيرة هى التى يحامى عليه لثلا يشتبه به مالميس منه واشرف
هذه الكتب كتاب البرهان لانه المقصود الاول فوقه فى
القسم الرابع بالضرورة كما ذكرنا فيما سلف وباقي الكتب انما
عملت اما مداخل اليه وتوطئات له واما حامية عنه اما الثلاثة
التي تقدمه فهي المداخل واما الاربعة التى بعده فهي التى تحرزه

وتتميزه وتحميه من الطرق التي يوهم أنها تؤدي الى ما يؤدي اليه
هو ومع ذلك اذا قصد الانسان أن يكون مجادلا قويا أو
خطيبا مصقعا أو شاعرا مفلقا نحو ما يلتسمه واقتنى من الكتب
الذي صنف فيه قوانين الصناعة ليصير بها في اعلى درجة منه
وارفع رتبة فيه وان اقتصر انسان على الكتب الاربعة كفاه
ذلك في تعلم الحكمة وقراءة الكتب بعدها وهي الكتب التي
عددناها وشرحنا قسمة الحكيم لها فبدأ منها بالكتب التي من
ذوات المواد وهي من الامور الطبيعية وآخر الكتب التي في
الامور المجردة في المواد اذ الطبيعية محسوسة لنا وهي الينا
اقرب ونحن لها آلف وبها اعرف ومنها يمكننا الترقى الى ما
بعدها فصنف فيه كتابا ذكر فيه الامور المشتركة لجميع الاشياء
الطبيعية ما كان منها تحت الكون وما ليس تحت الكون وسماه
السماع الطبيعي وصنف كتابا فيما يخص الاشياء التي ليست
تحت الكون وسماه كتاب السماء ثم قسم الاشياء التي تحت
الكون فعمل كتابا فيما هو مشترك للاشياء ذوات الكون
كلها وسماه كتاب الكون والفساد وعمل كتابا فيما يختص في
الارض مما له نفس ولا حواس له وسماه كتاب النبات وكتابا

فما يختص بذوات النفوس وله حواس وسماه كتاب الحيوان
ولما اراد أن يرتقى في الطبيعيات وهي الامور ذوات المواد
الى الامور التي لامواد لها وجددين هاتين المنزلتين امورا لها
شركة في الطبيعية وشركة فيما بعد الطبيعية فعمل فيها كتابه في
النفس وكتابه في الحس والمحسوس ثم عمل فيها بعد الطبيعة
كتبه التي رسم عليها الحروف وهي المعروفة بالالف باء وما
بعدها فمنها ما نقل الى العربية ومنها ما لم ينقل الا أن فيما نقل
غنى كثيرا وكفاية تامة ولما عمل في الجزء النظري
هذه الاعمال العظام ونظمها هذا النظام كل ايضا في
الجزء العملي هذا العمل بعينه وذلك انه قسم الى ما هو
خاص بالانسان في نفسه والى ما هو خاص بما كان خارجا عنه
وهذا الثاني ينقسم الى قسمين أحدهما تدبير المنزل والآخر
تدبير المدن فعمل في كل واحد كتابا أما في ما يختص الانسان
بذاته فكتابه في الاخلاق وهو كتاب عظيم جدا كثير المن
يعلم كيف يكتب الانسان هبة فاضلة وسجية محمودة يصدر
الافعال الجميلة والاعمال المرضية وأما كتبه في تدبير المدن
والمدن فلم ينقل الى العربية الا ما وجد من كتابه في تد

المدن وهو مقالنا وقد ذكرت في فهرست كتبه وله بعد هذه الكتب رسائل وكتب سبأها التذاكير وهي كثيرة على ما يذكر ويحكي في فهرست مصنفاته وله كتب في التعاليم ولم ينقل منها شيء إلا أن في النظام الذي خرج إلى العربية والترتيب الذي رتبته غنى عظيما وراحة تامة لمن أحب أن يكمل ذاته ويتوجه إلى مقصده ليصل إليه بسرعة فاما مقدار الزمان الذي يفرض لمن أراد تعلم الحكمة على ما رتبته هذا الحكيم المحسن إلينا المنعم علينا فعلى مقدار عنايته واهتمامه ومعونات الاتفاق إياه أعني بها أن يكون ذكيا حفوظا واجدا للكتب والاستاذ الفاضل والكفاية في المعيشة لئلا يشتغل بها عما يقصد فزوال العائقات التي لا يحتسبها الإنسان في عوارض الدنيا وهمومها وأمراض النفس والبدن واجتماعهما وحذر العوام مرة والسلطان أخرى ومراقبة أهل البلد فان الناس كما يقول القائل أعداء ما جهلوا ومن شأنهم الوقعة في أهل الفضل ومعاداة كل من خالفهم في مذاهبهم وأغراضهم وقصد بكل مكروه وأذى (١) فاذا

(١) تعد هذه التبعة من أبلغ وأحكم وأصدق ما كتبه حكيم في وسائل تحصيل العلم وهي تصدق على كل الناس في كل زمان ومكان

لم من هذه العوارض وكانت القرينة والأسباب التي ذكرناها
مجتمة له فما أقرب وصوله إلى بغيته وراحتته من تعب أبناء
جنسه وظفره بالكنوز التي زخرت ومدة ذلك على التقريب ما بين
عشرين إلى عشرين سنة وهذا إذا شغلت الدنيا بعض الشغل
فانه لا يجوز أن يظن بأنسان أنه يفرد وينكمش على العلم ولا
يجمال لبذنه راحة ولنفسه حظاً من اللذات فيما يحسن ويجمل
ولو تعاطى ذلك لخسره أو انقطع دون غايته وقد رأى بعض
أصحاب أرسطو ومدرسي كتبه أن يتدبى المعلم لها بكتب
الأخلاق (١) لتتهذب نفسه وتصفو من كدر الشهوات ويخفف
عنها انفعال عوارضها فتتمكن من قبول الحكمة ويعترف بعض
الاعتراف بترك الاهتمام في الشهوات وهجران الملاذ الجسمية
ويعلم أن أكثرها خيالات ورذائل فيتزهد عنها ثم ينظر في شيء
من التعاليم ليعرف طريق البرهان ويتدرب بها ويأنس بطرقها
ويترك الإيغال فيها إلى وقت آخر فإن بين يديه غرضاً بعيد
وشوطاً بطيئاً ثم ينظر في المنطق الذي هو آلة في جميع ما يقصد
(١) قال هذا ابن مسكويه لأنه حكيم أخلاقي راجع كتابه
(تهذيب الأخلاق) وبحقيقة الراجب هو الابتداء بالمنطق

يمكن» انتهى كلام ابن مسكويه في كتاب السعادة

*
**

توفي أرسطو أو أرسطو في ٣٢٢ ق . م . وبوفاة انقطع
حب الفلسفة وارتج باب الحكمة. ولدى موته كان زينون مؤسس
الفلسفة الرواقية في الرابعة عشرة من عمره لانه ولد كما أسلفنا
في ٣٣٦ .

وقد تلقى العلم على أتباع السكلايين واختار من مذهبهم
حب الطبيعة والدعوة الى العودة الى رحابها والاقتداء بها
والاستسلام الى أنظمتها وكان زينون مفكراً عميقاً ولوانه وجد
قبل أرسطو وأفلاطون لكان له شأن يذكر لكن ظهوره
بعد هذين الحكمين يقلل كثيراً من قدره .

ومن دلائل فطنته وعلو كعبه متعارضته لآراء الحكميين
في الروحانيات ودحضه ذلك وقوله ان سائر الاشياء مكونة
من عنصر واحد وهو الجسم أو الكيان المادى الظاهر .
وهذا رجوع الى المادية الاولى وإحياء لطبيعات هيراقليط
وقال ان العالم والسماء من حين الى حين يهلكان ثم يتجددان
واستعار من اتباع فيثاغورس القول بأن التاريخ يعيد نفسه .

ثم ينظر في الطبيعيات وما بعدها على الترتيب الذي تقدم فاذا وصل الانسان الى المرتبة الاخيرة اطلع على حقائق الموجودات وزلها منازلها وتصورت نفسه بها فاذا تصورت النفس بحقائق الامور عقلا عقلا تاما فاذا عقلا تصور بالصور العقلية وزالت عنه رسوم الاعراض التي في الامور الطبيعية أعني الاشياء الدائرة وخصائص صور الاشياء العقلية السرمدية وانحدر بها العقل فصارت هي وهوشيثا واحداً ومن شأن العقل أن يصير جزؤه كلا كما يتبين ذلك له اذا وصل اليه فاذا فارقت نفسه بدنه انتقل الى الوجود الثاني (١) الذي هو غايته الاخيرة وكاله الاقصى وهذه الحالة عسرة التصور جداً بعيدة فيما نشاهده ونعتاده ولا يمكن النطق بها ولا يسمعها الا بالطريق الذي يصل اليه من سلكه على الجادة التي ينهاها واذا مثلت بالامثال المحكية لها بما اعتدناه وألقناه عرضت في الامثلة مناقضات ومحالات لاجل أن المثل ليس من الممثل في شيء فلذلك عدل عن ذكره وقد عملت فيه على كل حال كل ما اجتهدت فيه أن يلوح منه أجلى ما

(١) هذا ما لم يقل به ارسطو من انتقال النفس الى الوجود الثاني بل قال بهلاك النفس بعد الموت أي أنه لم يقل بالخلود .

وهذه نظرية استعارها فرديك نيتشة وسبكها في قالب جديد ولم ينسبها الى صاحبها . وينشأ عن القول بأن التاريخ يعيد نفسه التسليم بالقضاء والقدر بأكمل معنى لانه ما دام تكرير الحوادث على نسق واحد معين أمراً محتملاً فكل حوادث الحياة اذاً لا بد واقعة كما سبق تنظيمها بإرادة الأقدار وفي هذا المبدأ ما انتحلته بعض الأديان وسارت عليه مستسلمة «مسلمة أمرها لمن يده الامر» . وسنرى بمديرهه تأثير فلسفة الرواقين في الأديان . فان مذهباً أساسه الاعتراف بكون الانسان مسيراً لا مخيراً لا بد أن يجد قبولاً لدى أرباب الأديان وأنصارها والمتكلمين عليها . أما رأى زينون في الالهيات فظاهر انه مادي لانه يقول بأن الله «جسم» يملأ الكون كله ويعت فيه القوة والحياة ومثل انتشار الدسم في وعاء اللبن الذي يضربه المتصوفون لتقريب معنى وجود الله في الكون أمر معلوم . ولم يكن ليخفف وقع هذا الاستسلام الفلسفي الا القول بأن العالم مخلوق بمتهى الكمال والخير وان غايته سعادة المخلوقات وخيرها . وقد انتحل هذا رأى لينتز بعد الرواقين بعشرين قرناً . وروى عنه الشهرستاني (ص ٢٩٢)

ان العوالم تتجدد في كل حين ودهر وما كان منها مشا كلا
لنا أدركنا حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل وما كان
غير مشا كل لنا لم ندركه وقال ان الموجودات باقية دائرة فاما
بقاؤها فتجدد صورها وأما دثورها فيدثور الصورة الاولى
عند عدد الاخرى . اهـ . كلام الشهرستاني .

بحأمانسبتهم الى الرواق فلان زينون اتخذ مدرسته في رواق
مد هون بالالوان اسمه باليونانية Stoa Poikile كما تسمى
بلامتد أفلاطون بالمشائين نسبة الى مكان مدرستهم . وصار
اسم الرواقين علما على الاستخفاف بالآلام وعدم الاكتراث
للذة والاذى وقد سارت هذه الكلمة وصفا في كل اللغات
الافرنجية على تحمل الالم فيقال « تحمل الشدائد بشجاعة
رواقية » ولا أعرف لهذا الموصف استعمالا في اللغة العربية
وقد رويت عن زينون أقوال تدل على تلك الحال النفسية التي
مصدرها الاستسلام للقضاء والقدر . قيل له اذا مت من
يدفناك قال من يؤذيه تن جيفتي . ونمي اليه ابنته فقال فاذهب
ذلك علي انما ولدت ولدا يموت وما ولدت ولدا لا يموت .
وقال محبة المال وتد الشر (ويكاد هذا يكون رأيا مسيحيا) .

وكانت مبادئ الرواقين تعارض مذهب ابيقور عابد
الذئابة. قلت ان فلسفة الرواقين قالت حظوة الاديان وضربنا
مثلا بالتوكل والاستسلام . ولكن ذلك لم يكن الوجه الوحيد
الذي جمع بين الرواقية والاديان انما هناك رابطة أخرى وهي
ان زينواستعار من هيراقليط الاسم الذي وضعه علما على الله
وهي logos اولوغوس ومعناها الكلمة وكان زينو يقول أن
المبدع الاول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر وصورة
دور كل جوهر فان علمه غير متناه والصور التي فيه من حد
الابداع غير متناهية وكذلك صور الدور غير متناهية فكان
زينون يقول بازدواج المبدع الاول وظهور ذلك في العقل الخالق
أو الفعال وفي المادة القابلة للتشكيل . اما كلمة logos اليونانية
فمعناها الكلمة. ولذا جاء في الاصحاح الاول من انجيل يوحنا:
« في البدء كانت الكلمة (لوجوس) والكلمة كان عنده الله
وكان الكلمة الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان
فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » ! فتأمل كيف ان
رأى هيراقليط ورأى زينوا اتفاقا بعد عدة قرون مع الكتب
المنزلة المقدسة وقد قرر هذا الرأي ووضحه المؤرخ العالم

و . بن في كتابه تاريخ الفلسفة القديمة ص ١١٤

نقول ويبدو زينون جاء كليات وكان شديد التدين
ونظم صلاة نقلنا معظمها الى العربية في عرض الكلام عليه وقد
أدى به تشدده في الدين الى التعصب الاعمى فامر بقتل
ارستارخوس العالم الطبيعي لقوله بدورات الارض حول
الشمس وحدث مثل هذا بعد مئات السنين على أيدي رجال
الدين لجاليليه وسيرفيه وبرونو وغيرهم كثيرون وجاء بعده
خريستوس وعاش عيشة الحكماء وبسط الفكر الفلسفي جهده
طاقته

ثم ان المذهب الرواقى اشتهر وانتحلّه الرومان الذين
الذين تغلبوا على اليونان وظهر ثلاثة فطاحل لهذا المذهب هم
سينكا ومارك اوريل وايبكت

أما سينكا فقد درست تاريخ حياته ومبادئه منذ كنت اعد
المواد لرواية نيرون التي مثلت في القاهرة في عام ١٩١٩ واظن
أن ابلغ واوفى ما كتب عنه ماورد في كتاب تاسيت وسويتون
المؤرخين الرومانيين والمعلوم من حياته انه نفي من رومة على
عهد كلوديوس الى أن رده ايجريدينا الى وطنه بعد أن قتلت

زوجها كلوديوس بالسم ووكلت اليه أمر تربية ولدها نيرون
وكانت رزقت به (ورزئت به الدنيا) من زوجها الاول
اينوباربوس وكان سنكا صديقاً حميماً للقائد بوروس الذي
شاركة في تدريب العاتية العشوم وهو في صباه . ويظهر أن
سنكا كان سياسياً أكثر منه حكماً فقد اشترك في كل المؤامرات
التي تمت في قصر نيرون له وعليه وأهمه نيرون أخيراً بالاشتراك
في مؤامرة غايتها خلع نيرون وتولية سنكا مكانه ولم يشأ نيرون
أن يقتل سنكا جهاراً فاكتمى بأن امره بقتل نفسه ففعل . وجاء
في تاريخ تاسيت عن موته في الجزء الاول صحيفة ٥٠٢ ما يأتي :-
« لما بعث اليه نيرون بالجند مزودين بأمر الانتحار قال
لأصحابه الذين كانوا حوله ترون أيها الرفاق عجزى عن
شكركم انني أترك تاريخ حياتي نموذجاً لتسجون على منواله
وهو آمن ما لدى فاعتزوا به . لقد حاولت ان أكون مثال
الفضيلة والصداقة والاخلاص . فبكي الحاضرون وهموا بتقبيله
فقال لهم أين مبادئ الفلسفة وأين تعاليم الحكمة . ألم تتعلموا
بعد كيف تلقون المصائب بصدر رحب وعزم ثابت وتقس
مطمئنة هل كانت قسوة نيرون مجهولة لديكم ؟ لقد قتل أمه

وأخاه (ونسى الحكيم ان نيرون اشترك مع أمه أجريين
 وآخرين في قتل زوج أمه كلوديوس وكانت هذه فاتحة عهد
 المذابح) ولم يبق له الا أن يقضى على استاذه ومشيره. ثم ضم
 زوجته الى صدره وقبلها قبلة الوداع ثم أمر ففتحت شرايينه
 فلم تخطر دماغاً فاعدوا له جرعة من الساج (مثل النى شربها
 سقراط) فقال وهو فى النزع واقرحتاه اننى أموس بالكأس
 التى مات بها سقراط وأمر خدمه فنقلوه الى حمام البخار فأخذ
 يرش ارقاءه بالماء ويقول ها أنا اتوضأ اكراما للمشتري الهى
 ومنقذى من آلام الحياة . » اه كلام تاسيت

وهذه النبذة الجميلة البليغة التى نقلناها عن تاسيت (وهو
 فى نظرى أعظم مؤرخى الرومان وأعظم مؤرخى الاقدمين
 ماعدا هيرودوت وبلوطارخ وهما فى صفه) تعطينا صورة ناطقة
 لموت سنيكا ولكنها تدل على معنى المذهب الرواقى كقوله
 « أين تعاليم الحكمة ألم تعلموا كيف تقابلون المصائب بصدر
 رحب وعزم ثابت ونفس مطمئنة » .

وكان سنيكا اسبانيا (أى من أبناء المستعمرات بالنسبة
 للرومان) ولد فى العام الثالث للمسيح ومات فى سنة ٦٥ ب.م.

على دين آباءه وأجداده . ونحن لا نريد الانتقاص من قدره
بقولنا أنه كان دساسا أكثر منه حكيما ولكن يظهر أن حياته
السياسية اقتضت اغفال الحكمة والتضحية بها في سبيل مظاهر
الحياة وحب النفوذ حتى أنه حاول في نهاية أمره أن يكون
قيصر أوروبا ومانيا وهذه الفكرة الجنونية لم تخطر ببال أحد من
الحكام .

أما إيبقت أو إيبكت ومعناه « المشتري بالمال » وليس
هذا علما ولكنه يشبه اسم « عبد الخير » في عرفنا لما كان الرقيق
مباحا . هذا الحكيم المسكين الذي لم يستفد من الدنيا شيئا حتى
ولا اسما يعرف به غير وصف الرق والابتاع كان رقيقا لرجل
من أخبت الناس وأرذلهم وأقبحهم ذكرا في التاريخ وهو
المعتوق ايبافرو ديت وقد درسنا حاله أيضا في كتاب تاسيت
وكان ايبافرو ديت هذا رقيق نيرون وصحبه طول حياته
وسهل له كل الجرائم حتى جريمة الانتحار التي قضى بها على
نفسه . فتأمل أيها القارئ اللبيب كيف أن بلاط نيرون أعظم
الظالمين وأشد الطغاة بغيا خرج فيلسوفين معروفين هما سنيكا
وايبقت . وكان المسكين أعرج ولعل عرجه نتيجة ضربة من

ايافرو ديت اللعين . وقد دفع به الظلم والاذى الى ان
يلتمس تقريرا لكروبه في درس الفلسفة الرواقية التي تعلم
احتمال المصائب ولقاءها بصدر رحب . وبلغ منها الغاية فصار
شبه أستاذ الى أن طرده دوميثيان الامبراطور في سنة ٩٠ ب.م.
مع جميع الفلاسفة لانهم ضايقوه بمبادئهم التي تقاوم ظلمه
(العنوي يا صاحب الجلالة) فلجأ الى نيكوبوليس وأخذ يعلم
الحكمة وهو في غاية الفقر ولكنه بعد موته لم يعدم غنيا متروسا
مجا للظهور اشترى مصباحه الذي كان مصنوعا من الفخار
(مسرجة) بثلاثة آلاف دراخم (نحو ثلاثة آلاف فرنك)
كما يصنع أغنياء الامريكان لعهدها في اقتناص آثار العظماء وكان
الحكيم الاعرج المريض الفقير أولى بها يقوم أوده في حياته .
ولم يدون شيئا ولكن تلميذه فلافيوس اريانوس كتب عنه
كل مبادئه في كتابين رأينا لهما ترجمة انجليزية في ستة أجزاء
بقلم اليزابت كارتر . وخلاصة فلسفته استسلام الانسان للالم
وتوطيد النفس عليه وقوله بأن ارادة الانسان فوق كل شيء
وهي التي تؤدي الى سائر الاعمال وان جميع الناس أبناء الله
والمثل الاعلى للحكمة في نظره سقراط ودوجين الكلابي .

أقول وأول ما علمت شيئاً عن ابيقت ما قرأته من الحكم
والمواعظ التي اقتبسها چون لوبوك وزين بها كتبه « سمادة
الحياة » و « منافع الحياة » حتى يمكن القول بأن چون لوبوك
كان تلميذاً لا يبت في العصر الحديث و ابيقت واضح مثل
« احتمل واصفح » وفيه ما فيه من نصائح المسيحية المكرمة .
وإذا صح ظني كان تولستوي من أتباع ابيقت وبالجملة كانت
فلسفته فلسفة استسلام وعدم مقابلة الشر بالشر وتعميم الحب .
ولم أر أحداً من حكماء العرب أو كتابه قد اعتنى بأراء هذا
الحكيم الذي لا يشبهه في حكمته وشقائه الا ايثوب الذي
كان رقيقاً وفيلسوفاً وكتابه العيون اليواقظ الذي اتحل
معظمه لافوتين ونقله محمد عثمان جلال نظام معروف ومتداول .
أما مارك اوريل الذي عاش ومات في القرن الثاني للمسيح
فكان قيصرًا حكيمًا وقد شبهناه بالقدّيس لويس والملك ارتور
الانجيزي . وفي التشبيهين مبالغة لان ارتور كان متدينًا جدًا .
ولويس كان مجاهدًا في سبيل دينه أما مارك اوريل فقد كان
حكيمًا بحق وقد أنشأ أبوه علي الحياة البسيطة واحتقار زخارف
الحياة وعلمه تحمل الشدائد واختار له أفضل الاساتذة .

ولما تمين قنصلاً فأمبراطوراً حارب للدفاع عن مملكته
وكان قائداً قديراً ومكلاً بالفوز حسن الإدارة في ملكه واتباع
الحكمة في الابتعاد عن أنواع الفساد . ونشر العدل في بقاع
الأرض . وسن القوانين لحماية الضعاف وتحفيف مصائب
الأرقاء وعين ذاته وصينا علي الأيتام ومنع الظلم عن الولايات
ومات علي دين أجداده

ويين يدينا كتابه المرسوم بالكتاب الذهبي وهو مقسم
إلى اثني عشر كتاباً الأول خاص بذاته وذكر من استفاد منهم
وبقيته تأملات ونصائح وخواطر سائحة في الخير والسعادة
والحق وقواعد الحياة وقد نقلت هذه الكتب إلى عدة لغات .
وأفضل ما رأيت عنها ما دونه أرنست ريتان في المجلد السابع
من تاريخ المسيحية وهو خاص بعهد مارك أوريل ومبادئه .
(طبع ١٨٨٢) .

ثم تكلمنا عن مذهب المشككين أو المرتابين (١) وزعيمهم

(١) صحيفة ١٢٧ من هذا الكتاب وقد ورد اسمهم خطأ
« بنينك » وصحته « سبتيك » كما ورد قبل ذلك وبعده في عدة
مواضع من هذا الكتاب والخطأ مطبعي محض فنرجو المائدة .

كارنياديس الذي بالغ في التشكيك الى درجة القول بعدم
التأكد من العلم بشيء على الاطلاق . وهذا قول قديم سبقه
اليه ارسطفن القوريني أو الرفي الذي قال ان العلم بالحوادث
انما يصلنا عن طريق الاحساس وهو نتيجة التأثير بالامور
الخارجة عنا ولما كان الاحساس لا يشبه تلك الامور الخارجية
حتما فلا يمكن ان نعلم الامور الخارجية علم اليقين وكان مهمهم
محاربة فلسفة اللذائذ الايقورية ويمكن القول بانهم كانوا
فلاسفة وسطا بين الرواقين والايقوريين .

ثم بسطنا الكلام على ايقور بقدر ما وسعه المجال . وقد
اهتم به العرب فقال القفطي « ان شيعة افيقورس ويسمون
أصحاب اللذة لانهم كانوا يرون الغرض المقصود اليه في تعلم
الفلسفة اللذة التابعة لمعرفتها » وهذا خطأ فاضح لا يقتضيه
الاجمال الدين . وقال الشهرستاني وهو اقرب الى الحقيقة
ان رأى ايقورس خالف الاوائل في الاوائل (تورية لطيفة)
فقال المبادي اثان الخلاء والصورة وأما الخلاء فكان فارغ
وأما الصورة فهي فوق المكان والخلاء ومنها أبدعت الموجودات
وكل ما كون منها فانه ينحل اليها فمنها المبدأ واليها المعاد ورعا

يقول الكل يفسد وليس بعد القراق حساب ولا قضاء ولا
مكافأة وجزاء بل كلها تضيع وتندثر (ليس في الامر «ربما»
انما هذا هو رأى ابيقور بالتأكيد .)

والانسان كالحيو ان مرسل مهمل في هذا العالم والحالات
التي ترد على الاتس في هذا العالم كلها من تلقائها على قدر
حركاتها وأفعيلها فان فعلت خيراً وحسناً فيرد عليها سرور
وفرح وان فعلت شراً وقبيحاً فيرد عليها حزن وترح وانما
سرور كل نفس بالاتس الاخرى وكذا حزنها مع الاتس
الاخرى بقدر ما يظهر لها من أفعيلها (شهرستاني ص ٢٩٧)
ولا حاجة بنا لتلخيص الافلاطونية المستحدثة لقرب
عهد القارىء بها .

وهذا ختام ما أردنا ذكره من فلسفة اليونان وذكر
علمائهم الذين علمونا كيف يفكر الانسان ولقنونا الى أصل
العالم ونبهونا الى غايتنا من الحياة وفتحوا لنا نافذة تطل على
فضاء الموت. وهذا منتهى الحكمة الانسانية !

الانسانية والتقدم

(تأثير الفلسفة اليونانية في العالم)

وجدت في اماكن متفرقة عظام مهولة وهي عظام الفيلة
الاولى التي انقرضت (ماموث) (١) وعظام الحيوان الذي انقرض
ايضاً واطلق عليه كوكسه العالم الطبيعي الفرنسي مؤلف كتاب
« عالم الحيوان » وغيره اسم « مستودنت » أى ذو الاسنان
الحلمية .

وهذه العظام وغيرها من الآثار الحيوانية والنباتية التي
اطلق اليها علماء أوروبا وصف Fossile ويمكن تسميتها بالعربية
احافير كانت معروفة منذ خمسة وعشرين قرناً عند اليونان
فقد قال عنها زينوفون الحكيم الاغريقي مؤسس الفلسفة العقلية
(التي ظهرت مبادئها في مدينة ايلية اليونانية القديمة ونسبت
اليها) أن هذه الآثار وتلك العظام هي بقايا حيوانات ونباتات
كانت حية في الماضي واستخرج من وجود اصداف بحرية في

(١) بعد تحرير هذا الفصل قرأنا خبر عثور العلماء على آثار
حيوان يعدونه أقدم عهداً من الماموث

رؤوس الجبال ومن انطباع صور السمك والفقم في احجار مقالع
ازمير وسرقوسة ان تلك الاماكن كانت مغمورة بالمياه

فاذا وجب رد كل شيء الى مصدره حق على العالم أن
يعترف بان زينوفون (١) الاغريقي هو واضع علم البالتولوجيا
أو الاحياء الاولى واذا كان الفضل يرجع الى كوفيه في تنظيم
مبادئ هذا العلم في القرن التاسع عشر بعد أن اتسع نطاق
المعارف الانسانية فان الفضل الاول راجع الى العالم الذي
عاش قبل كوفيه بأربعة وعشرين قرناً

كان الناس في العصور الوسطى يحسبون هذه العظام
المهولة انها بقايا من طوائف الجبابرة البشرية الذين كانوا
يعيشون على سطح الارض قبل الانسان كما كانوا يحسبون
احجار السليس Silix التي وجدت في انحاء أوروبا قطعاً هابطة
على رؤوسهم من السماء ويسمونها حجر الصاعقة وقد ثبت
من ابحاث العلماء ان تلك الاحجار المنظمة التي وجدت في
مجاري الانهار وفي جوف المغاور بين طبقات متكدسة من

(١) هو غير زينوفون تلميذ سقراط وهو مذكور في صحيفتي

الطعى والكس وغيرهما من العناصر الحجرية لم تهبط من
السماء كما هبطت الارواح من المحل الارفع انما هي ادوات كان
الانسان صنعها واستعملها في شؤونته في العصر الحجري (١)
وان في هذا الامر لعبرة كبرى . فان بعضنا يظن أن
الحقائق العلمية التي تظهر في جيل من الاجيال تصبح ملكا عاما
شائعا للانسانية فتلقها الاجيال المتتالية ويتوارثها الناس
بالتعليم والتلقين فلا تضيع بل تصبح جزءاً من الثروة العقلية
التي تنمو بالانتاج والاقتصاد والتوافر

وكان هذا الامر واجباً بل يدهشنا عدم ظهوره ظهور
الشمس ويدعونا عدم انقطاع العلماء لتحقيقه لان اهماله يزيد
الجهل تخيماً على العقول أن مصيبة الانسانية ليست في عجزها
عن ادراك الحقيقة . ولكنها في طمس معالم الحقيقة كلما ظهرت
ودفنها تحت اكوام مكدسة من تراب الجهل . ان كثيراً من
الحقائق التي نكتشفها اليوم ونظن انها حديثة وان لنا الفضل
في اظهارها من عالم الخفاء الى نور الظهور كانت معلومة لدى
الإقدمين وثابتة لديهم ثبوت الشمس في رابعة النهار ولكن الجهل

(١) راجع مبحث الدكتور شبلي شميل في مذهب النشوء والارتقاء .

الانسان طمس آثارها وأخفى معالمها وجعل ناراها ماداً ونورها
ظلاماً. خذ لذلك مثلين واضحين الاول مثل اليونان فقد بلغت
بحكمتها وتديرها وعقول أبنائها وعلومهم وأنظمتها الاجتماعية
والسياسية ومظاهر حياتها الادبية والفنية مبلغا جعلها معلمة
العالم ومرشدة الامم ويمكن القول بغير مبالغة أن ما وصل اليه
ارسطو وأفلاطون وسقراط وايقور وزينوفون وسوفوكليس
وفيدياس وبركليس ووصولون وديموستين لم يصل اليه انسان
بعدهم في سائر فروع الحياة العقلية التي نبغوا فيها فقل لي أين
آثار هؤلاء وأين علومهم وأين حكمتهم وأين فنونهم وأين
ثمرة جهودهم التي جعلتهم آلهة يسرون على الارض. ان لدينا
من كل ذلك تفتا ذات قيمة في ذاتها ولكنها تافهة بالنسبة
للمجموع ثمرات عقولهم التي لو جمعت ونظمت ودرست على
حقيقتها لكانت كافية لتوير الانسانية وتقديمها الى آخر الدهر
ودليلى على ذلك أن هؤلاء الحكماء الاوائل لا يزالون ولن
يزالوا المصدر الاول لكل من يريد أن يستقي الحكمة من
منبعها ولا يزال كل من يجهل آثارهم لا يعد دافعا في زمرة
العلماء أو المتأدين .

المثل الثاني مصر وهي أشهر من أن تذكر فقد بلغت علومها وفنونها وآدابها منذ أربعين أو خمسين قرناً مبلغاً لا تزال آثاره ظاهرة للعيان في آثارها ونقوشها وصحفها . وإذا حق لنا أن نذكر حكماء اليونان وننسب إليهم الفضل في إخراج الإنسانية من غيابة الجهل وإرشادها نحو المثل الأعلى في العلوم والفنون والآداب فيكفيها في التدليل على قدر مصر أن هياكلها المقدسة كانت مدارس لفلاسفة اليونان أمثال من ذكرنا وفيثاغورس نفسه أقام عدة سنين يتلقى العلم على الكهنة في معابد ثيبة وهليوبوليس . فأين هذا كله الآن وهل نرى في مصر وقد زاد خصبها وزكا زرعها وقاوض نيلها وتضاعف عدد سكانها جزءاً من مليون من علوم مصر العظيمة التي فنيت هل أشرق في سماء مصر شعاع واحد من تلك الأشعة التي انبثقت في فجر المدنية فأضاءت اليونان أولاً والعالم كله ثانياً إن كل فكرة وكل خاطر يمر بالنفس وكل سطر يدونه كاتب وكل صورة ينقشها طفل وكل بيت من الشعر تنطق به سحابة حساسة على لسان القطرة بل كل نظرة تبدل على الفطنة كلها ملك الإنسانية وجزء من ثروتها العقلية وينبغي تدوينها

وتسجيلها على حقيقتها ونشرها بين الناس وتلقينهم إياها ليستفيدوا منها سعادة عقلية أو لذة معنوية أو خيرة تنفعهم في حياتهم .
ان الطفل يرث من والديه كل الميزات البدنية والنفسية يرث
الخصائل والرزائل يرث الميل والشهوات يرث المحاسن
والاخطاء وليس قانون الوراثة يوافق عند حد الوالدين بل
هو يتعداهما الى الاجداد معها علوا وقد ثبت هذا الرأي
وأصبحت الرجعي *Atavisme* من المسائل المسلم بها . فكيف
يستطيع الناس أو القاصون بأمرهم من العلماء والمرشدين
والمعلمين أن يسلخوا الطفل الى العالم وقد ورث كل الميوس
الانسانية وهو مع هذا خلوص كل ما أدركته عقول أسلافه
ووصلت اليه جهود أجداده في سائر بقاع الارض وفي كل
زمان سابق لمولده .

أليس من أعظم الجرائم أن تترك الانسانية تائهة ضالة
في مهامه الجهالة أليس من العبث كل ما يحاوله العلماء في سبيل
البحث عن الحقيقة اذا كان كل ما وصل اليه أسلافهم قد ضاع
واختفت آثاره واذا ذكر في كتاب على رأس قلم باحث
جديد انما يذكر من قبيل خطرات الافكار أو غرائب الاقوال

أو فكاهات تروح عن النفس وتقطع الوقت وتقتل الزمن ؟
ان العلوم التي تلقن في المدارس هي أحقر وأضرب
معلومات البشر وينبغي القضاء عليها ومحوها من سجل التعليم
الانسانى . انها عبارة عن مجموعة سخافات تافهة مبهمه قد
سبكرها في قالب التدريس قوم جهلاء وقد سارت الدنيا على
هذه الاساليب العقيمة الغير المثمرة أجيالا لا تحصى وينبغي
أن تزول تلك الاساليب وتلك المعلومات من عالم الوجود .
ينبغي احراق كل الكتب والكراسات التي تقدم للتلاميذ في
كل انحاء العالم وينبغي أن يجتمع مؤتمر من علماء كل الامم
وأن ينتقل في سائر بلاد الدنيا ويقضي بين الشعوب المختلفة
مدة كافية للوقوف على أحوالها وأخلاقها ومواهبها وبيئتها
الطبيعية والمعنوية وبعد ذلك يتفرغ هذا المؤتمر لوضع برنامج
لتعميم التعليم في أنحاء الدنيا لا فرق في ذلك بين الاجناس
والملل ينبغي توحيد التعليم وتوحيد المدنية وتوحيد الحياة
العقلية في كل مكان . ينبغي أن يقف كل انسان على أهم ما انتجته
العقول الانسانية من المباحث وما وقف عليه العلماء من
الحقائق في كل فرع من فروع الحياة . ان الماضى من هذه

لوجهة أكبر شأننا من المستقبل لانه مجموعة اختبارات جليلة
عظيمة تفيدنا في خطواتنا الى الأمام. (١)

ان كثيرين من المفكرين ينسبون الى الإنسانية غريزة
البقاء على حالة واحدة . ويقولون ان الانسان ميال بفطرته
للمحافظة على كل قديم لا لانه صحيح أو موافق للحقيقة انما
للتعود . أن الإنسانية أسيرة العادة . وهي كذلك شديدة
الكسل . فهي تعودت أن تدرك الأشياء على حال معينة ولا
تريد التغير في طريقة التفكير . وتعتقد في صحة أشياء معينة
لأنها تلقنت الاعتقاد بصحتها فلا تريد أن تنزع عن عقلاها هذا
الاعتقاد حتى ولو ثبت أنه فاسد وانه قائم على ضلال قديم حتى
ولو قامت البراهين العلمية والعقلية على صحة غيره من الآراء
وأصبحت تلك الآراء ملكا مشاعا لكل الناس يمكن الوصول
اليها بسهولة . فانك تجدهم يعرضون عن الجديد الصحيح
من العلم الموافق للعقل ويتشبثون بالقديم الباطل من العقائد
المخالف للعقل لان الإنسانية مكسالة تريد أن تجلس لتستقبل

(١) انني أقترح نقل جميع مؤلفات فلاسفة اليونان الى اللغة

العربية ولا أرى وسيلة لتقدمنا العقلى بغير هذا

شمس الصباح دون أن تعرف كنه الحرارة تريد أن تنظر
بمحمول الي الكواكب ولا تريد أن تعرف ما وراءها تريد
أن تتمتع نظرها بال مخلوقات دون أن تعكر صفوها لحظة في
التفكير في أصلها ومنشأها ومصيرها وموردها . الانسانية
أسيرة العادة وحليقة الكسل وهي فوق ذلك محبة للتقهقر
ميلالة للرجوع الى حالها الاولى حال الحيوانية والتوحش دون
أن تبذل جهدا في السير الى الامام . الانسانية ايقورية المذهب
واذا خرج من احشاء تلك المكسال ربة المحول أسيرة
العادة وحليقة كل قديم مولود جديد وحاول النظر الى النور
أو التنفس فانها فوراً بآلها عليه من حقوق الامومة وبما
اكتسبته من العاطفة وحب الاذى حتى في تأديب أطفالها
تبادر الى ضربه وتعذيبه وكم فمه وحجب عينيه فلا يشم الا
نتها وعفونتها ولا يرى الا سواد ليلها وظلام عقلها فان تشدد
في المقاومة وكان طفلاً نجياً شجاعاً نابها تحاول اخفات صورته
بالين والملاطفة فان لم يذعن فانها لا تتردد بعد ذلك لحظة
واحدة في القضاء عليها تضحي به على هيكل العادة والكسل
والبهيمية فتوعز الى ابنائها الذين ثبتت طبيعتها في أقصدتهم

بقتله فتارة يسجن حتى يموت وطوراً يلقى به من حالق وطوراً
يصلب ومرة يحرق . وبعد ان ترهق روحه ويصير جسده
ترايا تعود الام فتأخذها الشفقة على ولدها وتقول وأخر قلباه
على ولدى كان ذكيا وكان حاضره نبيء بمستقبل سعيد . فتأمر
بتمجيد ذكره واقامة الانصاب على شكله وتأمر بجمع آثاره
ولم شعث افكاره وتقيم له مأتما فخما فيظن الرائي ان ولدها
لو عاد اليها لاحتله محل الانسان من العين . ولكن اذا وصل
الي علمها أثناء تمجيد ذكر ذلك الذي بذلته وقتلته ان انا له حاله
كحالها فانها لا تتردد لحظة في القضاء عليه لتعود بعد حين فتخذ
ذكره . وهكذا تستمر تلك العجوز المكسال الماكرة الذميمة
الخلق والخلق تقتل النجباء وتستبقي الجهلاء والسخفاء لانها
لا يطيب لها العيش الا في ظلال الجهل والكذب والخداع
ولا تحب النور لانها من بنات الظلام .

مائدة أفلاطون

أشخاص الوليمة الذين دارت بينهم المحاوره

أبو لودورس - صديق له - جلاكو - أريستوديمس

سقراط - اجاثون - فيدروس - بوسانياس - اريكسيماكوس

أريستوفانيس - ديوتاما - السيياديس

(أبولودورس) - أظن للموضوع الذي تسألني فيه لا يزال

حاضرا في ذهني ، لاني بينما كنت أمس عائدا من فاليروس

الى داري ، رأيي صديق فدعاني وقال ممازحا « يا ابن

فاليرورس ! الا يمكنك ان تنتظر لحظة ، حتى تقص علي ما سمعته

من المحاوره التي دارت على الحب في مجلس ضم اجاثون ،

وسقراط ، والسيياديس ، وغيرهم ؟ وقد سمع بهذه المحاوره صديق

رواهاله فينيكس بن فيليس ، وذكر لي انك تستطيع ان

تعيدنا بأسهاب وجلاء ، فتكرم على باعادة تلك المحاوره فاني

أعلمك صادق الروايه لما تسمعه من أخبار أحيائك وأصدقائك ،

ولكن يحق عليك هل سمعت المحاوره باذنك أم رويتها عن

سوالك ؟ »

(فأجبت) - يلوح لي ان مخبرك لم يجبل لك ما غمض عليك
فأنت تسألني ان كنت سمعت المحاورة بأذني، كأنها بنت أمس
وكانني كنت من أشخاصها !

(جلاكو) - لقد ظننت ذلك

(فأجبت) كيف يكون ذلك يا جلاكو وانت تعلم ان
اجاثون غائب عن المدينة منذ أمد بعيد ولم يعض أكثر من
ثلاث سنين على ملازمتي سقراط ، ومحادثته وتقييد أقواله ،
ومراقبة أعماله ؟ اما قبل ذلك فقد كنت هائما على وجهي ،
لا ابتقر علي حال ، ولا أعرف لنفسي مكانا تسكن اليه ،
وكنت في ذلك العهد أشعر بشقاء وغم أعظم من شقائك
وغمك اللذين تشعر بهما الآن وكنت أود لو أنني عشقت
غير الحكمة التي تشقى من يحبها...

(جلاكو) - مقاطعا - لاتحالك واذكر لي ما تعلم
عن المحاورة !

(أجبت) - لما كنا في عهد الطفولة، ونال اجاثون جائزة
لحذقه في وضع الروايات التمثيلية الفاجعة ، وبعد ذلك الفوز العظيم
يوم احتفل اجاثون وجماعة الممثلين احتفالا فخما قدموا فيه

الضحايا للآلهة...

(جلاكو) - يظهر لي، أن ذلك الخبر يرجع إلى السنين
الغابرة، فمن ذا الذي رواه لك، وقص عليك القصة بأكملها،
وهل سمعت تفصيل الخبر، من سقراط بذاته؟

(فاجبته) - لا وحق المشتري! بل سمعته من محدث
فينيكس نفسه رجل اسمه أريستوديمس ينتمي إلى «سيدائنا»
وهو شخص قصير القامة، نحيل البدن، كان يسير في الطرق
بلا نعال. وكان حاضرا بذاته الوليمة التي أولمها اجاثون الكراما
لفوزه، لأن أريستوديمس كان اعلق أهل زمانه بسقراط،
وأكثرهم إعجابا به، وقد سألت سقراط عن بعض ما سمعته
من مریده أريستوديمس، فأكد لي.

(جلاكو) - فلماذا اذن، لا تقص على هذا الحديث
الحسن ونحن سائرون إلى المدينة؟ سيما والسبيل سهل لا تشوبه
شائبة، ولا تقوره وعورة، ولا شيء أدعي لتسهيل السير
من المجاهرة!

فأخذت أقص عليه ما وعته الذاكرة، من المحاورة التي دارت على الحب، وحاولت جهد طاقتي أن لا يفترني مما سمعت شيء، فإذا اردت انت أيضاً أن اعيد على سمعك هذه المحاورة، فلا أضن عليك بما تريد، فانه لا يسرنى شيء مثل الكلام في الحكمة، أو سماع ما يقال فيها. وهذا لسببين: الاول: المستنبطه من الفوائد وما استوعبه من المنافع من احاديث الفلسفة، والسبب الثاني: اشباع ما ركز في نفسي من غريزة حب الحكمة. ولكني كلما اسمع احاديثك عن عجول الذهب وعباد المال اشعر بحزن شديد، واشفق عليك يا من لا تعمل شيئاً وتحسب نفسك تقوم بكل شيء! ربما تظنني مسكيناً بائساً وأنت عند ظنك أما أنا فلا أظن بل اعتقد واؤكد انك كذلك!

(رفيق) - انك لا تتغير أبداً يا بولودروس! فانت على الدوام تنتقص الناس وتبخس نفسك، ويلوح لي أنك تحسب سائر الناس اشقياء بائسين وانت فيهم، وليس في الوجود شخص سيد سوى سقراط، وهذا ثبات في الرأي يندر في المجانين وقد ادعى الناس بانك منهم!

(ابو لودروس) - حقيقة الامر يا صاحبي هي أنني

يجنون لامر واحد: وهو تشبثي برأيي فيك وفي نفسي.
(الرفيق) - ليس يجدينا أن نبحث في تلك الامور
نعماً يا أبولودروس! فتفضل على بالحديث الذي وعدت
(أبولودروس) - سأشرع توا في الحديث، وأتلوه عليك
بالترتيب الذي اتبعه أريستو ديمس.

روي أريستو ديمس أنه لقي سقراط يوماً نظيف الوجه،
حسن الهيئة، متعللاً على خلاف عادته، فسأله عن حاله ولأى
شيء خرج عن حده في التزين والتجمل، فقال سقراط: دعاني
أجاثون الى وليمة، فلم أجبه أمس لاجتماع قوم من الفوغاء
عنده أثناء بذل الضحايا للآلهة، واليوم قصدت أن أجيبه.
اما عن تزني فاعلم أنه ينبغي لك أن تتجمل اذا أردت أن
تدنو من أرباب الجمال، وأنت يا أريستو ديمس ما قولك في
أنك تصحبني غير مدعو الى دار صاحبنا اجاثون؟ فقال
أريستو ديمس انني افعل ما تريد، فقال سقراط اذن هيا بنا! فقد
جاء في الامثال «لا كلفة ولا دعوة بين الاخيار» وقد أخطأ
هوميروس، ولم يحسن استعمال هذا المثل في الالباذة اذ
وصف اغاممنون بالشجاعة والبطش في ميدان الوغى وذكر

عن مينيلوس أنه جبان عاجز وهيأله أن يتطفل على مائدة
أغاضبون عملاً بالمثل السابق على ما بينهما من الفروق في
الاخلاق .

قال أريستوديمس : واني أرى نفسي ياسقراط في مأزق
خرج لا يقل ما يلحقني من اللوم والذم فيه عما لحق مينيلوس
فاني لى أن أضايح أجاتون فضلاً أو أدانيه فخراً ، أفلا تتحل
لى ياسقراط عذراً أركن اليه ؟ كأن تقول أنك أنت دعوتنى ؟
قال سقراط لعلنا فى طريقنا نوفق الى عذر نتجله ...
فانطلقا . وكان سقراط فى أثناء الطريق قد فتح عليه فأخذ يفكر
فيما طرأ له فسار الهوينى وتخلف عن رفيقه أريستوديمس فلما
رأى أن رفيقه انتظره سأله أن يتقدمه فصعد بأمره .

ولما بلغ دار اجاتون وجد الباب مفتوحاً وراى عبداً يستقبل
الاضيف ، فلما بصر العبد به دنا وسار بين يديه الى أن بلغ
مجلس الاضياف ، فلما بصر اجاتون بأريستوديمس قال :

(اجاثون) - جئت فى وقت حاجتنا اليك ، فانت ضيفنا

الليلة على العشاء ، فان كانت لك حاجة فارجلها الى فرصة
أخرى ، كنت التمسك امس لادموك ، ولكننى لم اهتد

إليك : ولكن كيف أنك لم تصطحب سقراط؟ (فتلقت
أريستو ديمس لعله يرى سقراط فلم يره لأنه لم يبلغ الدار)
(أريستو ديمس) - لقد جئت معه وهو الذي دعاني
إلى وليمتك !

(اجاتون) - لقد احسنت ولكن أين سقراط ؟
(أريستو ديمس) - كان يصحبني في قدومنا، ولكن
لا أدرى أين هو !

(اجاتون) - لا أحد غلمانة - اذهب يا غلام واستقدم
سقراط أما أنت يا أريستو ديمس فاتكي هنا بجانب أريكسيماكوس
ثم امر عبدا أن يغسل قدميه ليستطيع الاتكاء ثم جاء عبد غير
الذي راح يبحث عن سقراط وقال أنه لجأ إلى خاوة ووقف
وأبى أن يدخل غرفة الاضياف فنهز اجاتون عبده وامره
أن يذهب ولا يعود بدون سقراط .

(أريستو ديمس) - دعوه ولا تقطعوا عليه تأملاته !
فهذه عادته إذا ادركه التفكير، يخلو بنفسه حتى يفرغ من النظر
فيما عرض له فإذا ترك وشأنه فإنه لا محالة يحضر .

(اجاتون) - ليكن لك ما تريد ! لعبيده وخدمنه - اعدوا

لنا المائدة ايها الغلمان واحضروا لنا ما تريدون لاني لا أريد أن
يكون لما عندتي رئيس وكأني واضيا في ضيوف عليكم فلا تقصروا
في حقنا !

ثم شرعوا في تناول الطعام ولما يخرج سقراط من خلوته
وكان اجاثون يشدد في استقدامه واريستو ديمس يلح في تركه
وبعد الفراغ من نصف الطعام دخل سقراط ولم تطل
خلوته كمادته فلما بصر به اجاثون وكان متكئا على حدة في
مؤخر المائدة قال له :

(اجاثون) — الي يا سقراط واجلس بجانبني لعاني
أستفيد بجاورتك ثمرة ما أوتيته من الحكمة بعد أن خلوت
بنفسك أمداً ولارب في أنك استنبطت رأيا جديداً أو فكراً
صائباً . مجلس مجوارده وقال :

(سقراط) — لو كانت الحكمة كالماء تفيض من وعاء
مملوء الي وعاء خلو منها حتى يستوى نصيبا الوعائين اذن
لعددت نفسي أسعد الناس حالا بمجالستك لانك كنت تملأ
وعائي حكمة وعلماً . لان حكمتي غامضة مبهمه وهي أقرب الي
الخيال منها الي الحقيقة . أما حكمتك فتألفه وقد جزيت عنها

بما تستحق من التكريم وقد فقت وأنت لا تزال فتيا الشيوخ
في الفضل والادب وانبعث أنوارها منك فكنت منبثقا لنور
لا تدركه ظلمة وقد شهد بذلك أمس ثلاثون ألفا من الاغريق
(اجاثون) - انت تسخر مني ياسقراط وعمما قليل سنحتكم
في فض هذا النزاع الفلسفي الى باكوس إله الخمر أما الآن
فبادر الى تناول ما تسد به رمقك !

وبعد أن فرغ سقراط وصحبه من تناول الطعام واتكأوا
على وسائدهم وذرايهم المبطونة وصبت السكائب وأنشدت
الاغاني للاله وأقيمت سائر الرسوم والشعائر المعروفة أخذ
الجماعة يشربون الخمر المعتقة ويحيون شريعة باكوس فتقدم
بوسانياس بهذا الرأي

(بوسانياس) - أي الطرق احب الى قلوبنا في معاورة
الخمر ؟ لا أخفى عليكم انني لا أزال مريضا من أثر النبيذ الذي
شربناه أمس وأشعر من نفسي بحاجة الى هدنة وأحسبكم
جميعا كذلك لان هذا المجلس كان يضمنا جميعا فانظروا في أمرنا
كيف نشرب في ليلتنا هذه بحيث تبهجنا الذشوة ولا يزعجنا
الخمار

(أريسطوفانيس) - نعم الرأي رأيك يا بوسانياس ! نخير
لنا أن نمزج كميت الكؤوس بماء الاعتدال فاني كنت ممن
غلبهم باكوس على أمرهم فأغرقني هذا الإله القاسى فى جرعة
لبهيمية !

(أريكساكوس) - اننى على رأيكما وأريد أن أعلم
هل ينوى اجاثون أن يعيد الكرة الليلة ؟
(اجاثون) - كلا ! فاني لا أستطيع أن أنال من الراح
ما نلت أمس .

(أريكساكوس) - ان كان هذا رأيكم وأنتم أئمة الخمر
فأخلق به أن يكون رأيى ورأى غيرى ممن لم يتعودوا عبادة
باكوس حتى عبادته أمثال أريسطوديمس وفيدروس وغيرها
على اننى أستثنى سقراط لانه القادر على كل شىء فلذا يسره ما يسرنا
ويرضيه ما يرضينا وحيث انه ليس فينا من ينوى الا كثار
من النبيذ فقد هيأتم لي بابا ألج منه الى تبين مضر السكر
ونقائصه فأقول ان الطب يدلنا أن السكر مضر فلذا ترونى
لأفراط فى الشراب ولا أشير على أحد بالخمر ليلة بعد ليلة...
(فيدروس) - انك مصيب فى قولك ، ولى ثقة فى

نصائحك الطيبة وسأسير الليلة على خطتك اذا سار سائر
الاصحاب .

فاتفقوا جميعاً على أن يشربوا ليظربوا لا ليسكروا
(اريكسيا كوس) - حيث الامر كذلك فلن يرغم أحد
على أن يشرب اكثر مما يطيق ولا حاجة لنا بالناخقة في الزمار
فاما نرسلها الى خدر النساء تطربهن بانتقامها وأما تتركها تنفخ
لنفسها وليكن مجلسنا قاصراً على ما يدور بيننا من المحاورات
وان اذتم لي اقترحت عليكم بحثاً يدور عليه محور السفر !
فضج الجميع وقالوا « اقترح علينا ما تريد ! »

(اريكسيا كوس) - ان دياجعة حديثي تشبه أسلوب
مناليب ليوريبيد لان الحديث الذي سأرويهِ ليس صادراً
عني لاني وسيط بينكم وبين صاحب الرأي وهو قيدروس
فانا انقل لكم ما يريد ابلاغكم اياه ذلك أنه شكالي مرة
بعد أخرى قائلاً أليس من العجيب يا اريكسيا كوس أن
لا يكون بين الاناشيد والاغاني التي يترنم بها الناس اغنية
واحدة أو نشيد مفرد ينظمه شاعر من الشعراء لتمجيد الحب
وهو من اعظم الارباب وكيف أن كبار المغالطين امثال

بروديكرس يسبحون في شعرهم باسم هرقل وليس فيهم من
اعطى الحب حقه من التسبيح والثناء . وانغرب من ذلك انني
عثرت بالامس بكتاب أحد الفلاسفة وقد ذكر فيه محاسن الملح
ومنافعه وغير ذلك من السفاسف فمضيت لضياح امثال تلك
الدرر الغوالي في تمجيدها ودهشت لاججام الشعراء والكتاب
عن امتداح اله الحب وهو من اعظم الارباب ! !

فوجدت قول فيدروس على جانب من العدل فلذا
اقترح الليلة عليكم اقتراحا يجدر بكم تنفيذه ولا ريب أن فيدروس
يغتنب به اغتياطا عظيما . وهو أن تطرحوا الحب على بساط
البحث والمناقشة شريطة أن يمدحه كل منكم بابلغ ما يستطيع
وليبدأ فيدروس لانه أول درة في عقدنا بحسب ترتيب الجلوس
ولانه صاحب الاقتراح

(سقراط) — ليس هنا من يعترضك أو يخالف رأيك
أما أنا فلا أكثر لشيء سوى الحب وكذلك اجاثون وبوسانياس
واريسطو فانيس فقد قضوا حياتهم في تمجيد الزهرة آلهة الحب
وبايكوس اله الخمر بل كل الجالسين هنا حالمهم واحدة ثم ان
أما كن اصحابي في الجلوس تأذنهم بالبداية في الحديث فلا

تبلغنى الثوبة حتى يكونوا قد وفوا البحث حقه واستقصوا
محسنات البلاغة فى ترصيعه وتجميله فيكون قولنا بعدم فضولا
وتطفلا فباسم السعد ادعو فيدروس الى الكلام !

قال ابو لودورس لرفيقه « ولا يذكر اريسطو ديمس
سائر ما قاله كل بمفردهما علق بذهنه اهم ما قيل وهاك بعض
ما ذكرهما رواه لى اريسطو ديمس » شرع فيدروس فى الكلام
على الحب فقال :

(فيدروس) -- ان الحب رب عظيم قادر وهو موضع
اعجاب الارباب والناس لدواع كثيرة اهمها منشأه واصله
فهو من اقدم الالهة وليس له والدان ولم يذكر شاعر من
الشعراء ان غيره من الارباب يماثله فى ذلك وقال هسيود « ان
الفوضى سادت الكون ثم خلقت الارض فكانت أساسا
ثابتا لكل شئ وتلاها الحب فى الخليقة » وقال بارمنيدس عن
اصل الخلق « ان الحب كان قبل غيره من الالهة » وقد اتفق
اكيوسيليس وهسيود فى هذا الرأي فالحب باتفاق جميع
الحكام من اقدم الاشياء دع عنك انه منبع اعظم المنافع لبنى
الانسان فليس فى العالم سعادة ولا تقع أعظم مما يمود على

انسان في مستقبل العمر من محبه أو محبوبة فلا شرف المولاه
ولا عزالتى ولا علو الجاه توقظ في نفوس عشاق المحب من
المواطف التي تقضى نفوسهم وتثير بصائرهم ما يوقظه الحب
منها فمن تلك المواطف عاطفة الخجل من السقوط في هوة
العار وعاطفة التفانى في حب العلا التي تؤدي الى القيام بكبار
الاعمال وعظائم الامور وليست هذه القاعدة مقصورة على
الافراد بل تتعداهم الى الجماعات والشعوب فانه بدون هاتين
الماطفتين لا يتبأ لاحد اتيان الاعمال الجليلة الجميلة ومما ثبت
قولي أن العاشق اذا اقترب انما أو استغضب ولم يغضب جبنا
لاحدا وكان ذلك في حضرة من يحب فان الله من الخجل من
محبوبه يكون أشد وأقسى مما لو كان سائر أهله وأقاربه وصحبه
أو سواهم يشهدون مذله ويحدث مثل ذلك بين الاصدقاء
فيصعب على الصديق أن يلقاه صديق في حال شائته أو في
فعل مهين

وكذلك اذا ارتبطت قلوب فئة قليلة أو كثيرة برباط
المودة وكونت حكومة أو جيشاً محارباً فلا ريب في أن ما
بينهم من روابط الصداقة والود يدعوهم الى أداء ما يجب

عليهم حق اداء فلا يسود بينهم شقاق ولا تقوم للخلاف فيهم
قائمة . كذلك لا يكون للجسد والاحقاد عليهم سلطان
فيتنافسون في حب الشهرة ويتسابقون في ميدان المطامع
الشريفة ويتعدون عن الشهوات المؤدية الى فساد أمورهم
وانحلال رابطتهم وانقضاء عروتهم . وكذلك اذا كانوا جيشا
فهيئات أن يملكهم العدو أو يثأل منهم اربا لما بينهم من التضامن
القوى فلا يستطيع واحد أن يفر من الردى أو يستسلم للعدو
لان خجله من صحبه أشد عليه وأقسى من ضرب السيوف
ورشق السهام ولا يعذب الموت الا في الحب فيود أحدهم لو
يموت ألف مرة وذلك أفضل لديه من الفرار تاركا وراءه أحيائه
يجرعون كؤوس الموت الزؤام . وليس في الوري شخص
مهما كان وضعيا لا يوحى اليه الحب أسرار الفضيلة وقد يسمو
بهذا الوحي لدرجة من ركزت الفضيلة في طبيعته وقد قال
هو ميروس أن الاله ينفخ في أرواح بعض الابطال ويهبهم
من لدنه قوة كذلك الحب ينفخ في قلوب المحبين من روحه
وليس ث تلك النعمة قاصرة على الرجال بل تتعداهم الى النساء
اللاتي يحين فقد تقدي المرأة المحبة محبوبها بنفسها وخير مثال

لتفاني المرأة التي تنفخ الحب في قلبها من روحه السستيس بنت
بلياس فقد بذلت نفسها فداء زوجها وقد بلغ حبها اياه مبلغا لم
يلتص به حب الوالدين والاهل والا قارب فكانوا خياله كالأجانب
الغرباء وكأن لا رابطة بينهم وبينه الا الاسم والكنية فاعجب
الناس بذلك الحب العظيم وأعجب به كذلك الالهة أنفسهم
فانقذوا نفس السستيس من العذاب الاليم فدل ذلك على تقدير
الارباب عواطف الحب والا خلاص قدرها

أما ارفيوس بن اياجرس فقد عاد من الجحيم بصفقة
المنبون لان الالهة لم يظهروا له سوى شبح التي جاء من أجلها
لانهم اعتبروه أقل اخلاصا من السستيس التي لم تحجم عن
الموت واستهانت بعذاب الجحيم في جنب اتصال نفسها بنفس
زوجها أما ارفيوس فقد جبن وأحجم عن الموت وطلب الى
الارباب أن ينزلوه الى الجحيم حيا فكان عقابه على جبينه وضعف
اخلاصه أن الالهة قضوا عليه بان يموت قتلا بأيدي النساء

وأما ما حدث لاخليل فهو أن الالهة أسكنوه دار النعيم
بجزاء شجاعته واخلاصه في صداقته فقد نبأته أمه أن أجله
معلق بأجل هيكتور فان قتل هيكتور تبعه آخيل ولو أن آخيل

لم يقتل هيكتور طال عمره ومات شيخا ومع علم آخيل بدنو
أجله وصدق ذلك النبا العظيم فقد راقه الموت بهتل هيكتور
انتقاما لصديقه باتروكلس وغيره على شرفه فمجد اليونان ذلك
الاخلاص وتلك الصداقة في شخص آخيل لانه فضل صديقه
على كل شيء وقد جزي الآلهة آخيل جزاء أعظم من جزائهم
السستيس لانهم أسكنوه دار النعيم

لاجل هذا قلت ان الحب هو أقدم الارباب وأفضلهم
وأقدرهم على منح الفضيلة والسعادة لبني الانسان أحياء وأمواتا
هذا ما رواه أريستو ديمس من حديث فيدروس وقد
تكلم بعده غيره حتى جاءت نوبة نوسانياس قال

(نوسانياس) - اننا لو قصرنا بحثنا على التسبيح بمجد
الحب وذكر محاسنه لكان ميدان البحث محدودا ومجال
القول ضيقا ولو كان الحب نوعا واحدا لكان لنا عذر في قصر
بحثنا على مدحه ولكن حيث ان الحب أنواع متعددة فسأقصر
قولي على تمييز الحب الجدير بالمدح عن غيره حتى اذا ميزته
أثنيته عليه بما في وسعي وامتدحته جهدي. نعلم جميعا ان الزهرة
لا تعيش بغير حب فلو كانت الزهرة واحدة لكان الحب واحدا

غير متعدد ولكن الزهرة زهرتان لازهرة واحدة والحب كذلك حبان لاحب مفرد اما اولى الزهرتين وكبراهما فتى اورانيان وهي بنت اورانوس البكر ولم تلدها والدته والاخرى صغرى الزهرتين وهي بنت المشتري وديون واسمها باندميان لاجل هذا كان لكل زهرة من تينك الزهرتين (اورانيان وباندميان) حب خاص بها فحب الاولى لا يتخلى عنها وحب الثانية يلازمها على الدوام . وغنى عن البيان ان سائر الارباب خليفة بالمدح والثناء ولكن لكل رب صفات تميزه عن غيره وقد يعلو قدر البعض على البعض وتعلمون ان كل فعل من الافعال على الاطلاق هو مجرد بطبيعته عن صفتي الخير والشر فتحن الساعة في شرب وطرب وشمر وليس في شيء مما ذكرت صفة تقصيه عن الخير او تدنيه الى الشر ولكن الحال التي نشرب عليها او نطرب بها هي وحدها التي تصبغ الشراب والطرب بصبغة الخير او ضده . فما نحسن صنعه بقطع النظر عن طبيعته يمدخرا ومائىء فعا به بقطع النظر عن طبيعته يمد شرا . لذلك ليست سائر انواع الحب كلها جميلة او جديدة بالثناء انما سيد انواع الحب هو الذي لانهون به بل يزيدنا عزا

وسؤدا . فالحب الملازم لزهرة بانديموس هو الحب الذى
تعرفه العامة وتسم به كالهم لما فيه من الشهوات الدنيئة وهذا
النوع خفيض بالطبقات النازلة من البشر . وعباد هذا الآله
يعشقون الابدان ولا يأنهون للنفوس ويفضلون الجهل على
العلم ويستهنون بالشرف والجمال ولا يعملون الا لاطفاء نيران
شهووات الجسد وهذا الحب مشتق من الالهة الصغرى التى تجمع
فى طبيعتها بين الذكر والانثى أما الحب الملازم لزهرة اورانوس
الذى لا تجمع فى طبيعتها بين النقيضين هو الحب المذكر الذى
يوحى الاخلاص والنقاء ويرأى بنا عن مواطن الاندفاع فيما
تسوء عاقبته من الشهوات والفساد . وعباد هذه الالهة يعشقون
القوة والجمال فى العقل والجسم ويمكن تمييزهم عن غيرهم فى
ابان صباهم بتعشقهم اصحاب العقول الناضجة والنفوس
الصحيحة وامثال هؤلاء هما طراً عليهم فى حياتهم من التغير
والتقلب فى الخير والشر لا يزالون على سنن عهود المودة
والاخاء لا يغيرونها ولا يرضون بها بديلاً ولا ينبغي لاحد أن
يتعشق الاحداث لانه يستحيل عليه أن يتكهن بما يكون لهم

في مستقبل أيامهم من قوة العقل وضعفه وسمو المدارك
وانحطاطها سببا وأن هذا الحب الطاهر اشرف وأرقى من أن
يوضع في مواضع الشك والارتياب والاخيار يضعون
لا تقسمهم حدودا لا يتعدونها في تلك الحال أما الاشرار فلا بد
من اخضاعهم لتلك القوانين التي يخضع لها الاخيار ارادوا أم
لم يريدوا لان من فعلهم المنكرة وطباعهم المذمومة ما يدعو
البعض من الواقفين على عيوبهم وقبائحهم الى القول بان القيام
على مسرات من محب وخدمتهم هو من العار بمكان مع ان
من يقوم على مسرات محبوبه وخدمته حسبما تقتضيه
القوانين المقبولة والعادات المستحسنة لا يكون عرضة للوم
مطلقا

أن الحكومات المستبدة الظالمة التي يعيش في ظلالها
الوحشيون من البربر وغيرهم تحرم الصداقات بينهم وتغنيهم
تعليم الحكمة وتغيب عليهم رياضة الابدان لان كلا من تلك
الخلال الثلاث يدعو الى الالفة والمودة بين الرعية وفي نيتك
النهبتين من اتحاد المحكومين وقوتهم ما يخشي عواقبه الحكم
الظالمون وحقيقة الامر هي أن الحب وحده هو مسبب الالفة

وموجد القوة وقد انقصت عروة الظلم وانقرجت أزمة
الاستبداد بفضل الحب الذي نبت ونما في قلبي هارموديروس
وصاحبه اريستوجيتون ولا ريب في أن الجمعية التي تعتبر فيها
خدمة الاصدقاء والسعي في نفع الاحباب عاراً أو مذمة يستدل
بتلك الحال فيها على فساد نية المقتنين واندفاع الحاكمين في تبار
المظالم والمطامع الدنيئة ولا يكون هذا الا اذا كان المحكومون
من الجبن والضعف والاستكانة بمكان عظيم، كذلك الجمعية التي
تعتبر فيها خدمة الاصدقاء والسعي في نفع الاحباب أمراً
عادياً لا واجباً عظيماً تحتمه مكارم الاخلاق وتقتضيه الآلة
يستدل بتلك الحال فيها على قربها من كمال الاخلاق وان كانت
لا تزال بعيدة عنه ويستدل كذلك بها على عجز الحكام
والمشرعين الذين وضعوا القوانين وسنوا السنن عن بلوغ
الغاية التي يستلزمها الود الصحيح والمحبة الصادقة.

وغنى عن البيان أن أشرف الحب ما كان جهرًا لا سرًا
سيما لا أصحاب النفوس القوية والمواطف المشتعلة. وأشرف
أنواع الحب ما كان لاجل الفضيلة وكمال النفس لا حسن
الوجه وجمال الجسم والحب الشريف يقتضى أن يحرص المحب

على المحبوب ويرعاه ليبقى أبداً طاهر النفس نقي القلب مملوءاً
بالفضيلة ومما يقتضيه شرف الحب أن نسعى جهداً في نيل
رضى المحبوب ومحبته وقد عاب الفلاسفة من يحب ويفعل
ذلك ولتسهيل بلوغ هذه الغاية أباح العرف للعاشق أن
يستعطف معشوقه بوسائل عجيبة لا تخطر بالبال لو استخدمها
الإنسان في غير استعطاف محبوبه عرض نفسه لأقرب تأنيب
وأشد ذم فلو أن شحيحاً محباً لئال صرف عمره في جمعه
وتكويمه أو طموحاً ميالاً للحصول على القوة والنفوذ سعى
أحدهما إلى بلوغ غايته بالاستعطاف والتذلل والغلظ في القسم
كما يغلظ المحبون والوقاد على الاعتبار وتهديم ذاته للعبودية
التي لا يطيقها أدنا الرقيق فانه لاشك يبعد ويحرم من نيل غايته
باعدائه وأصحابه فان أعداءه يذمونه لتخليقه وأحبابه يلومونه
ويتحملون عنه ما يلصق به من العيب ولكن اذا كان عاشق
يفعل كل تلك الفعال فانه يكون منه مقبولا ولا يخشى على
كرامته وشرفه ويقال ان الارباب تصفح عن العاشق اذا
جنث في يمينه . ولو انه أقسم بالزهرة . وذلك كما صرحت
قوانيتنا فان الارباب والبشر تمنح العاشق أعظم ما يمكن من

العفو والرحمة

ان المسألة على ظني هي كما قلت سابقا فالحب لا يمكن أن يعتبر بذاته شريفاً أو غير شريف فإذا كانت طريقته شريفة فهو شريف وإن كانت الطريق غير شريفة كان الحب كذلك. لأنه مما يحيط من القدر خدمة الادياء كما أن خدمة الشرفاء تعلو القدر. فالعاشق البندي الذي يحب البدن ويفضله على النفس لا قدر له ولا ثبات له ولا بقاء لحبه لأنه وقف حبه على الشيء الزائل. لأنه إذا ذوت زهرة الشكل التي كانت غاية حبه فانه يتصرف ولا يعود غير مربوط بعهد ولا ميثاق غير خجل من الخلف في وعوده. أما محب الخلال الفاضلة فانه يثبت مدي الحياة لأنه وضع نفسه بانسجام ورغبة مع الشيء الثابت الذي لا يتحول. هذان النوعان من الاشخاص ينبغي التمييز بينهما باحتراس فتعاشر الواحد ويخدمه ويتعمد عن الآخر ونذمه

وكذلك يعدون من قلة الشرف الوقوع في الحب مباشرة لئلا لا يكون الوقت كافياً للتحقق من حقيقة المحبوب والتأكد من خلقه كذلك من الخلل بالشرف أن يجذب

الشخص بالمال والقوة أو أن يخشى السب فيترك الحب .
 ان لنا رأيا متعلقا بالعشاق مؤداه أنه لا يكون من الذل
 أو الخجل أن يقوم العاشق بأنواع الخدمة وأن يذل لأجل
 المعشوق ورأينا في ذلك كراي من يقاسي الالم والهوان لأجل
 الفضيلة . كذلك نحن لا نعتبر ذلا أو هوانا خضوع الرجل
 ليتعلم العلم أو ليتصف بالفضائل كذلك نحن نعتبر مذلة العاشق
 مفخرة لأن غايتها كفاية الذل في سبيل الفضيلة اذا كان العشق
 يعتبر شيئا جميلا . لانه عندما يبلغ العاشق والمعشوق نقطة
 واحدة تتميز حال كل واحد منهما فالاول يقدر أن ينهى عقل
 صاحبه ويساعده على كسب الفضائل والثاني لا يزال طالبا
 للعلم والنور فباجتماع هذه الشروط سراها ينبغي للمعشوق
 أن يعطى حبه للعاشق . ففي هذه المذلة لا يوجد عار حتى اذا
 خدعنا وهزمننا في الحصول على غايتنا مع أن كل هزيمة في غير
 ذلك تمد عارا سواء كنا مخدوعين أو غير مخدوعين .
 وعلى هذه القاعدة اذا تطلب احدنا صداقة آخر اعتقادا
 منه أنه فاضل رغبة منه أن يصير بقربه كذلك فاضلا مثله
 ثم يكشف له انه كان مخدوعا لان صاحبه لا قدر له ومجرد عن

الفضيلة فان مثل هذه الخديعة يعد من الشرف . لان هذا الطالب قد وضع نفسه موضع الذل فهو يتحمل أى ألم ليكون فاضلا وحكيا وهذه حال من حالات النفس الجميلة السامية هذا هو الحب الذى يعبد آله ارانيا وهو اورانى النوع وهو اصل انواع الخيرات للحكومة وللأفراد وتأثيره يصير المشاق فضلاء وعدا هذا من انواع الحب الاخرى فهي من عباد فينوس بانديموس . هذا هو ما اردت أن اقله عن الحب دون استعداد يا قديروس ثم سكت بوسانياس .

(اريسطوديمس لرقيقه) تم جاء دور اريستوفانوس ولكن يظهر انه كان مصابا بسعال يعوقه عن الكلام فالتفت الى اريكسا كوس الطبيب الذى كان مضطجعا بجانبه وقال له يا اريكسا كوس من العدل أن تعالج سعالى أو تتكلم مكانى الى أن يزول فقال اريكسا كوس سأفعل الامرين جميعا فاتكلم فى دورك حتى اذا خف سعالك وجاء دورى أتكلم . وطريق العلاج هي أن تكتم التنفس قليلا فاذا لم يزل فتعضض بقليل ماء فاذا لم يزل فخذ منها للخياشيم فتعطس وافعل هذا مرة أو مرتين فيزول السعال مهما كان قويا فقال اريستوفانوس سأتبع نصيحتك انشاء

كلامك ثم بدأ

(أريكساكوس) - حيث أن بوسانياس بدأ خطابه ببراءة ولكنه لم يفهمه ولم يحسن ختامه فساء كمله واملأ الفراغ الذي تركه لقد احسن في تعريف الحب بقوله أنه ذو طبيعتين . فقد علمني علم الطب الذي انقطعت له أن الحب الذي يدفعنا نحو ذوى الجمال ليس موجودا في نفوس الناس فقط بل في سائر المخلوقات فما اقوى واعجب هذا الاله السائد على الارباب والبشر ! ولتشریف حرفتي سأبدأ بسرد أدلة من الطب . أن طبيعة البدن تحتوى على هذين النوعين من الحب لان السليم والمريض من اعضاء البدن لا يستويان وحب البدن السليم غير حب السقيم ومن الشرف تمجيد الاجزاء الطيبة السليمة في الجسم وفي هذا مهارة الطبيب وعلم الطب قائم على معرفه اماكن علاقات الحب في الجسم الانسانى والحكيم الماذق هو الذى يستطيع وضع الحب حيث لا يوجد وطرده من حيث يوجد دون حاجة اليه وعليه كذلك أن يبدل تنافر العناصر فى البدن بشوق فان أشد العناصر معاداة لبعضه البعض هو ماكان مختلفا على خط مستقيم مثل الحرارة والبرد والمرارة والحلاوة

واليبوسة والرطوبة . وقد روى لنا الشعراء أن ايسكاليوس
والد الاطباء الاعلى قد كون علم الطب بعد أن عرف سر
التوفيق بين العناصر المختلفة

ان الرياضة البدنية والزراعة والطب كلها سائرة تحت
تقوذ الحب وبفضله وكذلك الموسيقى وهذا الذي اراده
هيراقليطس بقوله « واحد يخالف لذاته في الظاهر الا أنه متفق
مع ذاته كأنسجام العود والوتر » أنه من الخطأ المحض القول
بان الانسجام يختلف اوانه يوجد بين اجسام مختلفة ولكن
ربما اراد هيراقليطس أن الاصوات التي كانت تختلف في اول
الامر مثل الحاد والثقيل ثم اتفقت بعد ذلك فتتبع الانسجام
طبقا لفن الموسيقى لانه لا يمكن صدور الانسجام عن الحاد
والثقيل اذا اختلفا . والانسجام هو التوافق والتوافق هو
الاتئام والاتحاد والاتحاد لا يمكن أن يوجد بين الامور المختلفة
مادامت مختلفة فلا يوجد اذن انسجام بين الاشياء غير الملتئمة .
أن الاوزان في التوقيع تنتج عن السريع والبطي فانهما يفترقان
أولا ثم يعارضان بعضهما ثم يتم الاتحاد بينهما وهكذا علم الطب
والموسيقى فانهما يوجدان وفاقا بين الاشياء فينتج عنهما الحب

والاتحاد بين الاشياء المتخالفة .

فغاية الموسيقى اذن معرفة ما يتعلق بالحب في الانسجام والنظام
وفي نظام الانسجام والوزن يسهل تمييز الحب والحب المزدوج
لا يمكن تمييزه في الموسيقى ولكن ينبغي استعماله في خدمة البشر
بواسطة النظام والانسجام وهذا ما يسمى بالشعر وتأليف
الانغام أو باستعمال الاغاني والاوزان والاصوات الموجودة
استعمالا صحيحا وهذا ما يسمى بالترتيب فيمكن تمييز كل
واحد من هذه بفضل حذق المتقن . والحب الفاضل ينبغي
تكرمه وحفظه مراعاة لجانب أهل الفضيلة ولاجل أن
تتحسن طبيعة الاشرار بروحه . هذا هو الحب الاراني الجميل
الغائب لوجي أران . أما الحب البندقي فهو عابد بوليهمينا الذي
يجوز أن نخضع له للحصول على اللذة دون الانغماس فيه كما
يجوز بناء على حرفة الطب ان تتمتع بملاذ المائدة دون أن
نعرض أنفسنا للعلل . ففي الموسيقى والطب وفي غيرها من
شؤون البشر والارباب ينبغي تمييز هذين النوعين من
الحب فان فصول السنه كذلك مؤلفة طبقا لهذه القاعدة .
لانه كلما امتزجت الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة

بالحب الطاهر واختلطت بانسجام بالفصول فأنها تجلب النضج
والصحة للبشر ولسائر أنواع الحيوان والنبات فإذا ساد الحب
الخيث على فصول السنة ساد الخراب وعم التلف فينتشر
الوباء وتصاب الكائنات بأنواع الامراض والسقام ويتلف
القمح وتسقط النيرة وتهلك الثمار وهذا ناشئ عن الحب
المضطرب الذي يجذب فصول السنة بعضها نحو بعض
وحرركات هذه الفصول وعلم الكواكب اسمها علم الحياة. ان
كل التضحيات والاشياء التي يوجد فيها التخمين (لان هذه
الاشياء هي الرابطة بين الله والناس) ليست الا علم الاحتفاظ
بالحب وتنظيمه لان الكفر يظهر اذا لم يعبد الناس الحب الطاهر
ولم يخدموه بالاعمال الصالحة . فغاية التخمين هي التمييز بين
هذين النوعين من الحب واصلاح آثار كل منهما فالتخمين
هو سبب الصداقة بين الارباب والناس وهكذا كل نوع من
الحب يملك قوة عظيمة واسعة لاحد لها ولكن الحب الذي
يحث على اكتساب غايته بالفضيلة والحكمة يملك الملك
الاربع ويمد لعابديه أعظم السعادات من طريق الشفقة
المتبادلة بينهم ومن طريق الخير الذي تستطره عليهم من

الارباب

يجوز انى نسيت أشياء كثيرة في ثنائي على الحب
ولكن هذا شأنك يا اريسطو فانوس وعليك ان تملأ الفراغ
الذى تركته أو تقول قولاً آخر لتكريم الرب لان سمالك
قد زال

(اريسطو فانوس) — (بعد ممازحة وجيزة) أردت ان

يكون مقالى مخالفا لما قال بوسيانوس واريكسا كوس يظهر
لى أن البشر لم يفقهوا الى الآن معنى قوة الحب فلو فقهوا
لملأوا الارض معابد وهياكل يقدسون ذكره فيها ويقدمون
له الضحايا ويقيمون له أجل وانتم الرسوم والشعائر لان
الحب هو الحق الارباب بالعبادة ولما يعبد . وهو أصدق
الارباب للبشر وهو آسى الجراح التى يكون علاجها أعظم
سعادة لى الانسان وسأحاول ان اشرح لكم قوة الحب
الحقيقية ويمكنكم ان تنقلوا هذا القول عنى لتيركم

ينبنى لكم أولا أن تعرفوا طبيعة الانسان والحوادث
التي مرت عليه . لان طبيعته كانت فى قديم الزمان مخالفة
لما هي عليه الآن . ففى بداية الامر لم يكن النوع مقسما الى

جنس الذكر والاثني بل كان جنس ثالث مشترك بينهما ولا يزال اسمه موجوداً وإن كان الجنس ذاته قد فنى وكان هذا الجنس المشترك أو الخنثي يشبه في شكله المرأة والرجل معاً وفي العهد الذى أشير إليه كان شكل الانسان مستديراً وكان الظهر والجانبان ملتصقين باستدارة ولكل جزء أربعة أذرع وأربعة أرجل ووجهان مركبان على عنق مستدير وأربعة آذان مع كل ما يمكن قياسه على هذا النظام وكان هذا الجنس البشرى يسير مستقيماً في أية جهة شاء وكان اذا أراد الاسراع يستعمل أيديه وأرجله ويتحرك حركة دورية سريعة أما سبب وجود هذه الاجناس الثلاثة فراجع الى أن الذكر جاء من الشمس والاثني من الارض وهذا الجنس الثالث من القمر والقمر جرم له طبيعة مخشبة لذا كان مستديراً مشابهاً للقمر . وكان هذا النوع قوياً مملوءاً بالفكر السامية وأفراده أول من حارب الارباب وما رواه هوميروس عن افيلاطوس واوتس من أنها حاولت الصعود الى السماء تلجع الارباب وانزالها عن غروشها كان لا شك متعلقاً بهذا النوع . وقد تشاور جوييتير ومن معه من الارباب فيما ينبغى عمله في مثل هذه الازمة

لأن الأرباب لم تكن تريد اهلاك هذا النوع لئلا تحرم من الضحايا التي كان يقدمها ولم تكن كذلك لتصبر على وقاحتهم وتعتيهم وكفرهم فطلب المشتري أن يسود السكون ليتكلم ثم قال :- أظنتني وجدت طريقة لاضفاف الجنس البشري وتقليل وقاحته دون أن نشرع في هلاكهم فسأشق كل واحد منهم نصفين وبذا يضعفون جميعاً ولكن يبقى ثلثهم لكثرة عددهم وسيسير كل واحد منهم على قدميه مستقيماً فاذا أظهر واوقاحة بعد ذلك فسأشق كل واحد نصفين فيسير كل على رجل واحدة وقد ألحق القول بالفعل وشق كل انسان شقين كما يشق بعض الناس البيضة بشعرة . ثم طلب الى ابولون ان يأخذ كل واحد ويديره أثناء عملية الشق نحوها ليراها ويعتبر ويخضع ثم يعالجه فكان أبولون يدير الوجه ويسحب الجلد على ما نسميه الآن بطناً ثم يربطه من الوسط وهذا ما يسمى بالسرة ثم انه أخذ في معالجة الصدر بأداة تشبه الاداة التي يصلح بها صنّاع الاحذية الجلد . ثم ترك بعض الثياب في البطن لتدل على ذلك التاريخ القديم وبعد تلك العملية كان كل نصف يريد الاتصال بنصفه الآخر فيأتي أحدهم بنزاعيه حول النصف الآخر

مؤملاً أن يعودا إلى ما كانا عليه ثم أنهم عزموا على أن تعصب
الانصاف فلا تقوم بفعل ما دون النصف الآخر فتأوا جوعاً
وضمناً . فكان الذي يبقى بعد نصفه الآخر يضمه إلى صدره
إن كان امرأة أو رجلاً ويبقى هكذا إلى أن يلحق به فلما رأى
المشتري ذلك أشفق عليهم وفكر في حيلة أخرى وهي التي
ينتج منها النسل بعد انضمام الرجل للمرأة ومن هذا التاريخ
وجد الحب المتبادل بين أفراد النوع وهو الموفق بين طبائعهم
الأصلية الذي غايته جعل الاثنين واحداً وتخفيف هول المصائب
على الانصاف المنشئة . فكل واحد منا هو نصف ناقص
لواحد كامل وغاية كل منا هي البحث عن نصفنا الآخر (١)
فالشخص الذي وصفته يكون على الدوام محباً صادقاً وصديقاً
مخلصاً فرحاً بما يوافق طبيعته فعند ما يلتقي هذان النصفان
فيرتبطان برابطة الحب السابق ويرابطة الحب والرغبة وحاجة
الاجتماع لا يريد أن يفصل أحدهما عن الآخر ولو لحظة
هؤلاء هم الذين يعطي كل واحد منهم حياته الآخر بشوق

(١) يقول الرجل الانجليزي عن امرأته أنها His better half
أي أفضل نصفه .

ولوعة لا طائل تحتها للحصول على شيء لا يفهمونه لانه ليس
فقط حرصهم الحسي باختلاطهم الذي من أجله يهب كل واحد
منهم ذاته للآخر انما نفس كل واحد منها تظلم لشيء في
الآخر لا يمكن التعبير عنه وتبقى النفس في حيرة بما تطلب
وتسود الدنيا في وجهها من شدة ألمها . فاذا قال فولكان
لهؤلاء الاشخاص المحيين : يا أيها الناس ماذا يطلب أحدكم
من الآخر ؟ فاذا ارجع عليهم فقال لهم ألا تطلبون أشد اتحاد
وانفراد بينكم حتى لا يمكن فصلكم بعد ذلك مطلقا . اذا كان
الامر كذلك فماذا يصحكم جميعا وأعيدكم أفرادا لا يفصلكم فاصل
فهل هذا يرضيكم ونحن نعلم انه لا يأتي عليه ذلك أحد بل
يعتقد كل أن هذا هو ما كان يتطلب وهو أن يعتزج الواحد
بالآخر ويذوب معه ليعودا الي ما كانا عليه وسبب هذه
الرغبة أننا كنا في بداية الامر واحداً فنحن نحب العودة الى
الاتحاد . لان انشقاقنا قد أضعفنا فمرانا الاضمحلال كما حدث
للارقاديان بواسطة الاسيدرومينان . على اننا لا تزال نخشى
عاقبة تمردنا من جديد فنشقى نصفين ونبقى كالصور المرسومة
على العمدان فينبغي لنا أن نتخلص في عبادة الارباب والتوسل

اليها فتتجو من عقابها ونحصل على الاشياء التي يمحنتنا الحب
أميرنا وسيدنا على الرغبة فيها، فان اغضاب الالهة بعد عضياننا
لأوامره لا لنا اذا حسن سلوكنا نحوها فقد يكشف لنا
عن أنصافنا التي تلمسها ولا نجدها، وهذا حفظ يقع الآن
للتأجرين منا.

فأنا أوكد أن سعادة الجميع رجالا وانا كائنة في
اتمام غاية الحب، وفي امتلاك كل منا محبوبه وبذا يمكن أن
نمر نوعا لطيفتنا القديمة، فاذا كان في هذا غاية السعادة
فأقرب شيء للسعادة امتلاك الدين توافق طبائهم وغرائزهم
طبائنا أكثر موافقة والاجتماع بهم.

واذا أردنا أن نمجد الهة بصفته خالق هذه السعادة فلا بد
من تمجيد الحب بأغاني الفرح، لانه في حالنا الحاضرة يعضدنا
ويساعدنا لدى الضيق، ويعطينا آمالا كبرى في أن يعيدنا سيرتنا
الاولى اذا استمررنا على التقى نحو الالهة، وعيننا بأن يهتنا
السعادة التامة التي لا يلائم طبائنا سواها.

هذا يا أريكنما كوسن ختام خطابي على الحب «

ثم تلت محادثة فكاهية بين سقراط واجاثون وفيدروس،
ثم تكلم الثاني بحسب دوره قال :

(اجاثون) — ان الذين سبقوني قد أثنوا على الحب ثناء
عظيما ، هناؤا البشر على ما منحهم اياه هذا الرب من أنواع
المطايا والسعادات ولكن لم يقل لنا أحد شيئا عن حقيقة هذا
الرب الذي سبب كل تلك النعم فينبغي أن نعلم أولا ما
هي المنح والمطايا التي أعطاها ذاك الاله ، ثم نعرف حقيقة
الرب ذاته . . ينبغي أولا حمد الحب ثم ذكر عطاياه . فأقول
إنه ولو أن الآلهة كلها سيدة سمادة أبدية الا أن الحب اذا
ساعدني صوتي على التصريح بتلك الحقيقة الكبرى أسعد
الارباب وأنقصرها وأجملها . أما كونه أجملها فلانه أصباها
وأسرعها زوالا وأنقصرها من كل عتيق . وقد قال المثل القديم
« شبيه الشيء منجذب اليه » وهو ينطبق على ارتباط الحب
بالشباب وأقول ان الحب ليس أصبي الارباب فقط بل ان صباه
أبدى .

أما الحوادث التي وقعت بين الارباب ورواها هسيود
وبارمينيدس ان صحت فلم يكن الحب دليلا عليها انما

الضرورة ، لأنه لو كانت الحب حيثئذ في السماء لما حدثت
تلك الجرائم الفظيعة الدموية بل لساد العطف والسلام
الذي ان يعيش فيها الآلهة الآن تحت تأثير الحب إذ أن
الحب صبي فهو لين رقيق وكنا نحتاج الي شاعر مثل
هوميروس ليصف لنا رقة الحب ولطفه فقد قال ذلك الشاعر
إن إلهة النكبات رقيقة وأقدامها كذلك لينة هينة لأنها لا تسير
على الأرض بل على رؤوس الرجال ، ويدلل على لين أقدامها
بقوله أنها تسير على ما هو لين ومثل هذا البرهان كاف لإثبات
بين الحب ورقيقته لأن الحب لا يسير على الأرض ولا على رؤوس
الرجال وما هي بالينة ولكنه يسكن تنابا الأحشاء ويسير على
ألين الأشياء وقد جعل مقر ملكه نفوس الأرباب وقلوب
البشر وهو لا يأوي إلى كل النفوس. لأنه إذا رأى طبيعة جافة
أو قسا خشة فإنه ينفر منها ويتعد عنها ولا يألف إلا النفوس
(الينة الرقيقة فلماذا كان أرق الأشياء لأنه يلنس بحقة بأقدامه
للرخصة اللطف جزء من أرق الأشياء وألطفها .

فهو إذن أصبي الأرباب وألطفها وأكثرها لينا وسيوالة
ولو كان غير ذلك ما أمكنه أن يلتف حول كل شيء وينفض

في كل نفس فالسيولة والفيضان من طبيعته المنتظمة لانه
يبادي كل ما كان مشوها . ويقضى حياته بين الزهور وهذا
سبب لين جلده وجماله لانه لا يطوف الا بالنفوس التي لا يزال
عطر زهورها عابقاً هذا فيما يتعلق بجمال الحب فلتكلم الآن
عن قوته وفضيلته : ان احسن صفاته انه لا يسبب الاذى
ولا يحمسه في علاقته بالارباب والناس . واذا تألم من شيء
فليس سبب الله الشدة أو القسوة كذلك هو لا يفعل شيئاً
فيه قسوة أو شدة لان كل انسان يفعل ما يأمره الحب بمحض
ارادته ورغبته وكل ما يمنحه الحبيب محبوبه يكون بمحض
ارادته وهذا تبيحه القوانين التي هي ملوك الجمهورية

وفضلاً عن العدل فان الحب في غاية الاعتدال لانه اذا
كان الاعتدال كونه المتصف به يترفع عن الملاذ والشهوات
ويقدر على الضغط عليها فالحب الذي لا يوجد سرور اشد منه
بعد أحلى وأمتع الملاذ ولذا لا بد أن يكون أكثر الاشياء
اعتدالاً . ان المرنج لا يمكنه ان يفاخر الحب في الشجاعة والقوة
لان الملاك اقوى على الدوام من المملوك والذي يغلب اقوى
الارباب لا بد أن يكون اقوى منها جميعاً ولا يخفى ان حب

الزهرة تمتلك الريح

وبعد الكلام على عدل الحب واعتداله وقوته بقي الكلام على حكمته فأقول : أن هذا الرب شاعر عاقل حتى أنه يستطيع أن يخلق شاعرا من رجل لم يكن كذلك لأن كل إنسان منها كانت حال نفسه مضطربة قبل الحب فانه يفضل الحب يصير شاعرا . وهذا دليل على أن الحب شاعر وماهر في هذا الفن حسب قواعد الموسيقى لأن ما لا يملكه الإنسان أو يجهله لا يستطيع أن يعطيه أو يعلمه سواء ومن ذا الذي ينكر أن الشعر الإلهي الذي يخرج سائر الأشياء الحية الموجودة على ظهر الأرض ليس منسجما بحكمة الحب . ليس من الثابت أن الحب واضح فنون الحياة التي نعرفها ومن كان الحب معلما يصير عظيما وكبيرا كما أن من يجهل الحب يبق طول حياته غير ملتفت اليه خاملا . لقد اخترع أبولون الطب والتخمين والرماية مقودا إلى ذلك بالرغبة والحب فكان أبولون تلميذ الحب وبواسطته اكتشفت « عرائس الشعر » فنون الأدب كذلك تعلم قولكان معالجة المغاذن ومنرفا فن النسيج والمشتري سر السيادة التي يمارسها الآن على

الارباب والناس . وهكذا تعلت الارباب كل فن بفضيل
« حب الجميل » لانه لا يوجد حب نحو الاشياء المشوهة .

في اصل الاشياء حدثت بين الارباب قطائع دعت اليها
الضرورة ولكن عندما ظهر هذا الرب بفضيل الرغبة التي
تجذب العالم دوما نحو كل جميل نزلت البركة على كل من
كان في الوجود من الالهة والبشر . يظهر لي أن الحب اجمل
وأفضل الارباب وسبب كل المفاتيح المركبة في طبيعته . أن
الحب هو الرب الذي يخلق السلام بين الرجال ، والهدوء في
البحر ، وسكون العواصف ، والراحة والنوم لدى الحزن . الحب
تجردنا من البغض ويملا قلوبنا الجمالية بالعطف وهو الذي
تجمعنا في الاعياد والافراح والمراقص والولائم . ان الحب
تمطر الخير والوداعة على الارض وتفر من وجهه سائر الميول
الخسنة . وتهلك وهو موجد سائر انواع المودة ومهلك الافكار
الردیثة وهو الرحيم الوديع موضع اعجاب العقلاء ومسرة
الارباب يملكه السعداء ويشتهيها الاشقياء الذين شقوا لانهم
لا يملكونه ، والد الامان واللفظ والركة واللين والفرح والرغبة
وبه يمتز كل ما كان خيراً ويهلك كل امر سيء وهو افخر

مرشد لنا وأحسن مدافع عنا والمحافظة علينا في تمينا وخوفنا في
شهراتنا وفي تمقلنا، زينة كل شيء، وحاكم كل شيء، رباني وإنساني
وينبغي لكل إنسان أن يقتني أثره مرتلا ثناءه آخذاً بنصيبه
في الانسجام الإلهي الذي ينشده الحب طرباً بالأشياء الحية
الموجودة. ومهداً للعقول المتعبة لدى الأرباب والناس .

هذا ما أردت أن أقول في الثناء على الرب .

وبعد مناقشة قصيرة بين سقراط وأزيكسا كوس

وفيدروس بدأ سقراط العظيم خطابه فقال :

(سقراط) — أثنى اثنى يا اجاثون الحبيب على بداية

مقالك حيث ذكرت أنه يجب أن نعرف أولاً طبيعة الحب ثم
نعرف أعماله وهذا نظام أوافق عليه وحيث أنك استعنتنا مقالاً

جميلاً بليغاً عن الحب فانك لاريب قادر على أن تمجيدنا على

هذا السؤال وهو هل الحب هو حب شيء أو حب لاشيء، فقال

اجاثون أنه طبعاً حب شيء ... قال سقراط اذكر لي هل الحب

يشتهي الشيء الذي هو موضوعه قال اجاثون لا شك أنه

يشتهيه. سأل سقراط فإذا كان يملك الذي يشتهيه فهل يحبه. قال

اجاثون أظن يشتهيه ويحبه إذا كان لا يملكه . قال سقراط :

لاحظ اذن ان الرغبة تشتهى ما تطلب ولا تملك ولا تشتهى
 الا ما تطلب . فهل يريد من صار شهيرا أن يصير شهيرا من
 جديد وهل يريد القوى أن يكون قويا؟ فاذا شاء الصحيح أن
 يكون صحيحا والقوى أن يكون قويا ينتج من هذا انهما لا
 يزالان يشتريان منافع أمور يمتلكانها فلو فرضنا أن شخصا يملك
 تلك المنافع فهل يمكن أن تكون هي غاية رغبته ولو ان شخصا غنيا
 يقول أريد أن اكون غنيا فلتقل له انك غني ولا معنى لطلب ما
 هو لك وانما يمكنك ان تطلب استمرار تلك الحال . وينتج من
 هذا أنك عند ما تشتهى شيئا تملكه انما تريد بذلك دوام
 الامتلاك . اليس الحب حيثئذ هو حب ما ليس في وسعنا
 الحصول عليه كذلك حب ما لا يمكن استبقاؤه في المستقبل
 وان كنا حاصلين عليه في الحال . فالحب وكل شيء يشتهى شيئا
 آخر انما يشتهى ما هو غائب وبعيد عنه أى الشيء الذي ليس
 له ولا يخفى ان الشيء الذي يشتهى شيئا آخر لا بد ان يكون
 منابرا له . هذه هي الاشياء التي تحب وتشتهى . ان الحب
 يحب ما يشتهى ولكن لا يملكه فالحب يطلب ولا يملك الجمال
 فهل يسمى جميلا ما يتطاب الجمال ولا يملكه؟

قال ايجاثون: كلا . قال سقراط اذن هل تؤكّد ان الحب جميل بعد ان سلمت بكل ما سبق ؟ لقد قلت بان كل خير يعد جميلا فقال ايجاثون نعم قال سقراط فاذا كان الحب في حاجة الى الجمال والاشياء الجميله فهو لاشك كذلك في حاجة الى الخير . قال ايجاثون اننى لا أستطيع أن انقضك ياسقراط . قال سقراط أنك لا تستطيع نقض الحق أما سقراط فانك تستطيع نقضه

ثم ترك سقراط السؤال على طريقته المنطقية وقال (سقراط) — كما قلت يا ايجاثون ينبغى لنا أولا ان نتكلم عن طبيعة الحب ثم عن اعماله . قالت لي ديوتيميا النبيرة ان الحب ليس جميلا وليس خيرا انما هو بين الاثنين انه شيطان والشيطان وسط بين الربانى والانسانى فسألتها عن قوته وطبيعته فقالت انه يفسر الاشياء الربانية والاشياء الانسانية ويصل بينها وينقل الصلوات والتضحيات من البشر للارباب ويوصل أوامر الصلاة والعبادة من الآلهة الى البشر . وهو عملاً الفراغ بين هذين النوعين فيربط بقوته سائر الكون ويفضله بقي التخمين والوحي والعلم المقدس والتكفير والتنبؤ والسحر والطبيعة

الربانية لا يمكن أن تتصل مباشرة بالطبيعة البشرية فكل ما يعطيه الأرباب للناس بفضل الاختلاط والمواصلة في نومهم وفي صحوهم هو نتيجة تداخل الحب . والعارف بعلم الاتصال يعد سعيداً للغاية وله نصيب وحصّة من طبيعة الشيطان ولكن من يعرف فناً أو علماً آخر يبقى طول حياته أسيراً عادياً وهؤلاء الشياطين كثيرون ومتعددون والحب أحدهم

فسألتها من ولد الحب فقالت ديوتيا إن هذا تاريخ طويل ومع ذلك فسأشرحه لك ، عندما ولدت فينوس أقام الأرباب عيداً وبين من حضروه « الوفور » ابن متيس . فبعد العشاء رأت « الحاجة » تلك النزارة العميمة فجاءت تسأل ووقفت بجانب الباب وكان « الوفور » قد سكر من شرب الرحيق لأن النبيذ لم يكن قد اخترع بعد فخرج إلى حديقة المشتري ونام نوما عميقاً فأرادت الحاجة أن ترزق من الوفور بفلام لضعف حالها فرقدت بجانبه وأغرته فضا جمعها فولدت الحب ... فالحب هو خادم فينوس لأنه حمل فيه في عيد مولدها ولأنه بطبيعته يحب لكل جميل وكانت الزهرة جميلة . ولما كان الحب هو ثمرة وصال الوفور والحاجة فحظه مثل حظ والده

فهو فقير على الدوام وبعيد عن الرقة والجمال على عكس ما يتخيله
البشر بل هو قذر وممزق الثياب ويطير على مقربة من الارض ولا
مأوى له ولا حذاء ينتمله وينام بلا غطاء امام الابواب وفي
الطرق التي لا يحجبها ستار وهو في تلك الامور كلها تابع لطبيعة امه
وهو على الدوام رفيق الفقر اما نصيبه من طبيعة ابيه فظاهر
في انه على الدوام يفكر في الحصول على الاشياء الجميلة الصالحة
لا يخاف وهو شديد وقوي وفي الصيد ماهر وعلى الدوام
يدبر حيلة جديدة وهو في غاية الحذر والاحتراص وعني
بالافكار والوسائل وهو طول حياته حكيم وساحر وسفسطائي.
وحيث ان طبيعته ليست خالدة وليست قانية فهو في اليوم
الذي يفوز فيه ويساعده الحظ يزهر ويزهو ثم يموت ثم
يعود الى الوجود كما هي طبيعة ابيه وكل ما يكسبه يفيض عنه
فالحب ليس غنيا ولا فقيرا وهو في برزخ بين العلم والجهل. ان
الارباب لا يتفلسف لانها حكيمة والحكيم لا يتفلسف لانه
مكتف بحكمته كذلك الجاهل لا يتفلسف لانه لا يتطلب
الحكمة لحسن ظنه بنفسه. انما اوساط الناس هم المتفلسفون
كذلك الحب يتفلسف لانه بين العلم والجهل ولان الحكمة من

أجل الأشياء والحب يظن لكل جميل لذا هو محب للحكمة
ولأن الحكمة في موضع وسط بين الجهل والعلم وسبب
ذلك ظاهر في نسبه فهو ابن والد غنى عاقل وام فقيره جاهلة
قالت ديوتيا هذه هي طبيعة الحب الشيطانية يأسقراط
وقد خلطت الحب بالمحبوب الذي هو وحده الجميل الرقيق
اللطيف واطلقت صفات المحبوب على الحب . قلت لها ايتها
النبية النورية أن في كلامك روح الاقتناع فإذا كانت هذه
هي طبيعة الحب فماذا يستفيد منه البشر ؟ فقالت ان الحب
هو حب الأشياء الجميلة . فإذا سألتنا احد لماذا كان الحب هو
حب الأشياء الجميلة ؟ (وبعبارة اخرى ماذا يحب العاشق في
الشيء الجميل الذي يعشقه فالجواب فقلت لها انه يحب امتلاكه
فقالت وماذا يملك الذي يمتلك الشيء الجميل . فقلت لها لا يمكنني
أن أجيب لسألتى . فقالت ولو بدلت الجميل بالخير فماذا يحب
العاشق في الشيء المحبوب ذلك الذي يحب الخير . فقلت يحب
امتلاكه فقالت وماذا يملك اذا امتلك الشيء الخير فقلت لها
إن الجواب سهل وهو انه يمتلك الشيء الصالح فيكون سعيد
فقالت اذن الناس تسعد بالامتلاك ومن البعث أن أسألك

عما يطلب ذاك الذي يطلب السعادة لان الجواب في السؤال
ولكن هل تظن أن هذه الرغبة عامة لدى كل الناس وأن كلهم
يطلبون أن يكون الشيء الخير ملكا لهم وحاضرا لديهم دواما.
فقلت لها نعم أن هذه الرغبة عامة قالت إذن لماذا لا نقول
يا سقراط أن كل الناس يحبون اذا كان الجميع يحبون شيئا
واحداً ولكتنا نقول ان البعض يحبون والبعض لا يحبون
فقلت لها نعم اننى أعجب لهذا ولا أخير جوابا !

فقلت ديوتينا لا تعجب لانا اخترنا نوعا واحداً من
الحب وأطلقنا عليه الاسم العام الشامل لكافة الانواع. فقلت
لها اضربي لى مثل تعميم اسم شيء خاص قالت الشعر انه
اسم عام يدل على كل سبب يخرج بواسطة شيء من لا شيء.
فممارسة اية صناعة اختراعية بعد نوعاً من الشعر وكل أرباب هذه
الصنائع والفنون هم شعراء ولكن لا يطلق عليهم اسم شعراء
انما يعرف كل واحد منهم باسم خاص به وقد فصل عن هذه
الانواع النوع المتعلق بالموسيقى والوزن وأطلق عليه الاسم
العام للجنس ولا يطلق اسم الشعر على غيره ولا يسمى شعراء
الا من يمارسونه كذلك الامر في الحب فان الحب بمعناه

النام هو الرغبة الصادقة في إمتلاك السادة وإمتلاك ما كانت
 صفته الخير . وهذا هو أعظم وأرق حب يسكن قلب الأحياء .
 أما الذين يتمسكون بهذه الغاية بواسطة اكتساب الغنى أو
 بممارسة فن الجمنسطقى (١) أو الفلسفة فإن كلا منهم لا يعشقون
 ولا يتمسكون عشاقاً إنما هناك نوع واحد من العشق يطلق عليه
 هذا الاسم ومن يمارسون هذا النوع يتمسكون عشاقاً وهم الذين
 يتمسكون الوصول إلى الرغبة العامة بواسطة نوع واحد من
 الحب وهو النوع الذي يعرف بالاسم الذي يطلق على الأنواع
 كلها فيؤكد البعض أن العاشقين إنما يتمسكون النصف
 المفقود إنما أناؤكد أن الحب ليس حب النصف أو الكل
 إذا لم يلتق الحب بالخير وحيث أن الناس يقطعون أيديهم
 وأرجلهم برغبتهم إذا كانوا يظنون أنها مجلبة الشر عليهم . كذلك
 البشر لا يميزون ذلك الذي في حوزتهم لمجرد كونه في
 حوزتهم إلا إذا أراد البعض أن يقول أن الشيء الخير ملتصق
 بطبيعته وهو ملك له وأن الشيء الرديء هو غريب
 عنه وطاريء عليه وأنه لا يجب إلا الشيء الخير . فإذا تقرر

(١) معناه بالحرف عن اليونانية رياضة البدن عازياً

ذلك. فهل نستطيع ان نؤكد ان الناس لا يحبون الا الخير ؟
قلت بلا ريب قلت ويحبون أن يكون هذا الشيء ملكا لهم
وأن يكون دواما حاضرا لديهم . قلت نعم قلت ديوتريا
إذا كان هذا هو التعريف العام للحب فهل يمكنك أن تقول لي
ماهي أفعال الحب وماهي الطرق التي يصل بها للحصول على
غرضه ؟ فقلت لها لو علمت الاجابة على هذا السؤال يا ديوتريا
ما احتجت اليك ولا عجيت لحكمتك ولا طلبت سؤالات
للاستفاده فقالت : أن الحب هو رغبة التماسل والتسلل في
الشيء الجميل فيما يتعلق بالنفس والجسم معا فان كلامن النفس
والجسم للانسان يحمل في ثناياه بذور التناسل فاذا بلغ الانسان
سنه مملوئة تدفعه الطبيعة لوضع هذه البذور والطبيعة لا يمكنها
تلقيح المشوه ولكنها تستطيع التلقيح في الجميل . فعلاقة الذكر
بالأنثى في التناسل عمل مقدس الهي مع ان الحمل والوضع
عملان خالدان في الفناء . فالجمال هو القضاء الذي يقضى
بالتناسل لاجل هذا كان الشيء المملوء بمادة التلقيح اذا دنا من
الشيء الجميل يطير فرحا ويفيض لذة ثم يأخذ في التلقيح والتناسل
ولكنه اذا دنا من الشيء المشوه انقبض من الحزن ثم يقبض

مادة اللقاح عن الشيء القبيح ولا ينتج اما الشخص المملوء
بمادة اللقاح ويكاد يفيض من شدة الرغبة فيكون اندفاعه نحو
الجميل قويا جدا بسبب الألم الذي يحصل له من الامتناع عن
اخراج مادة اللقاح التي يحملها . فالحب ياستقراط ليس اذن
هو حب الجميل قلت لها اذن ماهو قالت هو حب التناسل
والاكتاج في الجميل . قلت لهما لماذا التناسل ؟ قالت لانه
شيء خالده في القناء . لا ينتج بالضرورة عما قلنا . انما نطلب الخير
فقط انما نطلب بقاءه ملكا لنا الى الابد فالحب هو اذن رغبة
الابدية . ثم قالت لي ديوتيا ماذا تظن . ياستقراط سبب هذا
الحب وهذه الرغبة الا ترى كيف ان انواع حيوانات الارض
والهواء اذا أصابتها رغبة التناسل تصاب بشبه داء يدفعها أولا
الى الاختلاط الجنسي . فاذا اختلطت استمرت في جهاد عنيف
للحصول على غذاء لذاتها ولنسلها فيحارب ضعيفها قويا بل
تفضل القناء على ترك نسلها فريسة للجوع فاذا قلنا ان البشر
يفعلون هذا بعامل العقل فهل تعرف بأي ذافع يفعل الحيوان
هكذا اذا أصابه الحب قلت لا قالت ان الطبيعة الغانية تلمس
الخلود بكل الوسائل ولا يمكن اتمام هذا الا بالتناسل الذي

يوجد فرداً جديداً مكان القديم لأن الانسان وإن كان يظن
أنه هو ذاته لا يتغير الا أنه يتغير عدة مرات في حياته بالتغير
الذي يصيب الشعر واللحم والجسم كله . وليس هذا التبديل
فأعزاً على جسم الانسان بل هو أيضاً يحس الروح فإن خلاله
وأراءه ورغباته وأحزانه ومخاوفه كلها تتبدل وبعضها يموت
ولا يبقى له أثر ويتلوها غيرها والاغرب من هذا أن معرفة
الانسان ذاتها تتجدد كذلك كل شيء من أفكارنا تحدث له
الثورة ذاتها . وإن ما يسمى بالتأمل أو تمرين الذاكرة إنما هو علم
فرار الذاكرة أو رحيلها لأن النسيان هو خروج المعرفة
والتأمل يدعو إلى الذهن ذاكرة جديدة غير التي ذهبت
فيحفظ بالمعرفة ويستبقها بالمعرفة مهما تغير مكانها وتحولت
فهي هي على الدوام وبهذه الطريقة يحفظ بكل شيء وليس
معنى هذا أنه ثابت وخالد مثل الشيء الرباني إنما هو يترك
في مكان الشيء القديم الفاني شيئاً جديداً يشبهه وبهذه
الوسيلة يأسقراط يكون للجسم والأشياء الأخرى نصيب في
الخلود أما الشيء الخالد فخالد بمعنى آخر فلا تندهش إذا رأيت

كل شيء بطبيعته يعز بما ينتج عنه لان هذا الحب الصادق هو
تفاق باذبال الابدية . فقلت لها يا أيتها الحكيمة هل هذا
الذي قلت صدق ؟ قالت ، كأنها فيلسوف مغالط ، اذا نظرت
الى حب المجد وتقاني الرجال في سبيل العلا أدركت كل ماقلت
لك وعلمت السرفى حب الخلود وبقاء الذكر . ان من كانت
ابدانهم وحدها محملة بغض الخلود يجذبون نحو النساء
ويبحثون بواسطة انتاج الاولاد عما يتخيلون فيه السعادة والبقاء
والذكر الخالد ولكن الذين تحمل نفوسهم أكثر من اجسامهم
ترام يلدون ويضعون ما هو أكثر ملاءمة للنفس . وما هو الملائم
لنفس ؟ هو الذكاء وكل قوة اخرى من قوى العقل وكل لذة
يوجد بها الشرايع المتفتنون المتعلقون بفنون الاختراع والخلق
واعظم انواع الحكمة هي التي تنظم الحكومة وحياة الاسر
وهي المسماة بالعدل والاعتدال فمن يشعر منذ صباه بان نفسه
حامل بهذه المفاخر فهو ربانى النفس فلما يحين الوقت يريد ان
ينتج ، فيهم ليبحث عن الجميل الذي يمكنه ان يضع فيه ما هو
جامل . لانه ليس هناك تناسل في المشوه فهو يضم الاجسام
الجميلة طامها للبدأ الذي في نفسه والذي يريد على الدوام الخلود

والبقاء فاذا لقي مع جمال الشكل تقسا جميلة كريمة لطيفة فهو
يضم الاثنين معا ويبدأ يتهدب موضع حبه ثم توجهي اليه رغبة
شديدة في ان يصرح بما هي الفضيلة وماذا ينبغي أن يكون
عليه ذلك الذي يريد امتلاكها وما هي الواجبات التي تقتضيها
لانه بمجرد اختلاطه بالشئ الجميل ولمسه يضع ما كان يحمله
منذ صباه ويندئ ويهذب الذي يخرج منه مع موضع حبه
الذي لا تنفصل صورته عن ذهنه في غيابه أو في حضوره ولهذا
كان الذين يتحدون على هذه الصفة يكونون مرتبطين برابطة
أقوى وحب أعظم لكونهم يخلفان نسلا أعز واجمل من نسل
الازواج الآخرين . وكل من يفكر في النسل الذي تركه
هو مير وهسيود وغيرهما من كبار الشعراء وفي أن هذا النسل
هو مصدر ذكرهم الخالده وشهرتهم الدائمة أو ينظر الى بنات
نفس ليكرجوس أو الى القوانين التي خلقها صولون وفي الاعمال
الكبرى التي تركها العظماء في بلاد اليونان وفي بلاد البربر أثرا
وعهدا للحب الذي كان بينهم وبين الجمال يفضل أن يكون
والدائش هو لاء الاطفال دون الاطفال الذين يولدون في
شكل انساني لان الشرف الالهي والثناء الانساني عادا عليهم

من مثل هؤلاء الاطفال ولكن لم يعد عليهم شيء منهما بسبب
الاولاد الآدميين

ان الذي يتوق الى الحب الحقيقي ينبغي له منذ صباه أن
يسعى في الاتصال بالاشكال الجميلة ثم يجعل شكلا واحدا
جميلا موصفا لحبه ثم يلقيه بالمفاخر العقالية ثم عليه أن يعتقد
أن الجمال انما جل هو شقيق الجمال في أى شكل آخر فاذا كان
واجبه أن يتقصى اثر الجمال في الاشكال فيكون من الجهل أن لا يعلم
أن الجمال واحد وان تعددت الاشكال فيطفيء قليلا من جذوة
تعلقه بشكل واحد ليقف حبه على سائر الاشكال ثم هو
كذلك يعتبر جمال النفوس ارقى من جمال الابدان فاذا وجد
شخصا ذا نفس جميلة ولكن زهرتها ذوت فان ذلك لا يمنعه عن
وقف حبه وعنايته على هذا الشخص واتخاذة رفيقا لانتاج
الأشياء الجميلة التي تحملها نفسه ثم يكون واجبه أن يهذب هذا
الشخص فيبدأ بتعليمه العلم ليرى فيه جمال الحكمة وبذا يتأمل
في الجمال فيخلص من ربق عبادة الجمال والحب في شكل خاص
بل يلتفت بعين نفسه الى محيط الجمال العقلي فيستخرج بجمال
الاشكال التي يراها ما كان كامنا في نفسه من افكار الحكمة

فاذا قوى واشتد يشتغل بعلم واحد وهو علم الجمال العام .
ومن تعلم وتهذب في الحب الى هذه الدرجة بتأمله في
الاشياء الجميلة بالتدريج وحسب ترتيبها الوجودي فقد حصل
الآن على غاية الحب ويرى فوراً وفجأة نوعاً من الجمال عجيباً
في طبيعته وهذا هو الجمال الذي لا جيله تكبدت كل هذه
المشاق . وهذا الجمال خالد ولا يمكن انتاجه ولا يمكن اهلاكه
ولا يمكن زيادته ولا نقصه وهو لا يشبه الاشياء الاخرى في
أنه جميل من جهة ومشوه من جهة أخرى وليس جميلاً بالنسبة
لشيء ومشوهاً بالنسبة لشيء آخر وليس هو جميلاً هنا ومشوهاً
هناك وليس جميلاً في اعتبار انسان ومشوهاً في اعتبار انسان
آخر ولا يمكن تصور هذا الجمال للذهن كتصور جمال الايدي
والوجوه أو أى عضو من البدن أو تصويره كجمال علم من
العلوم . وليس له وجود معين وليس في الارض أو في السماء
أو في مكان آخر ولكنه على الدوام ذا شكل واحد ثابت
لا يتغير ملائم لذاته

وكل الاشياء الاخرى جميلة بواسطته مع فرق واحد
وهو انها عرضة للانتاج والهلاك ولكنه ليس عرضة للزيادة

والنقص وهو ممزوج بالحقيقة ذاتها . فهو يخرج الفضيلة ذاتها
ويتغذى بها ويصبح عزيزاً لذى الارباب فاذا صحت هذه
النعمة لبشر كان هو لاشك خالداً غير قان

هذا هو . يا فيدروس ما قالت لي تلك النبوة الغريبة وقد
اقتنعت بقولها فشغلت نفسي من ذلك الحين باقناع الآخرين
بأنه لا يوجد رفيق غير الحب لايجاداً لاتصال بين الخلود وبين
طبيعتنا البشرية القانية لذا اطلب من كل منكم أن يكرم الحب
ويشرفه ولهذا أنا الآن احمد الحب على قدر استطاعتي وهذا
المقال الذي قلته هو هدية وثناء وصلاة مني الى الحب . »

فأنت الجماعة على خطاب سقراط وهم أريسطو فان باءاء
ما عن له بشأن ماورد على لسان سقراط متعلقاً به واذا يباب
الدخول يقرع قرعاً شديداً ثم استأذنت عليهم جليلة تشبه جليلة
السكرارى العربدين فى صحبتهم زمار . فقال اجاثون نخدمه
« اذهبوا يا غلمان وانظروا من الطارق فان كانوا من أصدقائنا
فرحبوا بهم وإلا فاخبروهم انا فرغنا من الشراب »
وبعد ذلك لحظة سنع المجلس صوت السياديس فى المدخل

وهو على أشد ما يكون من السكر يزار قائلا :

أين اجاثون؟ خذوني اليه ! فخذ الزمار وبعض أصدقائه
بيده ووقفوه مستنداً الى دعامة الباب وكان على رأسه اكليل
من حبل المساكين والبنفسج وعلى رأسه كمية كبيرة من العصائب
فصاح قائلا احييكم أيها الرقاق انني شربت كفايتي ولكن اذا
شئتم ان اشرب معكم فلا مانع فاذا لم ترغبوا في الشراب فاني
انصرف بعد تنويع اجاثون لانني ماجئت الا لهذا الغرض
أؤكد لكم انني لم استطع الحضور أمس ولكنني جئت الليلة
وحول صدغي تلك العصائب ليتيسر لي ان استعين بها في تنويع
ذلك الذي استطيعكم عفوا اذا وصفته بأنه أجل الرجال واحكمهم
اتضحكون من سكري؟ أجل انني أعرف انني أقول الحق
أضحكم أم لم تضحكوا ولكن قولوا هل تأذنون لي في الدخول
أم لا . وهل تشربون معي ؟

فاظهر اجاثون والجماعة رغبتهم في دخوله وطلبوا اليه
ان يتكى بينهم فدخل مأخوذا بيده من شدة سكره . ثم حل
رباط رأسه ليتوج به اجاثون . وكان سقراط حياله مباشرة
ولكنه لم يبصر به وجاء مجلسه بين سقراط واجاثون وقد

تحرك سقراط ليفسح له متكأ . « فلما جلس ضم اجاثون الى صدره ثم توجه وطلب اجاثون الى عبيده ان يحلوا رباط نعايه ليتيسر له أن يتكئ على وسادة واحدة بين سقراط واجاثون فقال السياديس لما سمع أنه ثالث اثنين على وسادة واحدة إنى أود ذلك وليكن من يكون ثالثا ثم التفت فأخذت عينه بسقراط فطفر السياديس وصاح أى هرقل ! من هذا الذى أرى . أنت ياسقراط ! متربص لى فى كل مكان ثم تلقانى دائما حيث لا انتظر لقاءك . اما وقد فرغت من هذا فقل لى ماذا جاء بك الى هنا ؟ ولماذا اخترت ان تتكئ فى هذا المكان دون سواه ؟ ولم تختار جوار اريستوفان أو غيره ممن يتساهلون فى أن يكونوا موضع سخريه بل توصلت بحذق الى الاتكاء بجوار اضرف الحاضرين وأحلام ؟ فقال سقراط : هي يا اجاثون دفاعا عني اننى لا اكتم ان صداقتى لهذا الرجل أمر وويل . فمد عرفته لم أستطع ان احادث سواه بل لم يتم لى ان انظر الى غيره . فاذا فعلت فانه ينار غيره شديدة ويستسلم للاغراق فى اظهار استيائه ويندر ان يصون يده عن ضربى . اتوسل اليكم ان تموقوه عن مثل هذه الفعال فى هذا المجلس . توسط فى

الصالح فقد وكلتك عني فاذا لم تهدأ سورة غيرته وغيظه فاستعد
للدفاع عني . فقال السياديس لأريد مصالحتك وسوف انتهر
فرصة أخرى لمقابلك على ما حدث منك الليلة . ثم التفت
إلى اجاثون وقال له اعزني بعض هذه العصائب لا توج الهامة
العجيبة التي يجمعها بين كتفيه ذاك الذي الام على انني توجتك
وانغفاته وهو الذي غلب كل الرجال بخطبه ليس امن كما فعلت
فحسب بل في كل وقت . قال هذا ثم أخذ بالعصبة وربط رأس
سقراط ثم اتكا وقال : أتم يرافق في صحو فلا تضجر وابل
اشربوا لانكم اتفقتم معي على المنادمة . واني انتخب لهذا
المجلس نفسي رئيسا الى أن تسكروا . اجاثون ! الى بكبرى
طاساتك ، ولكن لعل هذا الوعاء المملوء نبيذاً مبرداً يكفيني
على به يا غلام ! فلما رأى انه يسمع أكثر من ثمانى كؤوس عامرة
شرب مافيه عن آخره ثم أمر ان يملأ لسقراط ثم قال انتظروا
أيها الاخوان انني لا استطيع ان أدبر حيلة على سقراط لأنه
يستطيع ان يشرب على قدر رغبة من يشاء ثم هو بعد ذلك
لا يسكر ولا يفقد توازنه .

فلما ملأ الغلام الوعاء شربه سقراط عن آخره فقال

أريكسما كوس ايبقى شراينا بغير مسامرة أو طرب فنكتفى
 بالشراب الساذج خلوا من الموائسة وهذه خلة الظمان . فقال
 السباديس « اريكسما كوس ! لم ارك من قبل تحية ايها الولد
 البار من والداير » اجاب اريكسما كوس تحية لك أيضا ولكن
 ماذا نحن فاعلون ؟ قال السباديس تفعل ما تأمرنا به لانه ينبغي
 لنا أن نخضع لارشادك لان الطبيب يعدل مائة من سائر الرجال
 فمرنا بما تشاء . قال اريكسما كوس قبل أن تدخل علينا اتفقنا
 على أن يلقي كل منا خطابا بليغا في الشاء على الحب مبتدئين
 بالجهة اليمنى وقد قام وكل منا بمهده الا انت فقد شربت معنا
 ولم تتكلم ويجب عليك أن تقوم بمحبتك في الحديث فاذا فرغت
 من ذلك فما عليك الا أن تأمر سقراط بما تشاء وهو يأمر
 جاره من اليمين بما يشاء وهكذا دواليا . قال السباديس ان في
 اقتراحك نصيبا من العدل يا اريكسما كوس وان كان من
 الاجحاف ان ترغم السكران على مناظرة من لم يسكروا . ثم
 هل اقتنعك سقراط بصحة ما قال عني . أم انت لا تعلم ان
 الاشياء على عكس ما يصورها لنا . فأني اعتقد مجد اني اذا
 مدحت في حضرة آلهما أو بشرا سواه فلن اسلم من ضربه

ولكننى اؤكد لك ياسقراط اننى لن اثنى فى حضرتك على
أحد سواك .

فقال اريدسماكوس . افعل هذا اذن . امدح سقراط
اذا شئت فقال السباديس هل اظعن عليه واعاقبه على مرأى
ومسمع منكم جميعا ؟ فقال له سقراط ما الذى تضمنه لى ؟
هل عزمت على الهزء بى ووصفى بما ليس فى أم ماذا ؟ قال
السباديس سراقول الحق ليس الا . اسمع لى . قال سقراط
اننى لا اسمع لك بقول الحق وحده بل اشتد فى مطالبتك
بان تقول الحق كله

السباديس - اطيعك عن طيب خاطر . واذا ذكرت
شيئا مخالفا للحقيقة فعقنى عن اتمام الحديث واقنعنى بخطأى
لاننى لا أحب أبدا ان أقول غير الحق بعلمى . واحتماني اذا لم
أذكر الاشياء على ترتيبها الحقيقي بل بترتيب تذكرى اياها
لانه لا يسهل على من كان فى حالى ان يعدد بالنظام والدقة
جميع غرائبك وشواذك .

اننى ابدأ بالثناء على سقراط بتشبيهه بتمثال مينى . لعله
يظن اننى اذكر هذا التمثال على سبيل السخرية . ولكن

أؤكد لكم ان هذا ضرورى لصدق تصوير الحقيقة . أقول ان
سقراط يشبه تلك السيلون (١) التى تجلس فى مصنع الخفار
وتتجت وهى تحمل مزامير فاذا شقت نصفين وجدت داخلها
تمائيل الالهة أؤكد ان سقراط يشبه « انسان الغابة »
مارسياس . اما ان شكك ومظهرك يشبهان شكل « انسان
الغابة » ومظهره فامر لا يستطيع فكرانه واما أوجه الشبه
الآخرى التى بينك وبينه فاسمعها الآن منى . الست شديد
السخرية حاد الطبع ؟ اذا انكرت هذا فانى مستعد لاثباته بكل
الطرق بما فى ذلك الينة . الست زماراً ؟ بل انك ابرع واحد
فى الزمر من مارسيا لان مارسيا وكل من يزم
على طريقته انما يسحر الناس بقوة الفم . وأى موسيقار
حاذق كان أو غير حاذق يطلق هذه الموسيقى فأنها وحدها
كفيلة بان تسوده على عقول الرجال . ومن ربانية طبيعتها
تظهر من كانت محتاجا للالهة اوللدخول فى حظيرة
الاسرار الالهية . ولكنك تختلف عن مارسيا فى
امر واحد . وهو انك تهز بمأربك بغير اداة بل

(١) تمثال زوج ام باكوس ممتطيا برذوا

بالالفاظ التي أتتق بها . لا لنا اذا سمعنا برقليس أو غيره من
الخطباء الفصحاء فلا نأبه له ولكن اذا سمعك أحد أو سمع
حديثاً مروياً عنك معها كان الراوى سخيلاً رجلاً كان أو طفلاً
أو امرأة فان كلماتك تقع من قلبه اعظم موقع . واذا لم
أكن أخشى من شدة سكرى لاكدت لكم قولي بقسم عن
الامر الغريب الذي كان لكلماته في نفسي لاننى اذا سمعته
يتكلم فان قلبي يتحقق اشد من خفقان قلوب المحتفلين بالخفايا
الغوريبانية . ثم تجود عيناي بالدموع كلما استمر في الكلام
وقد رأيت مثلي كثيرين يكون اذا سمعوا كلامه خشوعاً
وطرباً . لقد سمعت برقليس وغيره من الفصحاء ولكن لم
يلحقنى شيء من هذا ولم تضرب نفسي ولم تمتلئ تأنيداً لذاتها
كما لو انها ذلت وأمتنت وطرحت في الحضيض كما يصنع
بالارقاء ولكن هذا « المارسياس » الحاضر قد فعل بي هذا
الذي أصف الى أن احترت حياتي واعتبرت أن عيشي لا خير
فيه . لا تنكر هذا يا سقراط . لاننى أعلم بيقين اننى اذا شئت
الاذنان أسمع لك فلن أستطيع المقاومة . فتعرونى تلك الهزة
التي وصفت ويحدث في نفسي الامر الذي ذكرت لانه

يا أصدقائي يضطرنى الى الاعتراف باننى على الرغم من حاجتى
الى أمور كثيرة أهمل شؤونى الضرورية وأهتم بأشور
أهل اثينا فاضع أناملنى فى اذاتنى كما يصنع من يخشى سماع فتاة
البحر وأفرالى أقصى ما يمكننى خشية من الجلوس اليه فاشيخ
وتبيض مفارقى من هول ما أسمع منه . لان هذا الرجل جعانى
أشعر بماطفة الخجل التى ما كان يتهمنى بها أحد . وهو وحده
يوحى الى الندم والوجل لانتى أشعر فى حضوره بعجزى عن
دحض أقواله . ورفض ما يأمرنى به . ولكننى اذا ابتعدت
عنه فان المجد الذى يغرنى به الشعب يلهمنى ويغلبنى فلذا أفر
واختفى عنه فاذا رأيته غلبنى الخضوع والذل لاهمالى تنفيذ
ما اعترفت له بضرورة فعله وكثيراً ما منيت تقسى بفتناته
واختفائه ابداً من هذه الدنيا . ولكن اذا حدث هذا لا قدرت
الالهة فان الامى اذن لن يكون لها خد لا جل هذا ترونى
لا أدرى ماذا افعل بهذا الرجل كل هذا قد تحمته انا وغيرى
من زمر هذا « المارسياس » ولا حظوا كيف انه يشبه الذى
ذكرت كل الشبه وكيف انه ذو قوة عظيمة . اعلموا انه ليس
بينكم من يعلم طبيعة سقراط الحقيقية . وحيث اننى بدأت

وصفه فاستمر في اظهار حقيقته لكم لا يمتحن عليكم ان سقراط
شعوف بمشرة أهل الجمال والاختلاط بهم وأنه دائماً يتظاهر
بالجهل وهذا مظهر ان يقربانه من سنانوس في النهاية
القصوى وهذا هو يا أصدقائي الشكل الخارجى الذى تدثر
به وكأنه فى ذلك أجيد تماثيل سنانوس فانكم ان شققتم عن
مظهره الخارجى اذن لوجدتم الصحو والافاقة والاعتدال
والحكمة. لانه لاينى بالجمال فى ذاته بل يحتقر كل المظاهر
الخارجية سواء كانت جمالا أو مالا أو مجداً أو أي شيء آخر
مما يتهاوت عليه الناس ويهشون بعضهم بعضاً على أحراره والتمتع
به . وهو يعتبرنا نحن الذين نمجدهذين الشيعين كلاشيء ويعيش
بيننا هازئاً بكل مايجب به الناس ويعتزون به . على انى لاأدرى
ان كان أحدكم قد هبى له ان رأى التماثيل الالهية الكامنة فى
قلب هذا الرجل فتمتع به وهو مفتوح القلب جاد غير هازل
اما انا فقد رأيتها فاذأ هي على أعظم جانب من الجمال والابهة
والفخار لدرجة ان كل شيء يامر به سقراط لا بد من تنفيذه
كما لو كان أمره جادراً عن إله لقد كنا رفيقين فى الجندية
كان لنا خزان ومقصف امام بوتيديا وقيد غلبنى سقراط

وفاقنا جميعا في تحمل مشاق الحرب . واذ كانت مؤوتنا
تشرق على النفاد كما هي العادة في كل معسكر فلم يكن أحد
يبتنا بأقدر على تحمل الام الجوع من سقراط: ثم اذا توافرت
المؤونة لم يكن تلذذ أحد بطعام الجند باعظم من تلذذ سقراط .
ولم تكن عادته الافراط في الشراب برغبة ولكن اذا أرغم
فكان يفوقنا في الشراب بغير سكر والمدهش ان سقراط لم
ير أبدا في حالة سكر بعد اقلال أو افراط .

وفي منتصف الشتاء (وان برد الشتاء لقارس في تلك
الانحاء) كان يحتمل بهدوء صنوقا من المصاعب لا يمكن
تصورها . ذلك انه كان اذا اشتد الصرب وبلغ الصقيع درجة
لا تطاق بحيث لا يستطيع أحد من الجند الخروج من الخيام
فاذا خرجوا تذرروا وتلقفوا باعظم اعتناء ولقوا أقدامهم
وأرجلهم بالجلود كان سقراط يخرج بقبائه العادي ويسير
حافيا على الجليد ثم يمشي بأسهل ممن يدقون أقدامهم على ما ذكرت
حتى ان الجند كانوا يظنون انه يفعل ذلك ليهزأ بهم لعدم تجلدهم
في الشدائد . ويحسن بي ان أجي ذكر كل ما قام به هذا الرجل
وكل ما تحمله أثناء تلك الحملة الحزبية . فقد روي مرة في

الصباح واقفا في مكان معين غارقا في التأمل . وكان يبدو عليه
 انه عاجز عن حل المعضلة التي عرضت له واستمر وقوفه على
 هذه الحال حتى الظهر وقد رآه الجند وتهامسوا فيما بينهم من
 أنهم رأوه واقفا منذ الصباح . ثم جاء بعض رجال أيونيا
 الي تلك البقعة ثم تعشروا واحضروا اغطيتهم من الصوف وناموا
 في العراء لان حر الصيف الجأهم لهجرة الخيام . وقد لاحظوا
 أن سقراط بقي واقفا على حاله الاولى طول الليل حتى الصباح
 فلما اشرقت الشمس حياها بصلاة ثم تحرك من مكانه وانصرف
 ولا يلقي بي أن اغفل ذكر شجاعته في الحروب فانه في تلك
 الموقعة التي حباي بعدها القواد بوسام الاقدام كان سقراط
 هو الذي انقذ حياتي فانا مدين له بنجاتي وسلامتي لانه وقف
 بجاني اذ كنت جرحا فسان حياتي وحمي اسلحتي من يد الاعداء
 وقد اجمعت اذ ذاك على القواد أن يعطوا القوس باريها فيقلدوه
 ذاك الوسام لجدارته به وانت يا سقراط لا تنكر ان القواد
 شاءوا أن يخاسنوا رجلا من طبقتي فعزموا على تقليدي ذاك
 الوسام كذلك كنت أشد رغبة منهم في منحهم اياي الجائزة .
 ولما هزم جيشنا وتشتت جموعه ايدى سباني (دليوم)
 كان منتظرا سقراط رائعا عجبيا خليقا بان لا ينسى وكنت راكبا
 وكان هو من المشاة ومشقلا بالاسلحة فلما اسفرت هزيمتنا عن

فناء جيشنا تهقر سقراط ولا شيز قادر كتهما وشجعتهما بمراتفتي
 فما كان اعظم الفرق بين سقراط ولا شيز في سمو النفس
 وحضور البديهة والشجاعة. ولم تخطى، كثيرا ياريسطو فان في
 تمثيله على المسرح اذ كان يسير بثبات وينظر بحوله برزانه
 وتؤدة آخذا ينظراته الهادئة اصدقاؤه واعداءه بلافق بحيث
 كان يظهر للبعيد عنه قبل القريب أن من يجازف بمهاجمته سوف
 يلقي مقاومة المستميت. وقد نجح وفريقه بسلام بفضل ثبات
 بجأشه لان الجنود المتقهرة تقتفى آثارها وتقتل ولكن
 العسكري المنتصر يتردد دون أن يحس رجلا كسقراط كانت
 نظراته وثباته على ما ذكرت رغبا عن انهزام طائفته
 أن لسقراط من الخلال العجيبة ما يستحق الثناء ولكن
 بعضها مشترك بينه وبين غيره من الناس ولكن ذلك الذي
 يميزه عن غيره هو مخالفته جميع الرجال وكونه ارفع من أن
 يقارن بهم فان براسيداس كان مثل آخيل وبرقليس يقارن
 بنسطور وانتور وكثيرون من الاقدمين تمكن مقارنتهم
 برجال من نوعهم أما سقراط بشخصه وخطبه فلا يمكن تشبيهه
 بأحد الا اذا شبهناه بسيلنوس وانسان الغابة. أن من يسمع
 حديث سقراط يخيل له في اول الامر انه مضحك بخدا فان
 الالفاظ والجل والبيرات التي يستعملها تدل على أنه سائر

لعوب (ساتير هو مخلوق خرافي نصفه انسان ونصفه ماهر)
فهو لا يثقك عن ذكر حير للسوق وحب النحاس وقطع الجلد
فاذا سمعه بليد غير واع فانه يضحك منه . فاذا أتيح للسامع
استنباط المعاني الخفية من عباراته الظاهرة تبين له انها خير
ما يقال ويسمع وأن كل ما عداها مما يستأذن على الاذن لا قيمة
له في جنبها وانها معان عميقة فائتة مقنعة روحانية المنحى وانها
تطرح أمام فكر السامع صوراً بديعة فاخرة وانها تؤدي
بالعقل الى أسى درجات التفكير هذه هي الصفات السقراطية
التي دعيت الى امتداحه والثناء عليه . فلما فرغ السياديس طرب
الجماعة وضحكوا من حرية فكره اما سقراط فقال :

«ياوخ لي أنك صاحب السباديس والاماتيسر لك أن تم هذه
الدورة الكلامية وأنت تضم غايتك وتحققها وراء الفاظك
التي عليها مسحة البساطة وحسن النية وحقيقة مرادك التفريق
بينى وبين أجاتون أنت تظن انه يجب على أن أكون صديقك
دون غيرك والاما أحلت لاختلاق هذه الرواية الساتيرية
السبلية (نسبة الى ساتير وسليتيوس) . ولكن ياعزيزي أجاتون
حذار من خيلته وأتوسل اليك أن لا تجعل أحدا يفوز بالتفريق
بينى وبينك » قال أجاتون لاشك في مقاصده فقد جاهدت
بيننا ليفرق بينى وبينك وها أنا أدنومتك لاكون مجانيك

دونه قال سقراط هذا مكان لك في جنبي فصاح السباديس
أيها المشتري ما أشد ما احتمل من ذلك الرجل ! أنه يريد
الغلبة في كل سبيل . أرجوك أنت تترك أجاتون يثنا . قال
سقراط هذا محال لقد مديحتني لآثي على يمينك وواجبي يقضى
بأن أمدحه جلوسه عن يميني . اما اذا جلس بجانبك فسيقتضى
مجلسه أنت يثني على قبل أن آثي عليه فقال أجاتون دعني
يا السباديس أغير مجلسي لا فوز بمدح سقراط أيأى ثم نهض أجاتون
وجلس بجانب سقراط ولم يوشك أن يفعل ذلك حتي غشي المجلس
جماعة من السكارى فاختلف الحابل بالنابل واضطرب نظام المجلس
فانسحب أريكسيا كوس وفيدورس وغيرهما

قال اريستوديمس - اما أنا فقد غلبني النوم ولم أتيقظ
الا لدى صياح الديك واذا باريستوقان وأجاتون وسقراط
لا يزالون يشربون ويتبادلون فيما بينهم طاسا واحدة وكانوا
يتناقشون وقد انتهت مناقشتهم بان قال سقراط لصاحبيه أن
من يقدر على وضع الرواية المحزنة قادر على وضع المبهجة لان
أصول الصنعتين (التراجيديات والكوميديات) واحدة ثم نام أجاتون
واريستوقان اما سقراط فلم يتم فقد نهض وتبعته الى أن بلغ
ليسيوم فاعتسل كمادته وقضى يومه وعند المساء ذهب الى أهله .
انتهت مائدة أفلاطون وكل نسخة بحم المؤلف والنشر

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنى : حسن كامل



مائدة أفلاطون

كلام فى الحب

منقول عن الحكيم اليونانى

يسرنا أن نضع بين يدي القارئ العربى ترجمة لمحاورة المأدبة "مائدة أفلاطون" التى قام بترجمتها محمد لطفى جمعة (1886 - 1953) أحد الكتاب المتميزين فى بداية القرن العشرين.

تعتبر "مائدة أفلاطون" أو المأدبة المحاورة الثانية بعد محاورة فيدون التى افتتح بها أفلاطون محاورات النضج، وهى الموازية لإبداع الأكاديمية والتى تظهر فيها الأفكار الأساسية لفلسفته حيث تقف محاورات النضج بين المحاورات السقراطية الأولى من جهة ومحاورات الشيخوخة من جهة أخرى. والمأدبة هى الأكثر شهرة بين المحاورات إذ تتابع فيها الخطابات التى تقوم بمدح الحب. يصفها مؤرخو الفلسفة اليونانية بأنها تجمع بين الجدة والجلال، وتتواصل فيها الكوميديا حتى الهزل كما تجمع بين النظر والشعرية والمسرحية. وفوق ذلك فهى نص أساسى فى الفلسفة لأن الموضوع الذى تتم مقارنته هنا هو الحب. والفلسفة التى تقوم بتعبيرها تقول بأنها محبة الحكمة وليس امتلاكها. يشكل أطراف المحاورات أشخاص معاصرون لأفلاطون يسعون إلى إبراز ما يتمتع به سقراط من حكمة. والحب الذى يتحدثون عنه بداية هو الإيروس بينما تتحدث أفروديت الحب بين الرجال والنساء.

Bibliotheca Alexandrina



0750025

